بيت الفقراء

نشر الثقافة الروحية

الجزء السادس

ألواح ما بين قبر ومنبر

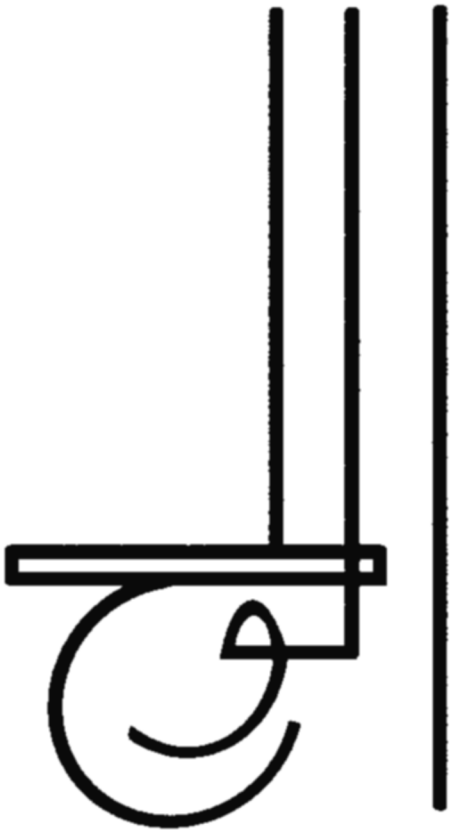

السيد الروح المرشد (سلفر برش)

الجمعية الإسلامية الروحية

القاهرة - الحلمية الجديدة

طريق علي مبارك الرقم ٢٨

رافع محمد رافع

ألواح ما بين قبر ومنبر - الجزء السادس

فهرس الأحاديث

الحديث	العنوان	النوع	التاريخ	الصفحة
١	عالم الرشاد والمرشدون إنسانية الحياة في لانهائي الإنسان	حديث الجمعة	٣٠ نوفمبر ١٩٦٢ م	١
٢	الإنسان بظاهره خلقا وعبدا بالملك والإنس والجان لباطنه حقا وربا بحقائق الرحيم الرحمن	حديث الجمعة	٢٨ ديسمبر ١٩٦٢ م	١٣
٣	الكل أب والكل آب في إنسان الأبوة والإياب إنسان الله	حديث الجمعة	٤ يناير ١٩٦٣ م	٢١
٤	شعبان للدين والديان في إنسان الإحسان	حديث الجمعة	١١ يناير ١٩٦٣ م	٢٧
٥	الفطرة تُجدد بالسلام للإسلام على الأرض أقدامها وتبعث من السماء بالسمو أعلامها	حديث الجمعة	١٨ يناير ١٩٦٣ م	٣٥
٦	ملكوت الإنسان على أرض خلافته ومخالفته بيوت يذكر فيها اسم الله ترفع وتوضع	حديث الجمعة	٢٥ يناير ١٩٦٣ م	٤٥
٧	قالب صار قلبا ومخلوق صار خلقا وجزء صار كلا فقام الحق وزهق الباطل انتقال مصطفى محمد كامل	حديث الجمعة	١ فبراير ١٩٦٣ م	٥٧
٨	الإنسان الذكر المحدث للذكر القديم في قائم الله الرحمن الرحيم	حديث الجمعة	٨ فبراير ١٩٦٣ م	٦٥

الحديث	العنوان	النوع	التاريخ	الصفحة
٩	أحدية العبد وربه والرب وعبده تمام الكلمة لله في الله مثنى وفرادى بظاهر لباطن وبباطن لظاهر	حديث الجمعة	١٥ فبراير ١٩٦٣ م	٧٥
١٠	إنسان الحق بمطلقه لقائمه بآزال قديمه وآباد قادمه	حديث الجمعة	٢٢ فبراير ١٩٦٣ م	٨١
١١	نغيب ونعود بأنانا في قائم الوجود بين حضرتي الحياة والشهود	صلاة العيد	٢٥ فبراير ١٩٦٣ م	٩١
١٢	العبد الحق هو هبة لمن عرفه إلى عينه يؤول متابعه ليتصفه	حديث الجمعة	١ مارس ١٩٦٣ م	٩٥
١٣	بالله نعرف الرسول مجاهدين وبالرسول نذكر الله مرحومين	حديث الجمعة	٨ مارس ١٩٦٣ م	١٠١
١٤	عَربي من كان وجها لي قل جاء الحق	حديث الجمعة	١٥ مارس ١٩٦٣ م	١٠٩
١٥	كلمة الله الأزلية لبشرية الأرض والسماء ولبشرية السماء والأرض تنشق عنها الأرض للسماء والأرض وتنشق عنها السماء للأرض والسماء	حديث الجمعة	٢٢ مارس ١٩٦٣ م	١١٥
١٦	ال لا هو من أنا من أنت من هو	حديث الجمعة	٢٩ مارس ١٩٦٣ م	١٢١
١٧	الإسلام دين ودولة دين إنسان الفطرة ودولة إنسان الوجود	حديث الجمعة	٥ أبريل ١٩٦٣ م	١٢٧

الحديث	العنوان	النوع	التاريخ	الصفحة
١٨	أُعلُ هبل !؟ الله أعلى وأجل الله مولانا ولا مولى لكم	حديث الجمعة	١٢ أبريل ١٩٦٣ م	١٣٥
١٩	اليوم الوليد والإنسان الجديد والكلمة الحفيد لحقائق السماوات والأرض	حديث الجمعة	١٩ أبريل ١٩٦٣ م	١٤٣
٢٠	باسمك الله - هم نَصرك على عوالم الجن والإنس والملك من أنفسنا لقيام ذكرك بنا لنا	حديث الجمعة	٢٦ أبريل ١٩٦٣ م	١٤٩
٢١	الإسلام والمسلمون كتابا وقياما في المسلم ومن أسلم له سلاما وتسليما لله	حديث الجمعة	٣ مايو ١٩٦٣ م	١٥٧
٢٢	عيد قديم في جديد صار به الهيكل نصبا للبيت العتيد وأضحى به القلب وليدا للقدس الفريد نصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله	حديث عيد الأضحى	٤ مايو ١٩٦٣ م	١٦٧
٢٣	الدين هدى وعلم وحياة وبناء للفرد والبيت والجمع في البشرية الخالدة والإنسانية الأزلية محله الذات فالوطن فالأرض فالكون	حديث الجمعة	١٠ مايو ١٩٦٣ م	١٧٥
٢٤	الإنسان بين كثيفه ولطيفه لظلامه وناره ونوره عبد ورب وإله في الله بالله	حديث الجمعة	٢٤ مايو ١٩٦٣ م	١٨٧

(١)

عالم الرشاد والمرشدون
إنسانية الحياة في لانهائي الإنسان

حديث الجمعة

٣ رجب ١٣٨٢ هـ - ٣٠ نوفمبر ١٩٦٢ م

باسم الوجود المقدس

باسم الذوات الأقدس

باسم الحياة للحي القيوم

باسم العزة للعزيز الحكيم

باسم الإنسان الجليل الكريم

باسم الذكر القديم

باسم الحق القويم

باسم الهدي الرحيم

باسم القيام الأعظم للقيام العظيم

باسم الله الرحمن الرحيم نعوذ ونلوذ، ونستغفر، ونشكر.

{إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون}[١]، من عباده وحقائقه لهم وبهم يرحم، ولهم وبهم يَشهد ويُشهد، ولهم وبهم يميت ويحيي، وعليهم وبهم على الناس يقوم، قائما على كل نفس بما كسبت ومن وراء كل نفس محيط. لا يظلم الله الناس شيئا ولا يظلمونه شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون. لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت. من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها. هداه السبيل إما شاكرا وإما كفورا. غنيا عن العالمين لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية. ذلكم الله في

معنى الرب على الناس نزلة وأخرى للحق رسولا من أنفسهم، يوم أنهم للحق يشهدون، وبه يؤمنون، وله يقومون، وبالسجود يتقلبون، فإليه وجها له ينقلبون. كل من عليها فان ويبقي من صار وجهه.

إن الناس بمؤمنيهم وجاحديهم واحدية وأحدية بظاهرهم وباطنهم لإنسان واحد أحد، هو بنفسه لذاته ظاهر لباطن. وهذا الإنسان الواحد مسبوق وملحوق بعين معناه من إنسان كامل بوصفه في ذاته لنفسه من ظاهر وباطن، وهو مع سابقه على ما هو مع لاحقه يقوم في اتصال يجعل منهما وحدة تكون لنفسها بهما ظاهرا وباطنا، في حاضر الحياة في حضرتيهما بحاضرها، الظاهر في كل منهما لمفرداته. وبالشق الآخر باطنه لنفسه لحاضره بنفسه، وهذا الأمر قائم مع مسبوق الإنسان الكل وملحوقه على السواء، قيامه مع مفرداته لبعضها البعض في وحدته.

ولا يوجد إنسان كل مدرك لكليته وواحديته في ذاته ومعناه إلا وهو مسبوق وملحوق بعين ذاته ومعناه في وحدانية معه. فإذا انتشرت صلته بالوحدانية مع مفردات السبق واللحاق في تعادل بينهما قام القرآن أو القانون في قيام معناه بقيام الميزان فيه والاتزان له، وبذلك تقوم به وحدانية التثليث والتخميس والتسبيع والتعديد إلى ما فوق ذلك من فوقه، وإلى ما تحت ذلك من تحته. وبالنظر إليه والارتباط به تقوم الوحدانية الخالية من التعديد إلى الحقيقة الواحدة للنفس في النفس وما ينتج عنها، وفي الأكبر الذي تبحث عنه في معراج لا يتناهى للنفس في كسبها، ولا يتناهى إلى الغاية تعاليا وتدانيا.

وهذا ما قامه محمد وبه فتح للبشرية متابعته عليه سواء من أهل السبق أو اللحاق لقائمه في كل قيام له بذواته ومعانيه، وبذلك أصبح معلم الجنس وفرده وواحده. به يعرف ربه ويوصل وبهما يعرف الإله ويوصل، وبهم يعرف الله ويتحدث عنه وتقوم المعاملة معه، ويقدر حق قدره. وبذلك تعرف النفس البشرية معاني الحق لها، ومعاني الباطل من أمرها بفعلها فتتخلى عن أغلفتها من عملها من الشيطان وتسفر بجوهرها بحقها من الرحمن.

فوصف السبق واللحاق قائم لكل من كان كلا بنفسه من ذاته ومعناه لا سلطان للزمن عليه ولا اتجاه للزمن فيه ولا زمن له. الأزل والأبد يتجددان بدءا منه وينتهيان عنده وصفا له، ويأخذ أحدهما وصف الآخر حسب وضع مفرداته فيه من كلي وحدته.

وهذا ما عنى من لفظ التبليغ {وخلقناكم أزواجا}[٢]، وهذا ما أشار إليه الرسول من أن الله ما ظهر في شيء مثل ظهوره بالإنسان قديما وقياما وأبدا. ولما كان الله ظاهرا أزلا وأبدا وقياما ولا يطرأ عليه التغيير كان الإنسان فيه بوصفه من الأزل والأبد والقيام، وكان الإنسان فيه ما صار إنسانا لا يطرأ

عليه التغيير سواء في وصفه من الخلق أو في وصفه من الحق، ما اتصف بوصف الإنسان في طور الخلق أو اتصف بوصف الذكر لصمد الخالق، ظاهرا لباطن فيه به، وباطنا لظاهر به فيه.

إن للإنسان صمدية بوصف الخلق، كما أن له صمدية بوصف الذكر للخالق وهو في قيامه البشري في طريقه إلى معنى الإنسان له لم يصبغ بعد بأي وصف منهما، والأمر بيده بأمانة الله له وأمر الله له والله مجيبه لما يطلب بقدرته أودعها نفسه يصبغه ويطبعه على ما يريد من أحدهما. لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة، ولا يستوي الأعمى والبصير، ولا تستوي الظلمات ولا النور، ولا يستوي من ضل عليها ومن اهتدى إليها، ولا من دساها مع من زكاها، ولا من ردها إلى الله لتكون نفس الله ومظهر الحق، ومن احتفظ بها لتكون نفسا له، ومظهر الخلق كلما نضج له جلد بدل غيره.

الإنسان بظاهره وباطنه في أحديته وبصوره في واحديته أمر الله. وهو بحضرته في وحدتها ظاهر لباطن للإنسان من سبقه، عنه وجد في أزل. كما هو باطن لظاهر للإنسان منه يتواجد في أبد. فما تمت للإنسان حضرة بذاته في وحدته تمت له نعمة الله، إنسانا أو ابنا لإنسان أو خليلا لإنسان، ولا تتم له هذه النعمة إلا بتمام كفايته الذاتية بقيام الصلاحية للمخالة لحضرة سبقه من الإنسان له، وتقبل وطأته بالمحبة المفنية والإيمان المقيم واليقين الثابت في رعاية الأعلى لهما من حضرة إنسانية في شهودهما من واجب الوجود من إنسانيته لا حد ولا حصر لها من أهل الرشاد في الشهادة والغيب إلها له بهما وعندهما.

إن رقي حضرة ذاتية للإنسان بالصلاحية للخلة مع الأعلى، إنما هو في تطورها الذاتي لصلاحيات الأعلى بالانشقاق عنها إلى حضرات منها ترعاها، إلى مستويات التعادل معها والتكامل الذاتي في ذاتها وعلى صورتها، وهذا ما عناه التبليغ بقوله {إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون}[٣]. إن آدم وعيسى حضرات في وحدة بالنسبة لآدم لهما، وهما في الوقت نفسه حضرتان في تطور بالنسبة لهما من ظاهر لباطن لهما {إني متوفيك ورافعك إليّ}[٤]. ويوم يتم لعيسى ما تم لآدم ويظهر منه معناه على ما ظهر هو من آدم بمعناه يتم لآدم مع ربه ما يتم له معه ربا له بتواجد حضرتين متكاملتين لإنسان من ظاهر وباطن له. وبذلك يكون ظاهره بعيسى كلمة الله كلمتان من ذات وروح في اتحاد، وباطنه بآدم كلمتان من روح وذات في اتحاد فيصبح لكل منهما كلمة الله الروح القدس وكلمة الله الذات الأب المقدس، فإذا ما انشقت حضرة الإنسان كلمة الله الابن للإنسان إلى حضرتين، وانشقت كلمة الله الأب إلى حضرتين كذلك تمت للإنسان الأكبر لهما وحداته بحضراته من معانيه بالأب والابن والأم لذاته، والروح القدس لمعناه لذوات صفاته في الذوات والروح في حضراته ببواطنها لمعانيه، وظواهرها لبيته ونصبه من عوالمه بذواته لمعانيه.

بذلك كانت حضرات الإنسان الأحد موصوفة بصفات ظاهر الإنسان من الخلق بوحداته من الأب والابن والأم والإنسان الأحد إنما هو نور الله من روح الحياة العظيم للروح اللانهائي في مشروع الحياة الأبدي للحياة الأزلية، بقيام متجدد متعارف إلى معناه السابق في قائم الإنسان السرمدي لتحقيق مراد روح الحياة اللانهائي للمعرفة عنه والتعارف إليه، بمظاهره لمظاهره بما يتم من كلماته التامات، إلى ظواهره بأوادمه من الخلق ظاهرا لباطن، متكاثر متجدد متواجد، في قيام صمدي لمشروع الحياة الأبدي المتجدد مظهرا لكمال روح الحياة العظيم من الأعظم لقائم الحياة الأزلي.

تتوحد حضرات الآدم الواحد القائم مع قديمه ولاحق من مثاله، فيتحقق للقديم معنى الآب لأزلية الإنسان وغيوبه بحضراته، ومعنى الأب لأبدية الإنسان عليه يقوم ومنه يتجدد ويتواجد، فيصمد بحضرته ويتسرمد بها متأزلا متأبدا بفعله لذواته ومعانيه روحا لقدس الله لهما وبهما بمعنى الآباء والأبناء.

هذا هو البيت الذي تواجد فيه عيسى قديما، ومنه ظهرت أمه، ومنها ظهر هو، وهو بيت لآدم من أوادم في إنسان لله من إنسانية له. وهذا هو الشأن في أمر آدم يوم تمت له كلمة الله له، فصار إنسانا لله آب إلى سبق وتكاثر بالأبناء إلى لاحق من إنسان لله عرفه في طريقه لمداناة عوالم الخلق، وهذا هو المعروف بالبيت المرفوع من بيوت ترفع في دوام.

وهذا هو الشأن مع محمد الله وعبده ورسوله، فقد كان بذاته ولما يصدر عنه خلقا وآدما وعبدا. وهو في ذاته آب للاحق من أبناء، وابن لسابق من آباء، فكان بروحه بين آباء لا حصر لهم وأبناء لا توقف ولا حصر لهم كذلك. فكان بذلك الإنسان اليوم أو إنسان الحاضر، والروح الأم بين أبوة الماضي وماضيه وبنوة المستقبل ومستقبله، فصح له في ذاته وفي معناه أوصاف الإنسان بالآب والأب والابن والجد والأم والروح في آن واحد. وتواجد به للبشرية جماع أوصافه لمفرداتها ما تابعته، ولمجتمعاتها ما تجمعت على غرفه، وما ركبت سفنه، وما تواجدت على معانيه ومبانيه متعرضة لنفحات القانون الإلهي بنصبه من ذواته من أنفسهم، وبذلك كان معنى البيت القائم الموضوع.

وهذا ما عناه التشريع السماوي معه من المطالبة بالصلاة عليه والتسليم له تخلقا بأخلاق إنسانية القدم المتحققة بالقيام بأخلاق الله قائمة بذكره لفردها وجمعها المشار إليها، والمعنونة قولا ولفظا بحضرة الله وملائكته، وما حمل من النبأ عن فعلها من الصلاة عليه وعلى أمته الأبدية من البشرية وما يصدر عنها من قيام إنساني وبشري متلاحق من عوالم الروح والذات في مشروع الحياة الأبدي.

لقد كشف هذا عن قانون الحياة لروح الحياة اللانهائي وبذلك ظهر الدين كله، بما أظهر الرب عليه عبده من أمر نفسه ومن أمر ربه أمرا له، ومن سبيل ربه سبيلا له، فعرف العبد من نفسه أمر نفسه عبدا وربا، وعرف أن وصف الرب والعبد والإله وصف لذات واحدة ولمعنى واحد للإنسان الواحد في حضرات له تتلاحق بالتداني، وتتعالى بالعروج فيه في الوجود له، بروح الحياة اللانهائي علما عليه وقياما له فتمسك بوصف العبد لنفسه. وأضفى وصف الرب منه على العبد له. دعا إليه باب مدينته، وكتاب علمه، وسيد قومه، وعترة كتابه، وذا القرنين لأرضه وجمعه، معرفا هو عن ربه، متواضعا بنفسه عن نفسه، عافا عن فعله وعن خلق ربه وخلقه متخلقا بخلق مربيه وربه معه بمعنى عينه، مؤاخيا بوصف العبد، فياضا من أمره في ستر بمقامه من وصف الرب له، ومن ولايته ورعايته ناسبا لربه كل فعل له أو من غيره، وإن لم يرَ غيره في قائم رؤيته لربه.

صبر محمد لأمر ربه به حتى يظهره ربه به متخليا عن وصف العجلة له بوصف مخلوق الإنسان له، متأدبا بما أدبه به ربه من خلقه، فتخلق وما زال يتخلق بخلق ربه فأظهر ربه للناس بمن اصطفى لأمره، وما زال. وإن ربه لبالغ به أمره في نشر أمره.

لقد قام دين الفطرة متجددا مع محمد على أساس من الواقع المشاهد. منه يبدأ معنى الوجود لكل كائن، وإليه يعود الكائن بتمام ما كان له في معناه بظاهر قادم، على عين صورة قيامه من ظاهر قائم في قانون دائب عامل في أمر الفرد والجمع والبشرية.

ضرب بمحمد في ذاته وبيته وصحبه وأمته المثال المراد إبرازه للأفراد بفرده، وللبيوت ببيته، وللجمع على الحق بصحبه، وعلى مواصلة الحياة معاني بدئها ونموها أو الانقطاع عن مثاليتها قامت، والازورار عن حوضها امتلأ، والضمور الذاتي بوقف التجدد بالتغذية والورود. وبذلك تلاقى به طرفا الإنسان من الأب والابن على الأرض. وهذا ما أراده المشرع الإسلامي بقوله {ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله}[٥]، وقوله {قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى (كلمة) سواء بيننا وبينكم}[٦]، وقوله {إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا}[٧].

وضرب ابن مريم مثلا للمؤمنين بالرسول والرسالة. {ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون}[٨]، {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم}[٩]. إن ابن مريم هو التكوين والمقام الملائكي الساجد للأبوة المقدسة لإنسان آدم.

ففي قائم الحياة تعرف وتشهد الحياة. فما تواجد، في إدراك الوجود غير إنسان الله عرَّفه فعرفه بسبقه في أزله، فتابعه فقامه في أبده، فجدده لمعناه فتأزل بمعناه، فآب إلى أزله وسهر على أبده منه في أبده

له، فدار في دائرته لسرمديته في وحدة وجوده، وواحدية صفاته، وأحديته لمعناه. ذلك هو إنسان الحق أو إنسان الإنسان، أو الظاهر للباطن من الله، أو الكلمة التامة لله، علما على كلمة تامة لله، أو جماع الكلمات لروح الله علما على جماع لكلمات لروح من روح الله في روح الحياة اللانهائي، أو الأب المصطفَى للأب المصطفِي في لانهائي الآباء سواء لمعاني البداية أو لمعاني النهاية.

وعلى تعريف بهذا وتدريك به قامت مناسك الحج لقبلة الصلاة في الإسلام الكتابي الرسالي، بأول بيت وضع للناس للأحياء من عمد الحياة بكشف سر الحياة وأنه في الانتساب لبيت الحياة طوافا ومدخلا بإنسانها القائم، المتجدد، المرفوع، الموضوع، نصبا وبيتا في دوام لا ينقطع وجوده، ولا يتوقف جديده، ولا يتعطل في الناس تجدده. ما انحصر ولن ينحصر عديده. يزداد ويربو ولا يجز مزيده ولا يتعطل اتساعه وانتشاره وتعدده، بتعالي الله بشهوده عن مشهود وجوده وجها له. وبذلك جعل الدين في التعارف إلى إنسان الحياة، المتحرر من أبويه من المادة، من السماوات والأرض آوته عناية الآباء من أهل الرشاد إلى بيوتهم يذكر فيها اسم الله، فكان بذلك محمد والانتساب إليه وإلى بيته وإلى أهل بيته وعترته هو الدين. وفي دعه وإغفال موائد المساكين من أهل بيته من عمد الحياة هو التكذيب بالدين. {أرأيت الذي يكذب بالدين...}[١٠]. وبذلك كان جديد الإنسان لقديم الإنسان هو ثمرة استقامة قلوب الآباء بعثا بالأبناء من الأنبياء لبيت آدم البنوة والرسالة من آدم من أوادم الفطرة والخليقة. وقد جاء الرسول بهذا البيت موضوعا من رفع مظهر بيتين مرفوعين لله لبيوت رفعت لا حصر لها في أمم خلت منهم الأرض، وأولية لبيوت توضع لله لا انقطاع ولا جز لها. وبذلك كان رحمة للعالمين حقا، ما أعطيه فلأمته قدوة وأسوة للكافة. به أتم الله الدين بتمام معناه لوصف الإنسان حقا وخلقا، وفردا وجمعا، وبيتا وأمة، وبشرية إنسانية وإنسانية حقية. فيه قامت قبلة الصلاة والحج والإسلام. من حج ولم يزره فقد جفاه، ومن جفاه فلا إيمان ولا حج له. أول بيت وضع للناس ثمرة استقامة القلوب لبيت النبوة بآدم، ونوح، وإبراهيم، وعمران، أراد الله لأهله الطهارة، وجعل الرسول به قدوة وأسوة، ما أُعطيه فلأمته. به أتم الله الدين بتمام كلمة الله. وبه بدأ الله اليقين بمتابعته رسولا له جماع كلماته وروح قدسه.

جاء رسول الفطرة ومجددها، ونبي الإسلام وعلَمه، ورسول الله وحقه، وعلم الله وكتابه، وفعل الله وبيانه، وهدي الله ومكثه، وجديد أزليه بالإنسان، وأبدي باقيه للإنسان بيت القبلة وجماع أهله، عبادا لله وملائكة له، عبادا لله في قيام من الأبيض والأسود والأحمر لمبانيهم لحقائق الله في معانيهم قامت ذواتهم من النور والنار والتراب، في أحدية وجودهم، وأحدية حقهم للقيام بمعنى وجهه،

وأحدية ظهوره بمعانيهم لمعنى نفسه وعبده، فكان محمد لذلك كل ذلك كله ماء الحياة يسقي نبات الأرض ويحيي أمواتها.

جاء بهذا الخير من ربه إلى بشرية الأرض، إنسان الحق، وعبد المطلق، ونبي الكتاب، ونور الأمم، نبيا للأنبياء، يستوفون في متابعتهم له وصفه، لتمام وصفهم بالعباد لله، وشهيدا على الشهداء، يستكملون في انطباعهم عليه معاني شهادته، وجوها لله، هو لهم وجهه فيستكملون به قدوتهم لأممهم هو لهم قدوة، ورسالتهم إليهم هو لهم رسول.

الله وملائكته يصلون عليه قبلة الرحمة للعالمين والناس.. ما آمنوا بالله في أنفسهم وما سلكوا سبيله في أطوارهم سبيلا لربه كتب على نفسه الرحمة برسالته قبلة لهم مصليا عليه، متصلا به فياضا منه برحمته، يتخلق بخلق معروفه للناس مُعرِّفه قائما على نفوسهم نفسا له، متجها بهم بمعناه من وصف العبد له إلى قبلتهم من أنفسهم، بقلوبهم عبادا له، مشرقا بالنور الذي أنزل معه ولم يرفع رسلا لربه، يقوم ويتقلب في الساجدين هو القائم في معناه، فردا متميزا بمعناه، عنوانا لأحدية عبده جعل له نور يمشي به في الناس، وواحدية جمعه جعل منه أمة بظاهره ذاتا بمعنى خلقه، كتابا للناس، وحوضا لهم ولمعنى توحدهم في وحدانية ربه وقدوة لهم، وأسوة للصبر والتواصي بالحق بينهم، مظهرا لقديم به يتجدد، ليقوم به مظهرا لأقدم بينهم بعثا للحقائق في مواصلة بأحدث لا تنتهي، تعريفا عن بدء لا يدرك، وبشرى بقيام متكامل لا يفتر ولا ينقطع ولا يجز.

فكان بذلك محمد عبد الله وخلقه وحقه ورسوله، غاية الخلق في وصلتهم بالخالق، حقا منه يحتذى، وحوضا منه يورد، وسماء به تستظل، ودارا لرحمته تأوي ويُؤى إليها. أما اليتيم فلا تقهر، وأما السائل فلا تنهر، وأما بما عرفت منه لك ولهم من نعمة فحدث، بشر ولا تنفر، ويسر ولا تعسر، ولا تمنن تستكثر، ولربك فاصبر. واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، ولا تعدو عيناك عنهم إلى عباد الدنيا ممن جعلناهم زينة لها إن أردتهم كانت منك إرادة لها.

لقد كان محمد مثلا مبرزا، للغرف والذوات، وللبيوت والقلوب، وللدور والعوالم، وللحضرات بالصفات والجوارح، من الحقائق في الله الواسع القادر العليم، الخالق المنعم الكريم، المبدع المعطي الحكيم، عطاء غير مجذوذ، وخلقا غير منقطع ولا مبدوء، رحمة لا تتوقف، بلا بدء ولا حدوث. كان محمد أول العابدين لمتابعين من العباد لله من بعده في متابعة بهم لعباد لله من قبله ليكون بهم مظهر العابدين له رفيقا لرفيق أعلى فيه لعباد الله من قبله بلا بدء لهم ولا انقطاع لتواجدهم. استراح به البال لطالب الحق لنفسه، ونزلت به السكينة على القلب الدنف لخالقه، والنفس القلقة الحائرة في أمرها، والعقل الطالب المستشرق لحكمة وجوده وتواجده، {والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد

وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم}[11]، وضع عنهم أوزارهم، وكشف عنهم غطاءهم، فإذا هم وجوه ناضرة لربها ناظرة، تراه بانعكاس وجهه فيهم على مرآة الوجود من حولهم في كل شيء، أينما تولي فوجهه، بلطيف عينه يلحق الأبصار فتبصر إذ تبصرها في معاني الوجه له في كل ما تبصر، كما قال العارفون:

أنا إن رأيت حبيبي بأي عين أراه

بعينه لا بعيني فما يراه سواه[12]

رأوا وجه الله بهم في كل شيء ماثلا.

(وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد)[13]

لم تَفُتهم آياته في أنفسهم وفي الآفاق، وتبين لهم أنه الحق، وقد كشف عنهم الغطاء، فأصبح بصرهم نافذا حديدا، وبصيرتهم عالمة عاملة حكيمة، ماتوا عن أنفسهم وبعثوا بنفسه حقيقة فجاء الحق بهم ببعثهم من موتهم، فغاب عنهم ما جهلوا من أمرهم قبل كشف الغطاء عنهم، وقام ما علموا بعد أن جاءهم العلم بأمرهم أُعطوا الحكمة، ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا، وما حصلوا على ذلك إلا بصلاتهم بالنبي من أنفسهم بالصلاة عليه قائما متقلبا في الساجدين، يهدي الله إليه المجاهدين فيه غاية لهم ووفاء منه بعهده إليهم. {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا}[14] {قل هذه سبيلي...}[15] فتلاقوا بجديد معناهم من الإنسان، بقديم معناهم بالإنسان، في حضرة إنسانه رفيقا أعلى في قائم الحق منه بالإنسان، في القيام بحاضرهم عبدا له فأصبحوا بالله عارفيه ومعرفيه وقد أحاطوا بما شاء أن يحيطوا به من العلم عنه في أنفسهم، قائمة به فيه، قائما عليهم بنوعهم من أنفسهم بإنسان أزلي الربوبية عليهم، ربا للناس، ملكا للناس، إلها للناس، فتوجهوا باسم الله الرحمن الرحيم مستعيذين به قائما في قيامهم عبدا ورسولا من أنفسهم، إلى اسم الله الرحمن الرحيم ربا قيوما هو المعبود الأكبر لشهودهم في الموجود المنفرد في إطلاقه ولانهائيه لا يعزب عن علمه، ولا ينفصل عن وجوده مثقال حبة من خردل في السموات أو في الأرض، غيب السماوات والأرض وشهادتها، ما ظهر في شيء مثل ظهوره بالإنسان، وما عرفه من خلقه عارف على ما عرفه لنفسه الإنسان، وعرَّفه لجنسه بوحدانيته في جمعه.

بذلك عرف الإنسان الله لنفسه، وعرفه معروفا لا يعرف ومجهولا لا يجهل، قائما لا يحضر ولا يستحضر، محيطا لا يحاط به، وموجودا لا يغيب ولا يحدث، يدرك ولا يطلب، ولكن الذي يطلب إنما هو الإنسان فيه، والذي يطلب الإنسان منه ربا بالإنسان الأعلى، فطلب إليه أن يصلي على النبي

فطلب الناس رسول الله لأنفسهم دون أن يؤمنوه في أنفسهم عين ربه بهم، فيطلبوه فيمن حققه لنفسه متكشفا له فيتكشف به لهم عينا قائمة، مبعوثا في القيام، فيطلبون رسول الله عليهم، رفيقا أعلى، ووجها لمطلق الله تعرض عليه أعمالهم، يعبدون له أنفسهم، هم عند قدميه العبيد السعداء، والأحياء الشهداء.. هو الوالد.. هو الأب العلوي.. هو الآب البشري.. هو الأب الإنساني.. هو الحق من الغيب، في حقي الشهادة بالوجود، رأوا وجه الوجود، وجهه من الحق، فطلبوا الأكبر في الشهود، في أنفسهم، للتواجد، بتعبيد أنفسهم له في كل صعود وفي كل وجود وفي كل شهود.. وراءه في ركبه للانهائي الموجود المعبود في تخليهم عنهم من أنفسهم بالحق، إلى من يخلفونهم عنهم في حاضر عوالمهم تخلقا بأخلاق الله في قيامه المطلق بعوالمه معلوما عندهم، معبديهم للأعلى، قوامين على الأدنى برحمته، فبجديد الحق منهم يتكنزون، وبه في التقييد يقومون، وعن عوالمهم في معراج يغيبون فلا يُدركون إلا لعين معانيهم منهم تتواجد لهم يذكرون، ومعهم في معارجهم يتوحدون فيعرفون بذلك معنى الرسول وربه وعبده، ويعرفون معنى الرب يشهدون، وبه يعوذون، والإله له يطلبون، وأنفسهم له في دوام يعبدون، ويعرفون معنى الله للانهائي به يقومون، وفيه يعرجون في حقه وخلقه وشهادته وغيبه، بما يقوم في أنفسهم من العلم عنهم، وعن مطلوبهم المعلوم لهم، وبما يقوم في أنفسهم من الوجود، عن واجب الوجود، معلوما بالوجود، في وجودهم، وفي وجوده محيطا بهم.

بهذا كله جاء رسول الفطرة ومؤسس دينها كتابا وهديا، على ما قامه آدم وليا وأبا وربا وإلها وعبدا، وجدده أبناؤه أنبياء ورسلا، من عرفناه محمدا رسولا وحقا وعبدا. لم يأتِ البشرية من بعد آدم وولده عيسى عليهما السلام كلمتان لله، تم الأكبر والأصغر في طريقه للتمام بخير أفضل مما جاء به محمد. وزاد عليهما كتاب الوجود والحياة كشف به عن الحق ما قبل آدم وأوادمه، وعن الحق ما بعد آدم عيسى وكلمته لكلمات لله لا حصر لها ولا توقف أزلا وأبدا.

{إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم}[١٦]، (عيسى كلمة الله وروح منه)[١٧]، {ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون}[١٨]، وقد تمت بمحمد كلمة الله، وجعل ربه منه للناس قدوة وأسوة، وما أرسله إلا كافة للناس ورحمة للعالمين يأخذ من كل أمة بشهيد، ويأتي به شهيدا على هؤلاء، وهو ما يظهره يوم تستكمل الأرض معنى الإنسان لها به، وهو يوم الفصل في أمر الناس معه يوم تلد الأمة ربها، وتنشق الأرض عنه مبعوثا بالمقام المحمود عند الناس، تعريفا عن المقام المحمد له عند ربه، أحمد مقام أبرزه، وأول بيت وضعه، وأول عقل أكمله وأظهره، ويزيده كمالا وظهورا، وأول إنسان للناس أتمه وأعطاه، ويزيده عطاء وتماما، وأول عبد قبله، ويزيده قبولا، وأول من جعله رحمة للعالمين، ويزيده رحمة بعد أن كانت الرحمة قاصرة على المصطفين وأممهم من بعض بني إبراهيم ومن بعض من حمل مع نوح.

فبمحمد يقدر الله حق قدره، وبه يُعرف الله حق معرفته، وبه يوحد الله حق وحدانيته، وبه يتأحد الله حق أحديته، وبه يعرف الإنسان معناه من معنى الله، ونفسه من نفس الله، ومبناه من ذات الوجود ذاتا لله، الله أقرب إليه من حبل الوريد، قائما على كل نفس بما كسبت.

حقا إنه لم يأتِ رجل هذه الأرض، بعد آدم وعيسى، وما جاءا به من بعض جوانب الحق للناس بخير أفضل مما جاءها به محمد. لقد جاءها بما جاءها به الحق من الله يوم استوى إليها فقدر فيها أقواتها في يومين من حقين استوى بهما إلى السموات. لقد جاءها، بما تمم ويتمم الله به نعمته على آدم، وعلى عيسى وعليه معهما، وبما يضاعف الله به نعمته على محمد وعليهما، وعلى آل محمد، وعلى أصحاب محمد، وعلى أمة محمد، وعلى محمد الناس لله وآدم خلقه، وعلى محمد الله للناس وروح قدسه.

جاءها بلا إله إلا الله في تمام القيام بها تقوم وتشهد، وتُحيي وتُسعد، وتفيض وتجدد، تجعل من الخلق حقا وربا، وتجعل من الحق خلقا وعبدا، وجه الرب وعينه، حتى يُشهد الغيب بعينه، حقا يتواجد، وموجودا لا يغيب، ونورا لا يحتجب، وسرا لا يختفي. هذا هو دين محمد.. وهذا هو كتاب محمد.. وهذه هي شرعة محمد.. وهذه هي سنة محمد.. وهذا هو حديث محمد.. وهذه هي استقامة محمد.. وهذا هو قديم محمد والأقدم.. وهذا هو جديد محمد والأحدث لكل من أراد أن يكون فيه نور محمد بعثا لمحمد، وقياما لمحمد هو الذي يقوم ويتقلب في الساجدين، عبدا لله لا ينقطع جديده، ولا يتوقف بين الناس كوثره ووليده، به تأبد الإنسان بمعناه من الله حقا منه وعبدا له، وبه تأزل الإنسان في وجوده بالله وجها لله ونورا له، وبه تسرمد الإنسان، لا تناله يد البلى، ولا تنقطع عنه يد الإحسان بيتا لله وعالما له، تمتد يد الله تتوفاه في دوام وسلام، ويبقى للناس مُوفيا قبلة وقيام يقوم لا إله إلا الله، ويقوم محمد رسول الله يؤذن في الناس بالحج والصلاة به نشهد وبه نقوم، وإليه نرجع، فنعلم أنه لا إله إلا الله، ونعلم أنه محمد رسول الله.

اللهم يا من أرضيت محمدا، فرضيك عبدا لك، ويا من رضيته فكان حقا لك مرضيا منك، اللهم يا من ارتضيته لنا قدوة، وجعلت في اصطباره علينا لنا أسوة، دلنا عليه بيننا برحمتك لنراه، ونستمع لتلاوته ونجواه، وامنن علينا وتفضل فنتابعه، ونصدق في متابعته، فنتواصى بالحق، ونتواصى بالصبر بيننا لتعبيدنا لنوره، بمخالتله، في مصاحبته، بموادته، اللهم اجعله معتقدنا منا بفضلك حقا منك به تصلح مجاهدتنا، وتستقيم إليك وجهتنا، ونقي عقيدتنا عنه بحقك، حتى نصدق في اتباعه وننسب إلى أتباعه، حتى تبعثه فينا، وتبعثنا فيه، وتبعثه منا، وتبعثنا منه، فنكون بذلك عبادا لك، نشهد وحدانيتك في وحدانيتنا معه، ونشهد به رسالتك في رسالتنا منه، ونؤمن بظاهر حقك به في قائم غيبنا منك، ونؤمن بقائم لانهائيك بلانهائي عطائك به.

اللهم تولَنا فيمن توليت، وارحمنا فيمن رحمت، وخذ بنواصينا إلى الخير، واجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقائك، وولِ اللهم أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا وانصرنا على أنفسنا، حكاما ومحكومين، غافلين ويقظين، وارحمنا به يا أرحم الراحمين، يا واسع الرحمة، يا واسع المغفرة، اغفر لنا وتب علينا، لا إله إلا أنت، سبحانك إنا كنا من الظالمين.

أضواء على الطريق

بعد حضور السيد سلفربرش لأحد المؤتمرات في عالم الروح قال: (لقد استعدت هنالك بعض الفخر الذي كان لي يوما ما. سمح لي مرة أخرى بالمساهمة في آراء الذين يجاهدون لتحسين عالمكم وإعانته على الفلاح. هؤلاء الذين يطمعون في تعجيل كل ما يلزم لعالمكم من إصلاحات. إن العمل الذي أنجزه كثير منا قد استعرض بكل تفاصيله، وأظهر لنا مدى نجاحنا وفشلنا. لقد وضعت الخطط وتألف منهاج العمل الذي ينتظرنا، العمل الذي يجب أن ينجز حتى يمكن تقديم هذه الحقائق التي لا غنى عنها للدور الحالي من تطور عالمكم.

لقد قابلت الكثيرين ممن لديهم الرغبة في خدمتكم، الذين لم يمنعهم الموت من الأعمال الحبيبة إلى قلوبهم. وإذا غفر لي التحدث قليلا عن شخصي، وقليلا ما هو، فلي أن أفخر إذ أقول إني حزت بعض المديح على العمل البسيط الذي تمكنت من إنجازه خلال الشهور القليلة الماضية. إني أشعر أني لا أستحقه لأني لست إلا بوقا لقد كررت رسالة الذين أرسلوني وأنتم أذعتموها.

هذه الحقائق التي نعلنها قد جاءت بالمعرفة والراحة والفرح لكثيرين لم يكونوا يعرفون أين يتجهون، الذين كانت قلوبهم مثقلة مليئة بالحزن وأفعمت عيونهم دموع الأسى.

لقد جلسنا عند أقدام المعلمين الذين هم أعظم منا لنتعلم منهم من الحكمة ما لم يزل يتكشف لنا، كما جلسنا إلى إخوان لنا لنقتسم المعرفة التي حصلناها بيننا).

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة النحل - ١٢٨
٢ سورة النبأ - ٨
٣ سورة آل عمران - ٥٩
٤ سورة آل عمران - ٥٥
٥ سورة آل عمران - ٦٤
٦ سورة آل عمران - ٦٤
٧ سورة آل عمران - ٩٦

٨ سورة الزخرف - ٥٧

٩ سورة الأحزاب - ٦

١٠ سورة الماعون - ١

١١ سورة محمد - ٢

١٢ شعر للشيخ محيي الدين بن عربي في كتاب التجليات الإلهية:إذا تجلى الحبيب باي عينٍ تراه؟ . . . بعينه لا بعيني فما يراه سواه

١٣ من قصيدة للشاعر أبي العتاهية: ولله فِي كلِّ تحرِيكَةٍ وفي كلّ تَسكينَةٍ شاهِدُوفِي كلِّ شيءٍ لَهُ آيةٌ تَدُلّ على أنّهُ الواحِدُ

١٤ سورة العنكبوت - ٦٩

١٥ سورة يوسف - ١٠٨

١٦ سورة آل عمران- ٥٩

١٧ استلهاما من {إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ}. سورة النساء- ١٧١

١٨ سورة الزخرف- ٥٧

(٢)

الإنسان
بظاهره خلقا وعبدا بالملك والإنس والجان
لباطنه حقا وربا بحقائق الرحيم الرحمن

حديث الجمعة

١ شعبان ١٣٨٢ هـ - ٢٨ ديسمبر ١٩٦٢ م

في الروح الأعظم اللانهائي نقوم، وبه من روح الحياة الأعظم نستمد، ومنهما بروح الحياة العظيم نعمل، وعلى الحي القيوم نعتمد ونتوكل، وللرب المعلوم نشهد، وبالإله المعبود نؤمن، وبالوجود المقدس نتواجد ونتجدد، نشهد أننا لا إله إلا الله، بنا تقوم فنشهد محمدا رسول الله به نقوم فنَشهد ونُشهد رسول الله عبدا وحقا، وعبادا لله، وحقائق الله.

هذا الدين القيم دين القيمة، ودين الفطرة، ودين التبليغ الدائم والهدي القائم، ودين العلم والمعرفة واليقين، يجب أن يوغل الموغل فيه برفق، فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى.

من لم يكن له في نفسه واعظ لا تنفعه المواعظ. إن الذي لا خير فيه لنفسه، لا خير عنده للناس. ابدأ بنفسك ثم بمن تعول. لا يضركم من ضل إذا اهتديتم. إن الذي لا يشهد في نفسه أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، كيف يُشهِد غيره لا إله إلا الله أو يُشهِد غيره محمدا رسول الله؟ إذا قال القائل (لا إله إلا الله، محمد رسول الله)، فقالها الناس معه، وقالها الناس لأنفسهم، فقامها الناس، ولم يقمها من علمها للناس قولا، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، فهو لم يقلها لنفسه مع الناس، يوم ربح الناس، علمها منه الناس فقاموها عليه ربا، ولم يقمها ليكون بها لله عبدا. {أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون}[١]. {كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون}[٢]، أي ابحثوا عن ربكم في مجتمعكم بين عباد الرحمن.

من ربح الدنيا وخسر الله ماذا ربح؟ ومن ربح الله وخسر الدنيا ماذا خسر؟ (ازرع كلمة الله في أرض ناسوتك)[٣]، (القلب بيت الرب)[٤] ، (المرء على دين خليله)[٥]، (رب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره)[٦]، {الله أعلم حيث يجعل رسالته}[٧].

(ابدأ بنفسك ثم بمن تعول)[٨]، (ولأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها)[٩]. هذا شعار رسالة الإسلام مع محمد لمن يرفعه، والله أعلم حيث يجعل رسالته. ليس الكسب بكسب الأعوان والأنصار، والمواطن والأنصار، ولكن الكسب يوم يحيا القلب فيُحيي قلبا، فيحيا هذا القلب مع مُحييه في وحدة خالدة، فيعرف القلب الذي حيي القلب الذي أحيا، ويحرص القلب الذي أحيا على القلب الذي حيي، يتوحد القلبان فتتوحد لهما الأبدان، وتتطور إلى قدس الزمان والمكان بفردوس أزلي الجنان أو غرفة الإحسان فيقوم التوحيد، ويُدرك الإنسان بين القديم والجديد فعال لما يريد.

{قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا}[١٠]. إن المجاهدة بالفكر، إن قيام المعرفة للعقل، إن الإحسان من النفس إلى النفس بالنفس، إن نشأة الحياة، إن بعث الحياة، إن قيامة الحياة، لا يستقيم أمره، ولا يُدرك سره، ولا يتحقق جوهره، إلا إذا قامت وحدة بين قلب وقلب، ففنى قالب عن قالبه إلى قلبه، واجتمعت عليه القلوب بقلب في قالبه، فاتحدت القلوب وتعددت في صور من قوالب، وانتشر الأمر فاتحدت القلوب، وعنونها قالب لقلب من إنسان ظهر به غيبه من العنوان للرحمن فلا غيب، ولا شهادة، ولكنه أمر في مظهرين من الذات، بالأبدان الأب والابن لمعنى الإنسان، من اللطيف الخبير بالروح، جوهرا للعنوان، وإن مثل عيسى كمثل آدم بقائم من ذوات من بنيان، بيتا موضوعا لبيت مرفوع، أو بيتا مرفوعا من بيت موضوع للإنسان في الإنسان.

إن لاهوت الإنسان وناسوته في مجتمعه البشري أمر ليس بقاصر على النبيين، أو على الأولياء والصالحين، ولكنه أمر شامل للجنس من الإنسان في مظاهره من البشرية بالإنس والملك والجان، وفي حقائقه من الروحية بعوالم الروح والنور والنار، تعريفا عن جوهر الحياة وروح الحياة، من عرفناه بالرحيم الرحمن، ومن عنونه الوجود باسم الله وذكر الله، ظاهرا لغيب من الهو بعلمه من مقام الإنسان علما على معلومه من الحقيقة باطنا لظاهر الوجود بالأكوان لعوالم الحق السرمدي الرحيم الرحمن.

إن الناس يتواجدون في ظاهرهم بجماع ظواهرهم، الله من ورائهم محيط، وعلى كل نفس قائم. بهذا قامت فطرة الإنسان في قديمه، وبه تقوم فطرة الإنسان في قائمه، وعليه تبقى فطرة الإنسان في قادمه ما بقي الإنسان. والإنسان باقٍ على ما كان، لا بدء له في وجود، ولا نهاية له في تواجد. فالإنسان عنوان غيبه، وظاهر ربه، وداني إلهه، وقائم حقه، اتصف بما اتصف به جوهره، وقام لجوهره عين مظهره، وعلى ما قُدر جوهره تقدر مظهره، وعلى ما كشف حق مظهره تقدر أمر جوهره. فإذا كان

الجوهر لا بدء له فكيف يكون المظهر ببدء له! وإذا كان الجوهر لا فناء له، فكيف يكون المظهر موقوت يقطعه فناء له!

إن الإنسان بجوهره ومظهره هو وجه الغيب، في معاني غيبه دائما، إذا ما صار الغيب في معاني الشهادة، وصارت الشهادة في معاني الغيب لمن كان له وجه لمعناه يشهده في داخل نفسه لمعناه. بذلك جاء دين الفطرة بالفطرة لا بدء لها صبغة الله جددها رسول الفطرة، وصبغة ذكره قياما وسنة وكتابا، قدوة للناس وأسوة، من عرفناه محمدا، ومن عرفناه عبد الله، ومن عرفناه عبد ربه وعبد نفسه، ومن سمعناه رسول الله، ومن أجبناه داعي الله، ومن تابعناه، دليلا إلى الله، ومن آمناه في أنفسنا الحق من الله. زويت له الأرض ليعممه ويعلمه ويظهره على الدين كله.

طلب إلينا عبد الله أن نؤمن بالله قائما على كل نفس، وأن نؤمن بربه الرحيم الرحمن، رحمته غلبت عذابه ومغفرته سبقت عدله، وطلب إلينا ربه أن نؤمن بعبده ليكون لنا كفلين من رحمة الله. كما طلب إلينا دليل الله، ورائدنا إلى الله في أنفسنا أن نسلك طريق ربه طريقا مستقيما لا عوج له، وطلب إلينا ربه أن نسلك طريق عبده ورسوله طريقا مستقيما لا عوج له، ولا عوج للعامل فيه.

قام بيننا محمد الله، وحقيقة الإنسان لآدم الناس، ليكون بيننا بما شهدنا من قيامه، وبما عرفنا عن أصوله، وبمن قام بيننا من فروعه، كتاب علم لنا، وطريق الحق لنتخلق بأخلاق خالقنا، نتخلق بأخلاق الله يوم نتخلق بخلقه، ونتواجد باسم الله يوم نتواجد باسمه، ونعنون وجها لله يوم نعنون وجها له، ونقوم حقا بالله يوم نقوم حقا به، نتوحد مع الله يوم نتوحد معه، ونحيا باسم الله يوم نحيا باسمه، حضرة اجتماع حقي الإنسان بخلقي الإنسان في دار الإنسان، عرضها السموات والأرض، هو بحقي ذاته وبيته مركز الدار وبيت قبلة أهلها للصلاة، أحدُ وجوده في وجوده حقا من حقائق تتعالى في وجودها بوجودها بجودها بمعناها لطالب معناها منها، افتقارا إليها، ومرضاة لها في الغني المستغني بمعناه لمعناه، وبوجوده لوجوده، عبدا له، وربا به، ورسولا منه، ورسولا إليه حقا في عيانه، وخلقا في عنوانه.

على هذا قام دين محمد، وبه قام دين ربه معه، فقام مسفرا لنا دين الحياة، دين الفطرة، وقامت بنا روح الحياة، فقمنا في لانهائي الحي القيوم، مقاربا الأحياء وجوها له في عمائها متجاهلا الأشلاء فضلات قيامها، يعرج الأحياء به في معارج الحياة لا جز لها في عطاء ولا توقف لها في وفاء. يحيون، ويحيون، ويحيون، بلا انتهاء لمراقي الحياة.

إن من يتوقف مع ما يقوم به من معنى الحياة، فرحا بما قام فيه من معناها دون حرص على مواصلة مزيد منها بها إنما هو المتخلف عن ركب الحياة، إنما هو السالك لطريق الفناء، سيصبح يوما فضلات القديم وطعام القادم فالحياة لا تتوقف. والمتوقف بمظهر من مظاهر الحياة مع مظهره من مظاهر الحياة متوقف عن ركب الحياة. والمتوقف في سلم الحياة عن الركب متخلف عن الحياة، والمتخلف معدوم في جوهر الحياة ومعنى الحياة يوطأ بأقدام الركب المتحرك بالحياة.

يا من ذاقوا الحياة، فإنا لا نخاطب النيام، لا تتوقفوا مع ما ذقتم من الحياة، واطلبوا الحياة، فالحياة فوق ما أدركتم، فإذا قامت الحياة بلا إله إلا الله قام معراجها بمحمد رسول الله، وإذا قامت الحياة بمعراجها برسول الله، قدر الله حق قدره، وعرف الناس أن ربه أكبر مما هم فيه من الله له ولهم هو بأنفسهم ذكرا له وحقا منه، وهو عليه بربهم رحمة منه وكتابا لهم.

إن الله قد صدق الناس هديه، وتعريفه، يوم قال لهم.. ويحذركم الله نفسه. إن الله يحذرنا نفسه، وقد أعطانا نفسه، فإذا أدركتم أن أنفسكم إنما هي نفس الله، فلا تفرحوا بما كشف لكم، فما آتاكم شيئا ولكن كشف لكم فطرتكم وصنيعته لتعملوا لكسب به فيه، واعلموا أن الله من هذا الحوض حوض اليقين يؤتيكم بلا توقف، ومن هذا الماء يسقيكم بلا ارتواء، ومن هذا النبع يفيض عليكم بلا انتهاء، ومن هذا البحر اللجي يأخذكم تضلون فيهديكم، وتغوصون فيخرجكم، وتعرضون فيشهدكم، وتصدون فيسمعكم، ضالا فهدى، وعائلا فأغنى، ويتيما فآوى.

إن من يصل إلى الضلالة في الله، فيحيره الفهم فيه في نفسه، إنما ذلك من يطرق أبواب الله، مقاربا له، حائرا فيه، يعرفه واجب الوجود، ويؤمنه المعروف في الشهود، وينشده منزها له عن نفسه في مطلق الوجود، عبدا له في الشهود، وهو لا يعرفه ولن يعرفه إلا في نفسه حقا منه سالمت أو خاصمت نفسه في قيامها، يطرق كل باب، ويسلك كل طريق، ويغترف من كل ماء، ويحدد البصر في كل نور، ويتأمل في كل ظلام، ويستمع لكل قول، ويستجيب لكل هدي، ولا يَزورُّ عن يد تمتد إليه بعطاء، ولا يظاهر وجها يجابهه بلقاء، يطلب الله، ويطلب الله، ويطلب الله.. أينما ولى، ويقصد الله كلما سار، ويسكن إلى الله كلما قبع، ويستشرف للمزيد كلما عرف، وينزل عن مكانته كلما شرف.

هذا الدين القيم أوغل فيه برفق، تنبه، تيقظ، احذر خدعة نفسك فيك، ولا تجهل عظمة إلهك، ولا تيأس من رحمة ربك لك، واعلم أن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى، فلا الطريق سلكها إلى مراده، ولا الغاية حققها لرشاده، ولا ظهرا أبقى لمواصلة مسيره ومعاده، إنه متلف لنفسه مطية لربه، إنه مفرط في أمره بيتا ونصبا لإلهه. إن النفس مركبه إلى الحياة يوم يريدها، إنها تقطع به الطريق فلا يصح أن يحملها بما هو فوق طاقتها، وبما لم ييسر الله لها فيتلفها. ولكن البشرية وإنسانها

يضع أصابعه في آذانه حذر الموت وفيه الحياة فلا يستمع لقول الله، {لا يكلف الله نفسا إلا وسعها}[11]، {ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها}[12]، {فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها}[13].

أيها الثقلان، أيها الإنس والجان، بأي آلاء ربكما تكذبان، هل جزاء الإحسان إلا الإحسان، وهل نهاية البهتان إلا الحرمان، أيها الخليلان، أيها الوجهان، أيها الأمران، أيها الكائنان، إنما الجنان في أن تتحدا، وتتواجها، وتتقابلا، وتمتزجا بالإيمان والإحسان، كل فيما خلق له لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وأن تقلعوا عن الخصومة والبهتان، لا شرف لأيكما إلا بالتقوى، وإنكما في مقام الخلق وفي عالم الخلق لا تصلحان إلا بالاختبار، وبالبلوى، فاصبرا لأمر ربكما، حتى يرفع عنكما يوم تصدقان وتأخذان كلا وضعه في الحياة فيرفع عنكما الاختبار، ويقيم فيكما الادكار، ويقوم بكما الإخبار، وتتحدث عنكما الأخبار. فهذا هو معنى الحق جامعا لكما أهلا لهذه الدار، يوم تقضون أيامكم فيها على تواصي باصطبار، وتعارف بادكار، فينتهي الإنذار، وينقضي الإعصار، وتتحقق البشرى، ويقوم اليسار، ويحيا الإنسان بشقيه من معنى النفس والعقل أو الإنس والجان، من جوهر العقل والنفس بمعنى النور والنار في ذاته صمدية سرمدية، عالما من هيكل أو دار.

هذا الدين القيم أوغل فيه برفق، إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى، وليتأمل الإنسان في نفسه يوم يفيض الله الإيمان على قلبه، ولينظر المتبصر يوم يتبصر فيبصر ما كان يعجز عن إبصاره، كم قضى في الضلالة وكم قطع من طريق الهدى، وليتأمل في أمره كم سمع فما استجاب، وكم نظر فما اتعظ، وكم لمس فلم يحس، وكم مر بآيات الله لا تترك عنده أثرا، ولا تثير في نفسه خبرا، إنه يوم استيقظ، يوم أفاق، يوم أدرك، إنما زحزح عن النار قيد أنملة، فلا يفرح بما يشهد من دان من فعل رفيق أعلا من مظاهر النعمة، ومن مظاهر الجنة، فعند الله الكثير والأكثر، وإنه بما هو فيه ما زال بالنسبة لما سيأتيه، ما زال على ما كان فيه بالنسبة لما قام له فيه، فلا يبالغ فيما تكشف له يوم آتاه، ولا يسرف في تقدير ما انتهاه أو توفاه، وليعلم، وليرشد، وليصدق الله، وليدرك أنه إذا أعطى فعطاؤه غير مجذوذ، وأنه إذا أنهى فهو الحافظ مما عنه نهى، وهو الغافر لمن وقع فيما عنه نُهي، وإن أطاع فما أطاع إلا بالمطاع، وأن الله فوق الطاعة والمعصية، لا تضره معصية، ولا تنفعه طاعة، وأن عبده إذا ارتفع إلى وصف العبد له، وقام في معاني العبد منه، وشرف بمعاني الحق فيه ارتفع فوق الطاعة والمعصية، يأتي الطاعة لا كما يأتيها الطائعون ولكن مثالا يضرب، ويتجنب المعصية لا كما يتجنبها المتقون ولكن مثالا يحتذى، ويقع في مقتضيات الجزاء لا كما يقع فيه المجزون ولكن ليضرب المثال بنفسه لمن يدركهم عن عجز أنفسهم ومغفرة ربهم، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى، غفرنا لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. إن الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه ما كان ليزل أو يخطئ، ولكن أظهره ربه في

مظهر أهل الزلة، وفي مظهر أهل الخطأ،{عفا الله عنك لما أذنت لهم}[١٤]، {عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى}[١٥]، يعلمنا به كيف يكون أدب الدعوة، {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا}[١٦]، يضع لنا قانون الإرشاد للمرشد، (أدبني ربي فأحسن تأديبي)[١٧]، هذا من محكم آي القرآن مما لا يقبل التأويل والتحريف، حتى تقوم الحجة به على المخالف، ويتيسر الانتفاع به للمتابع لقوله المحكم {اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون}[١٨] وبذلك كان المتعامل في الدين احترافا واسترزاقا من الناس مبعد عن أمر المتابعة السليمة، كما جعل الاهتداء من المتابع شرط في الانتفاع به بتأليف القلوب بتنفيذ أمر المتابعة الواقع نفاذه على الله طلبا وافتقارا، فهو وحده المؤلف للقلوب على قلب آيته وبيته بابتعاد التبعية للدنيا منه في حال الداعي ظاهر الحال بمجانبة أهلها وأحوالهم لأحوالها، لا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا، والعكوف على دعوته متحليا بصفة الصبر، ورحابة الرجاء من الله للناس، عاكفا على طالبي وجهه دون من جعل منهم زينة الحياة الدنيا. ووصف من عرف من يسلم له من عباد الرحمن بالمسلم، ووصف عباد الرحمن وعارفيه ومقدريه بعجزهم حق قدره بالمسلمين لله أو المسلمين لربهم.

إن الذي بعث ليتمم مكارم الأخلاق.. إن الذي قام ليقوم به الحق ما كانت حياته التي شهدنا كافية لكسب تجارب الحياة على ما أراد الله به، وعلى ما أراد الله له، ولكنه من ظهر آدم في خليقته، أو قل من ظهر أوادم آدمه بين خليقتها وحقيتها، بدأت تطوراته وتعليمه وتجاربه. في ظهور الأخيار وُجد، ومن بطون الأحرار تواجد، حتى ظهر بشريف ذاته. لقد كانت تجربة آدم من تجاربه، ولقد كان الأوادم آدما بعد آدم، وآدما قبل آدم ألواح كتابه، وكانت الكلمات من آدم، يظهرها رب آدم، منابر بيانه، وأيادي إحسانه، وأحواض مائه، وهياكل قدسه، وأبواب مدينته. لقد كان إنسان الله قبل آدم لإنسانه، وما كان آدم من قبل إنسانه إلا مظهر عنوانه، تواجد إنسانا، وظهر بآدم عنوانا، في أزل لا إدراك لبدئه، ويبقى كذلك في أبد لا إدراك لانتهائه يظهره آدم عنوانا ويصيره إنسانا، علما على الحق، علما على الله، علما على روح الحياة، علما على الروح الأعظم فالأعظم فاللانهائي، علما على الحياة، بحرا لا ساحل له، ومأوىً لا ضيعة فيه، عبدا عند من آمن به، وربا للمؤمنين بربه معه.

ما عرفنا من حق الحياة بالوجود أقوم منه قولا، ولا أطيب منه خلقا، ولا أرحم منه إنسانا، ولا أبرز منه عنوانا، ولا أشرف منه بيتا، ولا أبين منه كتابا، ولا ألطف منه حجابا، ولا أكرم منه اسما، ولا أشرق منه حقا. ذاك من ذكرناه عبد الله، ومن عرفناه رسول الله، ومن آمناه الحق من الله.

اللهم به فارحمنا.. اللهم به فقومنا.. اللهم به فيسر أمورنا.. اللهم به فأزل عنا عثرات أنفسنا، وعثرات الدنيا، وعثرات الآخرة.. اللهم به فانشلنا من أوحال التوحيد إلى فضاء التفريد المنزه عن الإطلاق وعن التقييد.. اللهم به فأقمنا منابر حقك، وألسنة صدقك، وأيدي وصلتك، ووجوه رحمتك، وعناوين حقك، وماء الحياة منك. لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين. اللهم يسر أمورنا حكاما ومحكومين، واغفر ذنوبنا حكاما ومحكومين، وتولَنا برحمتك وعنايتك وتوفيقك وتسديد منك حكاما ومحكومين، لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

أضواء على الطريق

(نحن سائرون نحو النور أكثر مما تعلمون. إن الحوائط القديمة التي ظنها الناس قوية جدا، والتي خندقت خلفها خرافاتهم وأهواءهم التقليدية وعقائدهم الثمينة تتداعى بسرعة عظيمة. لقد مست النفوس، وانكسر على عقولهم النور، وأصبحت القلوب أكثر قبولا. لقد أعاروا لحقائقنا آذانا صاغية. لقد تم نجاح كبير في السنين القلائل الأخيرة حتى حان الوقت لأن نقول إننا جزء من جيش منتصر. وهدف النصر بات على مرمى النظر. نحن نتكلم على علم عندما ما نقول إن عالمكم القديم المؤسس على الأنانية المادية يموت، وأن دنياكم الجديدة قد ولدت فيما بين ظهرانيكم. لنا أن نطلق الآن نغمة الثقة فلن تطول معاركنا مع اليأس.

نحن نحتكم دائما إلى الذكاء الباقي في الكائنات البشرية، ولو أنه يظهر أنه في بعض الأحيان أنه قد اختفى تحت أنقاض الجهل والخرافة والإصرار على العناد حتى أنكم تشكّون في مجرد وجوده.

إن الذين قاموا بأعمال التضحيات في الماضي يرون الهدف كلما اقترب الجيش رويدا رويدا).

من هدي السيد (سلفربرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة البقرة - ٤٤

٢ سورة آل عمران - ٧٩

٣ استلهاما من تعاليم السيد المسيح وهو يدعو حواريه أن يزرعوا "الكلمة" أي كلمة الله، أي المسيح في أرض ذواتهم.

٤ عبارة دارجة عند المتصوفة يذكرونها كحديث قدسي يتناغم مع الحديث القدسي (لم تسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن) الذي أخرجه أحمد بن حنبل في الزهد.

٥ حديث شريف: " المرءُ على دينِ خليلِه فلينظرْ أحدُكم مَن يُخالِلُ." أخرجه أبو داود، وأحمد، والترمذي.

٦ حديث شريف: " رُبَّ أشعثَ أغبرَ ذي طِمرَينِ، مُصفَحٌ عن أبوابِ النَّاسِ، لو أقسمَ على اللهِ لأَبَرَّه.": أخرجه الطبراني في ((المعجم الأوسط)) بلفظه، وأصله في صحيح البخاري ومسلم بنحوه

٧ الأنعام - ١٢٤

٨ حديث شريف ذات صلة: "خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى. وابدأ بمن تعول." صحيح البخاري وصحيح النسائي. أيضا من الحديث الشريف: "ابدأ بنفسك فتصدَّق عليها فإن فضلَ شيءٌ فلأهلكَ، فإن فضل من أهلك شيءٌ، فلذي قرابتِك فإن فضَل من ذي قرابتك شيءٌ فهكذا وهكذا، وهكذا." أخرجه مسلم والنسائي.

٩ استلهاما من حديث شريف يخاطب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلّم الإمام علي بن أبي طالب: " فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لكَ حُمْرُ النعم" أخرجه البخاري ومسلم.

١٠ سورة سبأ - ٤٦

١١ سورة البقرة - ٢٨٦

١٢ سورة هود - ٥٦

١٣ سورة الشمس - ١٣

١٤ سورة التوبة- ٤٣

١٥ سورة عبس – ١٠:١

١٦ سورة الكهف - ٢٨

١٧ حديث شريف. جاء في الموسوعة الحديثية لابن حجر، والعسكري في كتابه "الأمثال"، والسَّرَقُسْطِيَّ في كتابه" الدلائل "، والسيوطي في كتابه" الجامع الصغير"، وابن السمعاني في" أدب الإملاء "، وأبو نُعَيم الأصفهاني في تاريخ أصبهان.

١٨ سورة يس- ٢١

(٣)

الكل أب والكل آب
في إنسان الأبوة والإياب
إنسان الله

حديث الجمعة

٨ شعبان ١٣٨٢ هـ - ٤ يناير ١٩٦٣ م

أشهد أن لا إله إلا الله، لا نحيط بشيء من علمه إلا بما شاء، وأشهد أن محمدا رسول الله أولى بالمؤمنين من أنفسهم، يمشي في الناس بنوره، يقوم ويتقلب في الساجدين، يتكاثر بمعناه عبدا وحقا من الله، قدوة للناس أجمعين، وأسوة للصادقين المتواصين، عطاءً للمفتقرين، أمة من الصالحين، وجها لله رب العالمين، وجها لله عنت له الوجوه، سجودا للحي القيوم، ووجها له في العابدين، به لربهم يشهدون، وللرفيق الأعلى ينظرون، ولله في أنفسهم يتعبدون فيوحدون، ويتوحدون، يشهدون لا إله إلا الله، ويقومون لا إله إلا الله، وينعمون لا إله إلا الله، ويصبرون لا إله إلا الله، حتى يكشف عنهم الغطاء، ويرفع عنهم البلاء، يوم يصيبون في الابتلاء، بصفاء نفوسهم، وشهادة وحدانية إلههم وربهم ورسولهم الذي أعطى كل شيء خلقه، فتخلق الناس، في معادنهم، في جاهليتهم، وفي إسلامهم، في غفلتهم، وفي يقظتهم، حتى إذا ما استوفوا تواجدهم في معدن من معادنهم، انتقلوا إلى صورة أخرى من معادن لهم، في أي صورة ما شاء ركبهم، وفي أي معدن ما شاء أوجدهم، وفي أي عالم ما شاء بدأهم، وفي أي صورة ما شاء صورهم، أعطاهم خلقهم، ثم هداهم فعلهم فعلمهم، وما علمهم إلا أن كشف الغطاء عنهم لهم عن معانيهم، في مواضعهم، وفي معالمهم، وفي معادنهم، وفي معارجهم. إن ما علمهم كان دينا لهم، وإن ما هم به، وإن ما هو أنهم، كان وجودهم وما أوجدهم، فكان الدين ما كشف لهم، وكان العلم معلومهم عنهم، فما فرق بين العلم والدين إلا الجاهلون، وما فرق بين الدين والعلم إلا الفاسقون، فالدين والعلم والاجتماع، إنما هي مسميات لأمر واحد، ولشأن واحد، ولحق واحد من أمر الإنسان، فالعلم اسم للدين، والدين اسم للعلم، كما أن الإنسان اسم لله،

كما أن الله اسم للإنسان، فالله والإنسان اسمان لأمر واحد، ولحق واحد، ولوجود واحد، ولعلم واحد، علما على معلوم واحد.

أما الحقيقة فلها شأن آخر، الإنسان بحقه وخلقه عنها صدر، والعلم والدين أو الدين والعلم بها عُلم، وبها عُرف، والوجود والكينونة فيها تواجد، وبغيرها لا تواجد له، ولا وجود له. العوالم في افتقار لها لتتواجد، ولتثمر في وجودها، ولتحتفظ بوجودها، هو الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا، وهو في السماء إله على ما أقام من أمره، وهو في الأرض إله على ما أقام من أمره، له الأمر، وله الحكم، وهو على كل شيء قدير، سواء في الأرض، وسواء في السماء.

في السماء يقوم أمره، وحكمه، وعلمه، ووجوده، وكتابه، وحقه لأهلها، على ما وعد أهل الأرض أن يكونوا يوما من أهلها، فيعلمون ما جهلوا، وينقطعون عن ماديتهم، ويجهلون ما علموا، في السماء رزقكم وما توعدون، حياة السماء، حياة الروح، حياة الملأ الأعلى.

إن مولد أهل الأرض في عوالم السماء ولدان مخلدون (لا يدخل الجنة عجوز)[1]، (لا يدخل ملكوت السموات إلا من وُلِد مرتين)[2]، وما خلقكم، وبعثكم، إلا كنفس واحدة، ألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها، ويحذركم الله نفسه، وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون. اقتلوا أنفسكم يتوب عليكم، اقتلوها في عزلتها وردوها لمن تواجد بها.

إن الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى جعل الإيمان به في الإيمان بالنفس منه، جعل الإيمان برحمته في الإيمان بالنفس في عملها. إن الذي لا يؤمن في ثمرة عمله، وفائدة عمله، وحقي عمله، إنما هو مزعزع الإيمان في ربه. الله خلقكم وما تعملون. إن الذي أنت من عمله يقوم بفعله في عملك، فإن لم ترَه الفاعل في فعلك فلا رؤية لفعله، وإن غابت عنك رؤية فعله غابت عنك رؤية ذاته، وإن غابت عنك رؤية ذاته غابت عنك رؤية نفسك منه، وإن غابت رؤية نفسك منه غابت عنك رؤيته. إن الذي عرَّفك أنه قائم على كل نفس قدس نفسك، وخلد نفسك، ورفع في الخافقين ذكرك. إن الذي عرفك أنه أقرب إليك من حبل الوريد أوجدك لنفسه، وصنعك على عينه، وعبدك لوجهه، وحوطك لكرسيه، ونشرك لعرشه، واستوى على عرشه لمجده مجدا لك، أنت محدث ذكرك لذكره من قديم ذكره لعوالمه بمذكوره من خلقه، صنعها قديما لك، ويصنعها جديدا بك لما هو منه منك من الحق، على ما أنت من حقك من قديم، على ما قام قديم حقك من الأقدم في موصوف فعل له لا بدء له، في قائم وجود لا بدء لوجوده من موجوده، بموجده في سبق وجود، من سبق وجود، على ما كان، هو قائم عامل، وعلى ما هو قائم عامل يبقى قائما بدائم فعله، على ما قام وفعل في قديمه وأزله، قائما فاعلا في جديده وأبده، أنت معاني البدء بخلقك وحقك فيه له تعالى جد ربنا فيه، ما اتخذ صاحبة ولا ولدا.

الإنسان بجديده للإنسان بقديمه عبد لرب لا صاحبة ولا ولد. إن الذي كان أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم ما قامت علاقة المؤمن به وهو يمتد بنوره فيه يقوم ويتقلب بالسجود لربه في نفوس آبقة عن أحضانه، ما اتخذ في قيام علاقته برحمة الله فيه قاسما معطيا، قسمَه قسم الله، وعطاؤه عطاء الله ما تكاثر في الناس بنوره، وهو الكوثر بنور الله وبقدرته، ما فعل ذلك عن صاحبة ولا ولد. جاء في مجيئه الحق، أنزل عليه النور، تخلله قديم الإنسان جديدا للإنسان، محدثا في البنيان، غير محدث في العنوان، ما تجدده الحق عن صاحبة ولا ولد. ما قال له الحق قل جاء الحق وزهق الباطل إلا بعد أن وجده يتيما عن قريب أبوتيه ومادي نشأتيه، فآواه القديم إليه أما وأبا له، على ما عبر بالأب والأم عن معناه في صلته في ظاهر آدم لأبعاضه، منزها عن الأبوة والأمومة لخلقه، الخلق فيه، والخلق منه، والخلق له، لا أبناءً، ولا أجزاءً بل هم منه وجه معناه لذات إطلاقه، فإن علاقتهم به ألصق من علاقة الابن بأبيه، والأب بولده. إن الابن وقد خرج من أبيه فنمى ونمى حتى سواه رجلا لا يستطيع أن يدخل ويعود إلى ظهر أبيه، أو إلى بطن أمه، ولكن العبد لله، ولكن خلق الله، إنما هم لله وإليه يرجعون. إنهم إلى من خرجوا منه وتواجدوا به يوما يعودون، وفي أحضانه يدخلون، وإلى حضرته يؤوبون في أحسن تقويم نشأوا، وهم يوم له يذكرون وأنفسهم له يعبدون إلى حضرته يؤوبون، وإلى البيت المرفوع من البيت الموضوع إلى ربهم يرجعون، وجوها ناضرة بنور ربها لوجهه ناظرة بلطيف عينه لها.

إذا كان الله قد تنزه عن وصف الوالد مع الإنسان فما تنزه بهذا بعدا عن الإنسان، ولكن زيادة قرب من الإنسان لأنه جعل من الإنسان عليه عنوانا، عند عينه من الإنسان (ما ظهرت في شيء مثل ظهوري في الإنسان)[٣]، وما ظهرت لشيء مثل ظهوري للإنسان.

جاء الإسلام منزها الله عن المباعدة للوجود، منزها الله عن الغيبة عن الشهود، منزها الله عن أن يحاط به في المشهود، عرَّف الشهود وجها له، وعرَّف الغيب سعة له وإطلاقا له عن التقدير، وعرف الوحدانية وصفا له ووصفا لخلقه، وصفا لذاته ووصفا لعباده، يتوحد عباده يوم يؤلف بين قلوبهم فيتوحدوه، والوحدانية لجمعهم يشهدون، فعن وحدانية الوجود يعلمون، يوم يدركون عنها لهم فيمن على أنفسهم في وحدانيتهم يقيسون، وقد أعطوا من كل شيء سببا فيتبعون سببا حتى تكل بهم الأسباب، ولا ينقطع بهم الإياب إلى قديم حقهم وقديم المعروف بربهم، فينعكسون إلى أنفسهم وإلى قائم ربهم بهم وجديدهم به، على ما يدركون دوام جديدهم على عين قديمهم إليهم، حتى يكل العقل في مسيرهم، ويعجزوا عن اللحاق بجديدهم، فيتلاقى عند وجودهم وفيهم وبإدراكهم، حافة الأزل في نهايته عندهم، وبداية الأبد في بداية بهم، فيرجعون البصر إلى أنفسهم بعد كرتين من

تعقب أمرهم، وبذلك يستيقظون ويعكسون أبصارهم في بصائرهم فيشهدون حقهم، ما كذبتهم أفئدتهم ما يعلمون يوم يعلمون، وما أخطأهم إدراكهم عن ربهم به يقومون، وفيه يسيرون، فوق الزمن يتواجدون يوم يدركون.

يشهدون القادم من الأيام عين السبق من أمسهم بالأيام، فعلى حاضرهم يحرصون، وإلى قلوبهم يتجهون، وعقولهم يوقظون، ونفوسهم يزكون، واسم الله لهم يذكرون، يجلون صدأ القلوب، ويتناسون ما مضى من الذنوب، ويصلحون ما قام من العيوب، لا يأبهون بابتلاء الكروب، ولا ينبتّون بابتلاء رحمته بما يصيبهم في موقوت الحياة من نعم الدنيا، فالدنيا تجري في أيديهم يملكونها، ويصرفونها، ويبذلونها، ولا تجري في قلوبهم فيعبدونها، أولئك هم عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا لا اختيالا، ولا افتخارا، ولا كبرياءً، ولا عزوفا، يألفون ويؤلفون، أحواض رحمته في الأرض يقومون، تحيا بهم كل أرض ينزلون بها، فهم أمطار السماء للأرض ببقاعها، وتنير بهم كل أرض من ظلامها، فهم شموس نوره لأرجائها. كل ذلك جاءت به الأديان، وجاء به الهداة، وجاء به المرشدون، وقام الناس فيه ردحا من الزمن، كلما تجدد لهم وقام بينهم مجدد له، ثم ما لبثوا أن ارتدوا على أعقابهم، وما ضروا إلا أنفسهم. بدأ الإسلام في كل بداية له غريبا عليهم، وانتهى في كل نهاية له مستغربا منهم، فإذا ما بدأ بعد انتهاء كان الغريب بينهم والمستغرب عندهم، وها نحن في هذا العصر يتجدد بدؤه، ويشهد انتهاؤه، فلا إلى ما نهى عنه الناس ينتهون، ولا إلى ما بشر به الناس يستبشرون.

هم في دوام يستعجلون بالسيئة قبل الحسنة وإن خلت من قبلهم المثلات، ويستعجلون بالحسنة وهم غارقون في السيئات عنها لا يقلعون، حتى لا يجعلوا للحسنة فرصة بينهم بها تقوم فلها يقيمون، ولكنهم عن الحق يعمهون، وفي أنفسهم وبين جوانحهم، وأقرب إليهم من حبل الوريد، قائما على أنفسهم وبهم محيط، ومن ورائهم بهم ظاهر، لا يتفكرون ولا إلى وجوه الحق بهم كدرة أو نضرة ينظرون. إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا.

إن شهود الحق في حرية وأمان الكافر بالحق فيه أبرز وأقوى عند من يعقل من شهود الحق في المؤمن به عند من يعرفه. وإن في جحود الكافر للحق في المؤمن آية الله يوم يعمى الإنسان عن الحق في نفسه، فما الظلام إلا حجبه، وما حجبه إلا عوالم المادة، وما النور إلا حجبه، وما حجبه إلا عوالم النور وعوالم الروح، أما هويته، أما هو، أما علوي ذاته، أما معروف معناه، أما جلاله، أما عظمته، فقد تنزه عن الحجب، وتنزه عن الحدوث، وتنزه عن البدايات، وتنزه عن النهايات، لا يعلمه إلا هو، ولا يقومه إلا هو، وما كان للإنسان فيه شرف إلا أنه إلى هذا يكون، وبهذا هو كائن، وفيه كان، لا يجد أمره على

الإنسان، ولا ينفصل حقه عن الإنسان، ولا يحرمه في مآله الإنسان، ولا يفتقده في حاله الإنسان، وما من غيره تواجد في قديم الإنسان، وبذلك كان الإنسان في الله عين الرحمن وعين الله.

يتواجده الله بعد أن يبتليه يوم لنفسه يصطفيه، يفنى في الله، ويبقى بالله، ولا يفنى الله فيه، ولا يبقى الله به، ولكنه هو الذي في الله يفنى، وهو الذي في الله يبقى، فوُصف البقاء للإنسان، ويتنزه عنه الله، ولكن يتصف به العنوان وهو الإنسان. فوصف البقاء للباقي فيه احتمال أن لا يبقى، وهذا ما لا يليق ولا محل لأن يتصف به الله.

إن الإنسان يفنى عن معناه إلى معنى الله، وإن الإنسان لا يبقى بمعناه يوم يبقى، ولكن بمعنى الله يبقى. إنه يفقد الاسم فيحيا المسمى، إنه يبقى المسمى، ويبقى المذكور، فيصير الذكر، فيشهد أن لا إله إلا الله، ويقوم لا إله إلا الله، ويُشهد لا إله إلا الله، ويقيم لا إله إلا الله، فيعلم لا إله إلا الله، ويُعلم لا إله إلا الله. ذلك هو الإنسان، وكان في هذا المعنى عبد الله ورسول الله والحق من الله، فصلى عليه الله، وطلب من الناس أن يصلوا عليه تخلقا بخلق مولاه. اتخذه قبلة لجديد معناه بخلقه ومجلاه، أقرب إليهم من حبل الوريد، قائما على كل نفس، فما صلى عليه منهم إلا إياه، وإنه بتخلقه بخلق ربه أمر أن يصلي بدوره عليهم، ويتخذ منهم قبلة لتكاثره بمعناه، ويصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه لتكون صلاته سكنا لهم، فيشهدونه بلطيفه من نوره بعينه فيهم لمرادهم فيه، وبذلك يعرفون الله في أنفسهم، وبذلك يعرف الله في نفسه لنفسه في خلقه. إن الله يبحث عن عبده، كما يبحث العبد عن ربه. ما جعل لمحمد الخلد إلا بوصف العبد للخالد. به صار العبد حقا مع وصف العبد له.

اللهم يا من لا إله إلا هو، ولا غيبة له، ولا شريك له، اللهم أشهدنا وحدانيتك في فنائنا عنا إلى قيامنا بك، وقيامك بنا لنا، وقوم فيك سبيلنا برحمتك، وأعلِ همنا بإرادتك، وعبدنا لنفسك على ما أردت، واصنعنا على عينك بين يدي رحمتك، اللهم عاملنا بعفوك، وقنا من شرور أنفسنا وشرور الأشرار من خلقك.

اللهم إنا عرفناك الغني، وعرفنانا الفقراء، اللهم آونا إلى غناك، وقنا شر الافتقار لأنفسنا. اللهم اجعل من عبدك ورسولك لنا قدوة، ولنا فيه أسوة، وآونا إليه على ما آويته إلى ربه، وآويت ربه إلى ربه وآويت الأرباب إلى ألوهيتك بوحدانيتك، وآويت كل آله بك إليك، وآويت كل مربوب منك إلى ربه فيك. اللهم لا تجعلنا في جهل بك عنك في أنفسنا حتى لا نعمهك في أنفسنا. اللهم لا تطغي نفوسنا بما علمت، وبما أعززت، وبما أكرمت، وبما وهبت، حتى لا نتطاول إلى عظمتك في لانهائي تعاليك. اغفر لنا وتب علينا.

أضواء على الطريق

(لقد كافحت لأجل أن يكون لديكم معرفة أكثر عن أنفسكم، وحاولت أن أعلمكم مسئولياتكم حتى يمكنكم أن تعلموا أن الحق يصحبه مسئولية تطبيقه في الخدمة. لقد حاولت لأعلمكم قوانين مملكة أعلى وحياة أعظم. لقد علمتكم لتنظروا إلى ما وراء نصوص الطقوس الدينية حتى تصلوا إلى النواة الحقيقية لكل دين. وهي أن تقدموا الخدمة لمن يحتاجون إليها حتى يجدوا المعرفة الثمينة التي تنشر السعادة بين كل البشرية). من هدي السيد (سلفربرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ حديث شريف: "أتت عجوزٌ إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقال لها صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: لا يدخلُ الجنَّةَ عجوزٌ فبكت، فقال: إنَّك لستِ بعجوزٍ يومئذٍ قال اللهُ تعالَى {إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا}. المصدر: تخريج الإحياء للعراقي. كما أخرجه الترمذي في ((الشمائل المحمدية)) باختلاف يسير.

٢ إشارة إلى كلمات السيد المسيح عليه السلام: "الحق الحق أقول لك: ما من أحد يمكنه أن يرى ملكوت الله إلا إذا وُلِد ثانية." (يوحنا ٣: ٣)

٣ مقولة صوفية تتناغم مع تكريم الله للإنسان.

(٤)

شعبان
للدين والديان
في إنسان الإحسان

حديث الجمعة

١٥ شعبان ١٣٨٢ هـ - ١١ يناير ١٩٦٣ م

شعبان.. أمتان.. إنسانيتان.. بحران.. عالمان.. وجودان.. حقان.. أمران.. ذكران.. زوجان.. أبوان.. ولدان.. آدمان.. رجلان.. محمدان.. عليان.. برشان.. غيبان.. ظاهران.. قل إنما أعظكم بواحدة، أن تقوموا لله مثنى وفرادى، ثم تتفكروا.

اثنان.. واحدان.. أحدان.. كل ذلك من اثنينية لواحدية فأحدية، خلقناكم أزواجا، في أحدية الله، لا إله إلا هو، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. كان رسوله بمعناه بشعبان النفس العذرية للجنس، والروح العصماء للأرض، ونبات الأرض والسماء، شجرة خضراء، وفروعا ورقاء، ودارا بيضاء لدار ظلماء.

الوجود ما بين ظاهره وباطنه، وجود واحد. وآدم بين ذاته وإنسانه، وجود واحد. والإنسان بين وجوده وعنوانه، إنسان واحد. والرسول، ومرسله، حق واحد.

العبد، ومعبوده، عابد واحد. والرحمن ومرحومه، رحمة واحدة. الكتاب، ومُسَطِرُه، عالِم واحد. العالم، وخالقه، عَلَمٌ واحد. المتعلم ومعلمه، معلم واحد ومتعلم واحد.

بكل هذا جاء محمد الله، عبدا وربا، رسولا ومرسلا، حقا وخلقا، موجودا ومتواجدا، ظاهر إنسان، لباطن إنسان، في قائم إنسان. ظهر به إنسان القيام عليه، ظاهره عبد، لباطنه رب، ظاهر إنسان باسم الخلق لباطن حق بمعنى الإنسان، الإنسان الخالق لنفسه على صورته علما على الرحمن...

لمعناه تعلَّم فعلِمَ، وعلَّم ما علَّمه معلمه فتعلم. وأقيم وقام، فأقام ما أقامه متواجده، من موجوده، وقد أظهره غيبه على الدين كله، فكان الدين كله. عَلَّمه خلق نفسه فأعاد لنفسه خلقا لها، وعلمه خلق كونه فخلق من كونه بكونه كونا له، وعلمه وجود وجوده من أصل وجوده في أزلي وجوده فداوم تواجده، وكان رحمة للعالمين، وعلما للمعلمين، وشهيدا على الشهداء القائمين، وجماع أنبياء رب العالمين، مجددا جماعه برسالة في اجتماعه على جديد عوالمه، فكان وجه الغيب، وحق الشهادة، قام فما عرفه غير ربه.

عرف أناه، من أنانيته لربه، أنًا له، ووجها له من أنانيته لوجوده، لا بدء لها، ولا انتهاء لها، ولا حصر لها، ولا عد لها، ولا توقف لها، فدعا إلى (أنا) ربه، بالهو، متجاهلا أناه، في أناه، من أناه، فقال ربي الله، ولا يستكبر عن عبادته، ولا يعلو على معبوده، مهما علا في حقه ووجوده. وأضاف نفسه ومعناه إلى من دعاهم إلى مولاه عبدا وعبادا لله، بشرى منه للصِّديق، وتيسيرا للطريق، عَلَّم الله، وعَلَّم ربه، وأعلم الحق للناس، وكشف لهم عن حقيقتهم، في حقيتهم، من حقيقتهم، بما قام به بينهم مثلا لهم، ورسولا من أنفسهم، بشرهم أن ما أعطي فلأمته، ووعدهم أنهم ما تابعوه كان لهم من الله ما له. عرَّفهم معناهم، عين معناه، عبادا لربه وربهم، وعرَّفهم أنهم له وعنده نفسه وعينه، يحرص لهم على ما حرص عليه لنفسه من فيض ربه على ذاته، وبيته، وأهله، فكان رحمة ربهم، وعين رحمة ربه، وحوض الحياة لهم، على ما كان ربه له، حوض الحياة له، فقال أنا معطَى ولست معطِي، فالمعطي فيما أعطى هو ربي، وأنا قاسم ولست بقاسم، والذي قسم لكم فيما قسم إنما هو ربي. أنا لكم يده، وعليكم ولكم وجه طلعته، ومنه لكم رحمته، فلا تجعلوني عندكم فرطا على حوضي، حوضا لكم، تستقون منه ماء الحياة، وما كنت لكم إلا ماء الحياة، ما عرفني غير ربي، حتى أنا لم تكمل بعد معرفتي لي عني.

ها هو يظهر في رسالة العصر، وهو عين العصر، وعين الدهر، وعين كل عصر وكل دهر في قانون نظام الحياة، أعطي الكوثر، وجعل شانئه الأبتر، يقوم ويتقلب في الساجدين.. يتلو كتابه على مكث لعينه من الآخرين. إن من فرض عليه القرآن رده إلى عودة، متكاثرة، متعددة، غير منقطعة، ما كان الله ليعذبهم وهو فيهم، وما كان الله ليعذبهم منظرين وهم يستغفرون، يستغفرون من أناهم منقطعا، ومن مادتهم مستعلية، ومن أوزارهم محددة، ليرجعوا إلى من هو لهم أصل، هم فيه له فرع، يرعاهم، ويربهم، وينميهم، ويصلهم، ويعطيهم عطاءً غير مجذوذ. أفحسب الإنسان أن يترك سدى.

الرسول أولى بالمؤمنين من أنفسهم، والله أولى بالنبي من نفسه، والله أولى بعباده من أنفسهم ومن أنبيائهم، والله أولى بخلقه من أنفسهم وخالقهم. إن الإنسان لربه لكنود. وإن ربه له لغفور، يبتعد عن ربه فينتظره، ويعود إلى ربه فيحتضنه، يتيما يأويه، وضالا يهديه، وفقيرا يغنيه.

إن الأمران.. إن الإنسانان.. إن الآدمان.. إن الشعبان، إنما هو أمر الله، وحق الله، وحقيقة الحياة، بين ظاهر وباطن الحياة. ها نحن في هذا العصر نستمع إلى صوت السماء مناديا، ونستشرف إلى يد السماء مدانية، وننظر إلى وجه السماء مقاربا مسفرا في رسالة الروح، كلنا يعرف برشا، ويسمع اسمه، ويسمع عنه، ويعرف عنه، ويجهله، أو يعلمه، يستجيب له، أو ينفر منه، على صفاء في نفسه مقاربا، أو على غلظة فيه مباعدا، وهو لا يعرف من يكون برشا هذا، كما أنه لم يعرف بالأمس من يكون محمدا هذا!! إن هذا الذي جهلنا بالأمس، والذي نجهل اليوم، إنما هو شعبان.. إن برشا ومحمدا رفيقان ومحمدان وبرشان، وروحان، وآدمان، وخضران، وكلمتان، وحقان، وحقيقتان، وأمتان، إنهما شعبان، {إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا}[1]، {وخلقناكم أزواجا}[2]، {تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم}[3].

فهل درى الإنسان ما الإنسان؟ وهل طلب الإنسان الإنسان؟ وهل طلب الآدم من الإنسان الآدم من الإنسان؟ هل طالب حاضر الآدم من الإنسان، قديم الآدم له من الإنسان؟ وهل عمل ليكون جديدا من الإنسان بجديد من آدم له، فتعارف العنوان، إلى من كان له عنوان، وأوجد الإنسان بآدم الإنسان ليكون لنفسه العنوان، بجديد من آدم في سرمدي الإنسان، عنوانا عليه وآدما له، وإنسانا لإنسانه؟

إن قانون الحياة وقانون الوجود، وهو يضع مادة أصيلة في دستور الحياة يوم يقول للناس {إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم}[4]، إنما عنى أن عيسى وآدم آدمان، وأن آدم وعيسى لله كلمتان، وأن آدم وعيسى روحان.. وأمتان.. وشعبان، أمة خلت لها ما كسبت وأمة في عمل لها ما تكسب. فهل وحد الناس أنفسهم بمتوحديهم بينهم لأنفسهم حتى يتوحدوا مع من يعلوهم بطلبه، ومع من يسفلهم برحمته، فعرفوا دستور الحياة؟ وقد أُعلموه كافة يوم بُلغ إليهم محمولا بأمة رسوله، كنتم خير أمة أخرجت للناس، أمة وسطا، خلت من قبلها أمم، ويتابعها ويتواجد من بعدها أمم، يشهدها مما خلى من الأمم آية لهم أبناء في الفلك المشحون، وتشهد ما يأتي من الأمم، شهداء على الناس، مشهودين من أزلي الناس، أمة وسطا، تؤمن بالله، وتأمر بالمعروف منه، والمعروف به، وتنهى عن المنكر، وتدعو إلى الخير، أناجيلهم صدورهم، وابن مريم مفرداتهم ومثال جماعاتهم ضرب لهم مثلا ليكونوه ويكونهم، في روح قدس الله، أمومة رحمتهم في أزلي رسوله، وأبدي رسالته، وأمين حقه، وقائم

خلقه، وقيوم حياته في قائم إنسانه من سرمدي معناه، أعطي الكوثر لخيرهم، والتكاثر لمعانيهم بمعناه، متحققة معانيهم بحقه، متكاثرا بمعناه بدءا من خلقه لخلقهم، كوثر الحق لهم لكوثر حقهم بهم يتكاثر، خلقا وحقا، به يتحققون وبه يتخلقون وبه يتطورون وبه يخلقون وبه يتكاثرون.

بمداناته لهم، بالحق أُنزل، على ما فُعِّل، وبالحق ينزل على ما يفعل، يتوحدون معه، فيتوحدون مع الحق، بوحدانيته معه، وبالحق فيهم به رسولا يتوحدون مع دائم الخلق على ما علموا، وعلى ما عُلِموا، فيعلّمون، ويُعلمون، وبالحق فيهم بحقائقهم يدانون ويتابعون، {أفمن جعلنا له نورا يمشي في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها}[٥]، والنور الذي أنزل معه، {نهدي به من نشاء}[٦]، فمحمد بمعناه إنما هو قرآنه وكتابه وعلمه وهديه وعَلَمَه قرآنا حيا بعترته لا يمسه إلا المطهرون، ولا يسري إلا في قلوب المتطهرين، ولا يمس إلا قلوبا تطهرت فأصبحت للنور عترة، وأصبحت للناس كتابا، وأصبحت بين الناس وبين الحق حجابا، من داناها دانى الله، ومن دانته داناه الله، عباد الرحمن يمشون على الأرض هونا صنو الكتاب وعترته، ثقل مع ثقل الكتاب، كتاب الوجود، ترك الرسول فينا الثقلين، كتاب الله وعترته، نقرأه في أنفسنا وفي الآفاق ونعرفهم في أنفسنا وفي الكون.

إن كتاب الله، وعترة الله عالمان.. وإنسانيتان.. وأمتان، وشعبان.. في حق واحد، في شعب واحد، في حضرة واحدة، في حقيقة واحدة، هي حقيقة الإحسان من عالم الرشاد.

ماذا فهم الناس من حديث الله تتحرك به ألسنتهم، وتعلو به أصواتهم، وتترنم به نفوسهم، وتتجول فيه عقولهم، وتعرج فيه حقائقهم، وترفع به طبقاتهم، ويحكم به أمرهم، في ظاهرهم من دناهم، وفي آخرهم من مولاهم؟ هل فهموه إلا ألفاظا وكلمات، وحروفا وآيات، ورسوما ووريقات؟ هل فهموه نورا يغزو القلوب ويمحو الذنوب، ويفرج الكروب، وينصر المغلوب، ويستر المعيوب؟ هل فهموه نور الحق تشرق به مشكاة الصدور؟ هل عرفوه ماء الحياة تهتز به فلذات القلوب؟ هل عرفوه عترة الناس بعترة رسول الله قرآنا يمشي بينهم على قدميه، وينظر إليهم بعينيه، ويقلهم ويظلهم بيديه؟ ماذا عرف المسلمون عن الإسلام؟ لا شيء.. إلا من رحم، وقليل ما هم. (بئس العشيرة كنتم لنبيكم)[٧].

أعجبهم ملك سليمان، وجمع قارون، وقد زال من بينهم سليمان وملكه، وقارون وماله، وما زالوا يتعلقون بالسلطان والزينة والبهتان، ويطغون بأنفسهم على من هم عين أنفسهم من أنفسهم من الناس، من الإنسان يستعلي بعضهم على بعض، لا يتراحمون، ويتعلم بعضهم على بعض، لا بحق يتواصون، ولا عِلما يكسبون، وباسم العلم جهلا ينشرون. هذه هي الحياة على ما نتواجدها اليوم، وعلى ما تواجدها آباؤنا في كل يوم، أسميناه بأمس، وهذه هي الحياة على ظاهرها، كما سوف تأتي في كل غد ننتظره بجديد ولا جديد، لا يربحها إلا القليل، ولا يربحها إلا السعيد، ولا يربحها إلا من

رحم الله. فالحياة على ما نشهدها كرات لذوات أهلها رابحة وخاسرة، وهذه حكمتها وهذه علتها يخسرها الأكثرون، ويربحها الأقلون، ثلل من الأولين، وثلل من الآخرين، في أولين لا بدء لهم ولا انقطاع لتواجد لهم، وفي آخرين لا انتهاء لهم ولا أول لهم في صمديتها بالوجود، على ما هو الوجود، في صمد الله على ما هو الله، وفي أحد الوجود وأحديته على ما هو الوجود بآحاده وأحديته في أحد الله وأحديته. آحاد من آحاد، وآحاد بعد آحاد، لا بدء لآحاد الله، ولا انتهاء لآحاد الله، ولا تعدد لأحاد الله في الله، ولا احتجاب لآحاد الله عن آحاد الله، ما وحد الله مع موحد له إنسان. إن الإنسان لله أحده وآحاده، بفرده وجمعه، بين ظاهر من عنوان من آدم وزوجه وبيته، وباطن من إنسان بحقه وكلمات الله فيه كلاهما شعب الله أو إنسان الله، في إنسانية الله، وأحدية الله، بيوتا لله لذاته ومعناه في اجتماعها على إنسان أعلاه، أو أدناه، من حضرة أرضية من ملأ الأرض، أو حضرة علوية من الملأ الأعلى من الإنسان.

في هذا الشهر، شهر الرسول شعبان، وفي ليلة النصف منه نذكر الرسول بشقيه، إذ يجتمع ظاهر الإنسان وباطن الإنسان، في بيت من قائم إنسان، يتلاقى فيه الإنسان بملئه من ملائكته وحقائقه بروحه، في حقي الإنسان بظلام أشباحه من العنوان أو تجمع غيوبه وحقائقه في طبقاته من قديمه لجديده، في طريقه للتواجد بالظهور بجديد في سمائه الدنيا من عرش أرضه {تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر}[٨]، فيها لمحة إرادة وغاية إذ تنتصف في جزء منها يفرق الزمن بين الماضي والمستقبل، ويمثل ضآلة الحاضر، فهي نواة يقوم بها شعبان، فهي خير من ألف شهر بما فيها من قضاء يفرق في أعماق النفس البشرية المظلمة، لو أدركها الكائن المظلم في وجوده في كرة الحياة بموجوده، فتنزلت فيها الملائكة والروح بإذن ربهم من كل أمر، لقامت نفسه في سلام حتى مطلع فجرها، { والفجر .وليال عشر .والشفع والوتر .والليل إذا يسر .هل في ذلك قسم لذي حجر}[٩]. إنها النظام الشمسي وما فيه من سراج وهاج وتوابعه في حال سديمه.

جاء شعبان حقيقة لمحمد بذات محمد، ليلة قدر، رحمة مهداة، وحقيقة مشهرة، {وقل جاء الحق}[١٠]، قلما ماحيا مثبتا، {وزهق الباطل}[١١]، تسرمد بظاهره وحقه، يقوم ويتقلب في الساجدين، ما جعل لبشر من قبله الخلد وله جعل (حياتي خير لكم ومماتي خير لكم)[١٢]، (أنا حي في قبري)[١٣]. جاء بكتاب لا يغيب، وعترة بذات تبين لا تحتجب، يتلوه في الناس على مكث ليبين لهم، وليبايعهم على أنفسهم بنفسه نفسا لله، يسترد أنفسهم بأوزارها، ويعطيهم نفسه في خلاصها حتى يخلصهم، ونفوسهم يبايع بها وقد طهرها، وحققها، ويضع عنها أوزارها، ويحررها من أحمالها، فيكشف الغطاء عنها، لتظهر وجها له من ورائها محيط، بمعناه من وجه ربه يتكاثر في تكاثره.

بهذا جاء كتاب الله مع محمد، وأمر الله به، ورحمته في رسالته وهديه، وعطاؤه في قيامه، وكسبه في قيامته، إلى ربه منتهاها، أفلح من زكاها وخاب من دساها، وما زكاها من زكاها إلا به، فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم. النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم. وَأْمُرْ أهلك بالصلاة واصطبر عليها. واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا ترد زينة الحياة الدنيا. لا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا. واخفض جناح الذل من الرحمة، وأنت الرحمن الرحيم فأنت بذلك جدير، وإن كنت بربك العزيز القدير، ولا تكن فظا غليظ القلب، ولو كنت لانفضوا من حولك، وشاورهم في الأمر، لا تهدر كرامتهم، لا تتفه إنسانيتهم، لا تحط من أمرهم، أما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر.

بهذا كله جاءت رسالة الله، رسالة الحق، مع محمد الحق، مع محمد الله، وها هو يجيء بها مرة أخرى، جاءته من السماء في أمس، ويجيء بها هو من السماء اليوم، ويقيمها في أنفسكم في ليل، إنه وربه أقرب إليكم من حبل الوريد، واعلموا أن فيكم رسول الله، إنه وربه أمران، وحقان، وحقيقتان وعالمان، وأمتان وشعبان، أنتم لهما ثالث. من دعا إلى الحضرتين بالحضرتين كان حضرة لهما، من قام بالأمرين كان أمرا لهما، من تعبد للربين كان ربا بهما، ومن تعبد للعبدين كان عبدا لربهما. لقد جاء محمد بالدين كله، وأظهره ربه على الدين كله، فقام بالدين كله، وأقام الناس بالدين كله، والدين كله لذلك رضي الله الإسلام دينا، وأغدق به على الخلق إيمانا ويقينا، وقال للناس يا أيها الناس قد جاءكم الرشاد، وتواجد بينكم الرشيد، ولن يغيب من بينكم الرشيد، ولن تحرموا الرشاد بعد محمد، {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون}[١٤]، {كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله}[١٥]، وبذلك انقطعت حاجة الجنس لمن ينبئ، فقد أشبعت رغبة الجنس للحق بالحق الذي كان عنه ينبأ قبل محمد. بمحمد الحق قل جاء الحق يتكاثر لا يفارق، يرجع إلى الناس روح قدس الله كلما غاب بذات لآدم، ويتواجد من الناس بحق ظاهر منهم كلما غفل الناس عن معاني الحق فيهم، ومعاني الحق لأنفسهم.

على هذا قام الناس بين يقظ وغافل، في كليهما الحق بين ظاهر وباطن أمران، وآدمان، وإنسانيتان، وشعبان، مرج البحرين يلتقيان، بينهما برزخ من شعبيه هو شعبان، لحق واحد ولأمر واحد، ولإنسان واحد، ولآدم واحد، هما فيه الآدمان والشعبان. يخرج منهما في برزخهما اللؤلؤ والمرجان، فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ ذلكم ما تفيض به كلمة شعبان في شهر شعبان من ليلة النصف من شعبان.

اللهم اجعلنا من شعبينا في شعبان، وحققنا من حقينا في حق شعبان، اللهم ارحمنا بشعبان، واغفر لنا بشعبان، واجمعنا جسدا وروحا في شعبان، وحققنا بمن شرف به شعبان، وشرف بشعبان، اللهم

إنا علمنا أنه لا إله إلا أنت فيك الخلق والحق من أمرك شعبان، فاجمعنا بخلقنا علينا بحقنا، واجمعنا بحقنا علينا بخلقنا حتى نشهد الحق فينا شعبان. يا من بين جسم وروح أظهرتنا، ومن جسم وروح جمعتنا، اللهم اكشف حجاب الغفلة عنا حتى نرانا شعبان، ونشهدنا شعبان، ونؤمننا شعبان، فنعلمك شعبان. اللهم اجمعنا على آبائنا بالحق، في الحق، واجعل منا شعبان، واجمعنا على خلائقنا وأبنائنا في الخلق بالحق، واجعل بنا شعبان، واجمعنا بأصولنا علينا بفروعنا في أنفسنا من نفسك شعبان. اللهم خذ بنواصينا إلى الخير، وأنزل سكينتك على قلوبنا، والسلم والسلام على أرضنا حتى نبقى على ما كنا، وعلى ما نحن، فيك في الحق والخلق شعبان.

اللهم بالمحمدين محمدا، وبالعليين عليا، وبالبرشين برشا، ألحقنا وأوصلنا وأقمنا حتى نشهدنا، بهما، فيهما، ومنهما شعبان. اللهم ادفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم. اللهم تولَنا برحمتك حكاما ومحكومين، وخذ بنواصينا إلى الخير حكاما ومحكومين، وثبت خطانا في طريقك حكاما ومحكومين، وأنزل علينا السلام، واجعلنا من المسالمين، يا أرحم الراحمين ارحمنا برحمتك، وتولَنا بعنايتك.

أضواء على الطريق

(لا تفكروا فيّ كمجرد صوت يكلمكم في الظلام دقائق محدودة، ولكن كحي موجود نابض دائما حولكم ويحيطكم محاولا أن يأتي لكم بالتي هي أحسن لرقيكم وتطوركم. إن الروح الأعظم يمكنه أن يكلمكم بعدة طرق ليس فقط في الكنائس والمعابد أو عبر الأنبياء الملهمين والوسطاء أو خلال الكتب المقدسة بتنزيلها غير المحدود. لكن أيضا خلال الطبيعة التي هي خادمته. حاولوا لتتعلموا كيف تصبحون موحدين مع قوى الطبيعة الخافية حتى يمكنكم الحصول من خلالها على القوة التي تكمن هنالك. إني أريد أن أنقل إليكم حب الروح الأعظم كما تعبر عنه كل قواه، تلك التي تتكلم وتلك التي تصمت).

من هدي السيد (سلفربرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة النحل - ١٢٠
٢ سورة النبأ - ٨
٣ سورة البقرة - ١٣٤
٤ سورة آل عمران - ٥٩
٥ سورة الأنعام - ١٢٢
٦ سورة الشورى - ٥٢

٧ حديث شريف: "بئس عشيرةُ النَّبيِّ كنتم لنبيِّكم، كذَّبتموني وصدَّقني النَّاسُ، وأخرجتموني وآواني النَّاسُ، وقاتلتموني ونصرني النَّاسُ، فبئس عشيرةُ النَّبيِّ كنتم لنبيِّكم". ورد في تفسير ابن كثير للآية ٧٩ من سورة الأعراف، {فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ}، إشارة لقوم النبي صالح عليه السلام، ثم ذكر هذا الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم. كذلك جاء في السيرة النبوية لابن هشام، نقلا عن ابن اسحق، في حديث سيدنا محمد لأهل القليب.

٨ سورة القدر - ٤

٩ سورة الفجر ١-٥

١٠ الإسراء - ٨١

١١ الإسراء - ٨١

١٢ من حديث شريف: "حياتي خيرٌ لكم تُحدِّثونَ ويُحدَّثُ لكم ووفاتي خيرٌ لكم، تُعرَضُ عليَّ أعمالُكم فما رأَيْتُ من خيرٍ حمِدْتُ اللهَ عليه، وما رأَيْتُ من شرٍّ استغفَرْتُ اللهَ لكم". أخرجه النسائي والطبراني.

١٣ حديث شريف يتردد في أدبيات التصوف، يتوافق مع الحديث الشريف: "الأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ". أخرجه أبو يعلي والبزار.

١٤ سورة آل عمران - ١٠٤

١٥ سورة آل عمران - ١١٠

(٥)

الفطرة
تُجدد بالسلام للإسلام على الأرض أقدامها وتبعث من السماء بالسمو أعلامها

حديث الجمعة

٢٢ شعبان ١٣٨٢ هـ - ١٨ يناير ١٩٦٣ م

إليــك..

إليــك يا من هو غيب وجـودنا..

إليــك يا من هو وجـه شـهودنا..

إليــك يا من هو كل شيء لنا في بقائنا وفنائنا..

إليــك يا من قام كل شيء بك فيك لك، أفنيته عنه وهو منك، وأبقيته بك وهو لك، ثم أسعدته بكشف وحدانيتك.

كل شيء هالك إلا وجهك. جعلت بالإنسان وجوه أحديتك، في أزل الإنسان من أزلك، وأبد الإنسان من أبدك، أوجدت الإنسان بك، فتواجد الإنسان لك فيك ليتعارف إلى نفسه تعارفا إليك فتعرف.

شهد لا إله إلا الله يوم شهد وجوده من وجودك، وشهوده من شهودك، وروحه من روحك، وحياته من حياتك، ونوره من نورك، وأنه لا يحيط بشيء من العلم عنك إلا في العلم عنه بمشيئتك باطن مشيئته، وبمشيئته ظاهر مشيئتك.

يا من تميزت بأحديتك فلا شريك لك، وتعددت بوجوهك فلا خفاء لك، وتعاليت بقدسك فلا إحاطة بك، واتسعت بذاتك في ذاتك من ذاتك لذاتك فما حرمت شيئا منك، ولا جززت معراج الرقي فيك، والعطاء بك.

إليك يا من جعلت الألوهية نظرا فيك، وقياما معروفا لك، ويقينا يقوم في إنسان خلقك عن إنسان حقك، تنشق أرضه عن سمائه بقيام وجهك. جهلك من عدَّدك مع نفسه، وعرفك من غاب عن نفسه إليك. غبت عن من غيبك بمشيئتك قرين مشيئته، وحضرت عند من آمن فاعتقدك فشهدك حاضرا في حضوره، من ورائه محيط، وعليه قائم، أقرب إليه من حبل الوريد برحمتك، في قيامه وحسه بعظمة قربك من عظمة تعاليك في عظمة شمول قدسك.

فتحت بالحكمة أبواب حضرتك، وأحييت بالروح قلوب خلقك، وحققت بالنور عقول عبادك، وأعليت بالحرية والانطلاق عتقاء قيودك في عوالم فعلك.

يا من جعلت من العلم عنا عين العلم عنك، ويا من جعلت من العلم عنا علما عنك دينا لنا، أدنتنا بالحرمان منك في طريق الغفلة عنك، وجازيتنا بكشف القرب منك في طريق الشكر لك، أودعت في مادة قيامنا سر قدرتك يوم تستحيل إلى طاقة بطاعتك، وجعلت في وعي طاقاتنا سر العقل لنا في ظاهر إرادتك منا، يوم تعي الطاقة أمرها من حرياتها وقيودها فتستجيب لنداء ربها، فتبايعه على نفسها نفسا له مع يد منه، ممتدة بين إنسانيتها منها رسلا من أنفسها، فتأخذ بنواصيها إلى عوالم النور، وحجب النور عنك، وحجب النور لك من حجب الظلام من أنفسها، فتسلك طريقها إلى الحق فتعرفك حقا في حقيقتها، يوم تتنزه بك عن خليقتها، وتتسربل بجلباب صورها علما على سر حقيتها، أمرا لك قائما بها، وعبدا لك بعوالمها، ووجها منك بحقيتها، يُشهد بك لعوالم الخلائق، يوم يسفر عنك بخلع جلباب الخليقة للقيام بواجب الحقيقة.

بهذا بشرت على ألسنة رسلك، ولهذا صدَّقت في ثياب خلقك، وبين النور والظلام فرقت، بما أقمت من سبلك، بعبادك يسلكون طريقهم من حضرتك وجوه طلعتك، وحقائق منك عنك فيك إلى عوالم التعبير عنك، بوصف عوالم خلقك، حتى إذا ما جاءوا عوالم خلقك، ورجعوا إلى عوالم حقك، أخذوا في ركبهم إليك من كان منك، كما صاحبوا في ركبهم منك من كان منهم، جاءوا إلى عالم البدء من خليقة هذه الأرض جماعات يقودها جامع لها، بوجه لك، إنسانا منك، ثم عادوا بركب من الخلق يتابعونهم إيابا إليك، على ما أردت، وعلى ما شئت فأحكمت، خالقا لا يتوقف فعله بخلق، وحقا لا يتوقف تحقيقه بحقائقه لخلائقه، إنما هي الطريق منك، والطريق إليك، منك وإليك أشهدتها عبر الزمن، وفي كل العصور في عالمنا وفي سائر العوالم بكلماتك وأوادمك وأبنائهم من أنبيائك كلمات منك وكلمات منهم، وحققت الأبناء بعين الآباء يوم كرمت بني آدم، وجعلت من الأبناء نواة لأصولهم من الآباء أوادم فيك، في عوالم خلقك وحضرات حقك، وجعلت من أوادمهم تعبيرا عن أزلي إنسانك في قديم عنوانك، ثم اصطفيت من بينهم الواحد والجمع، بعد الواحد والجمع، اصطفاء لا

يتوقف ولا ينقطع، فجعلت من العنوان إنسانا، وجعلت من الإنسان للرحمة عنوانا، وجعلت من إنسان الرحمة حقا، سربلته بقبضات نورك، وأفضت منه حياة روحك على أواني خلقك، من جديد أوادمك، في قائم معالمك، لا انقطاع لفعلك، ولا خفاء لقيامك بقائمك وقيومك.. سبحانك لا شريك لك.

ضربت بآدم مثلا، وبعيسى مثلا، وبموسى مثلا، وبنوح مثلا، وبإبراهيم مثلا، وجعلت من محمد أمة مثلا مضروبا جامعا لذلك كله، بفرد ذاته لأحديته، وجمع انفلاقه برتق قديمه، وقائمه بتكاثره في بيته وأهله لواحديته، وفتق جمعه متجددا في أوادم بدايات بصحبه لقيام تمام صفاته بأصحابه وقومه في حس وجوده بوجودٍ ضربته مثلا، وأقمته عملا، وعددته تكاثرا، ورفعته عطاءً، واستولدته بقاءً، وأظهرت نعمتك عليه رضاءً، ثم خفضته حكمة إيقاظا ورحمة، ثم عفوت عن ثيابه صفحا ومغفرةً، فرضيت من كان قد عَبدَك فيه مسجدا، وعبّدَ نفسه لك وجها قياما في رسولك، وقبلت به من استغفر من وزر نفسه، وتخلى عن شيطان مادته. {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون }[1]، {واعلموا أن فيكم رسول الله}[2] في عباد الرحمن يمشون على الأرض هونا كوثره ونفسا له، يصبرون نفوسهم نفسا لعبده ورسوله تتكاثر مع من يطلبون وجهه ليكونوا وجوها له لا تعدو عيناهم عنهم، ولا يلتفتون لزينة الدنيا من عبادها منهم سخروا لخدمتها ربا لهم، وعبادا لها يأمرون أهلهم وجمعهم ونوعهم ومن اتحد هواهم مع هواهم بالصبر والصلاة، لا يسألونهم أجرا، ويوفونهم من الله أجورهم، يدا لله يد القسم والعطاء، يد الرحمة وحسن الجزاء، يمتدون بيد العطاء، ويتقاعسون عن يد البلاء والابتلاء إنذارا وانتظارا ليقظة النفوس من منامها، وتخلقا بأخلاق ربهم في قوانين فطرتهم قائمة فاعلة، لا تختل موازينها، ولا يُطغى على سلطانها، الوجود كتابها وقوانينه آياتها، والكتب المقدسة بيانها والقرآن جماعها، والمؤمنين جندها، والمرسلون عمادها، والإنسان حقيقتها وجمعها، والواحد الديان إحاطتها. معرفته للنفس سعادتها، وحسه في الذات ساحته وساحتها، فيها برحمتها، ووحدانيتها. أينما كان الإنسان كان الله وكان الرحمن، وظهر وجه حقه، وقائم طلعته، فحيثما تواجد العنوان تواجد الإحسان، تنزه الكبير المتعال عن المكان، فهو في كل مكان، وتنزه عن الزمان، فهو في كل زمان، وتنزه عن القيود والتقييد، فوجهه في كل عنوان، وتنزه عن الإحاطة به، فهو الغيوب وراء كل عرفان أو قيام لإنسان.

بهذا جاء الإسلام مع رسوله، وبهذا جاء الوجه والعنوان مع عبده. كانت الذات المحمدية بخلقها وبحقها وبرسالتها وكتابها حلقة في معناها، تعريفا عن معاني عبوديتها لحقائقها في أزليها معها، قائمة في قيامه، باقية في بقائه. بها انتهى الإنباء عنه إلى قيام العبد له بقيام محمد لا يغيب في عين قيامه، يتلو على

مكث، ويبين على إقامة، ويتلقى على دوام. يقوم ويتقلب في الساجدين، على نظام تنشق عنه الأرض بآدم خلقا، وتنشق عنه السماء ردا كلمة وحقا، لتحقيق الخلق، بالحق ينزل، وكم بالحق في قديم نزل، وكم بالحق في قادم ينزل، وبالحق في مجهول أُنزل، فهو يُنزل ويَنزل، فارض القرآن عليه راده إلى معاد، راده بحقه، ومحققه بخلقه، رحمة للعالمين، مدركا للقليلين، عند ثلة من الأولين، وثلة من الآخرين هم القيمة على الدين، يتابعهم أهل الإيمان واليقين قيامة الحكمة، وقيامة الروح، وحياة النور، ونهاية الخلق، وبداية الحق، يوم يطلب الخلق معنى الحق لأنفسهم في أنفسهم، تصديقا لرسول الله، وفرقا بين الحق والباطل في الوجود، استجابة لأمر الله، بالانتهاء عن منهيه، والقيام في مأموره، والسير خلفه، في الطريق إليه سبيلا لله، حتى تحيا القلوب بروح الله، ويشرق النور على ظلام النفوس من ذوات الخلق من عوالم الله، في مشكاة الصدور، وذوات القبور، فينزل ماء الحياة على أرض القلوب لأجداث القيام بعد موتها عن معاني الخلق ودخان الظلام، إلى معاني بيت الله يشاد ودار الله تقام.

بهذا كله جاءنا كتاب الله، وسنه بيننا رسول الله، وأبانه لنا عباد الله، بعبد الله، بمحمد الله، لإنسانية الله، لأمة الله، أمة وسطا، عرفت الله، معروفا عند من قبلها، موجودا عند من بعدها، عرفت الله بقيام على قائمها، على ما قام في أصول إنسانيتها من إنسانية، وعلى ما بها يقوم بإنسانية له على إنسانية لها، وعلى ما سوف تقوم بإنسانيتها على فروع إنسانيته منها، خلقا لها وعبادا له، يشهدون الله أقرب إليهم من حبل الوريد، بأرباب منهم في أصول لهم، وعبادا له لكلمات عنهم، أربابا لهم، كلهم راع وكلهم مسئول عن رعيته...

الرسول قدوتهم وعنوانهم، بذاته وبيته وأهله، وأصله وفرعه، وصحبه وأتباعهم أتباعا له، خيرهم منهم خيرهم لأهله، وهو لهم خيرهم لأهله، طلب الله إليهم الإيمان به، والتقرب إليه، مزيدا في معارج الإيمان بعظمته، ومزيدا في القرب إليه، جعل في مودته مودته، وفي القرب منه القرب منه، جعله الحق المقارب لحقائقه في خلقه، يوم يتحققون به، ويتخلقون بخلق ربهم في الصلة به والتخلق بخلق عبده، عرَّف العبد عن ربه، وعرَّف الرب عن عبده، وما زال العبد يعرف عن ربه، وما زال الرب يعرف عن عبده، عظم العبد وعظم ربه والعظمة لله، وتنزه العبد كما تنزه الرب والتنزيه لله.

إن الذي خلقنا أزواجا في جديد، ما تواجدنا إلا أزواجا في قديم، ولن نتعارف إليه إلا أزواجا في قادم، رب الرتق والفتق فاتخذه وكيلا، بفلقك من وحدة نفسك إلى شقيك من قائم جنسك من أحدية ذاتك، ببشري جهازك إلى جهازين على مثالك، من شقيك بزوجك في رتق، لأحديتك في جديد طور لك، أنت فيه لباس لزوجك وزوجك لباس لك، فتعرف عن صفات ربك في قائم صفاتك بقيام موصوف العبد والرب فيك، لا يسبق وجود الخلق وصف الحق له ولا يسبق وجود الحق

وصف الكون والخلق له، تعرف أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقهما، وجعل من الماء الدافق من بين الصلب والترائب كل شيء حي، وتعرف أن طور السماوات والأرض من أطوار الناس، وأن ماء الأرض مع يابسها زوجان، وأن ماء النفس من يابسها من الصلب والترائب صدر بفتق من رتق، وأنه إنما يمثل ماء السماء تستقبله الأرض، وأن السماء والأرض عالمين كزوجين من فردين، يتطوران بما يصدر منهما كفرد، شقيه بولد هو عين الأصلين، هذا هو كلمة الله وجها لأصليه، وبداية لحقي خلقهما بجديد لهما، هو{الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا ونساءً }٣. هكذا فعل، وهكذا هو اليوم فاعل، وهكذا سيبقى فعله، سيبقى أبدا كما كان أزلا، فلا تحرفوا كلم الله عن مواضعه في وجود الله الصمد، لا جديد تحت ظله بشمسه، ولا جديد فوق ظله من شمسه، لا جديد بعد شمس عبده، ولا جديد قبل شمس خلقه، لا جديد قبل آدميتكم، ولا جديد بعد آدميتكم. إن ثبات آدميتكم فيه على ما هي فيكم على ما ترون، إنما هي صمديته في حقه، عبر عنها بصمدية خلقه، فلا تغيبوا الله عن صمده بظهوره أو عن صمده بغيبه.

إن الذي جاءكم به الدين، وتقومه الفطرة عن مولد وموت، إنما هو تعبير عن بدء وانتهاء في وصف خلق، وعروج بمعنى، في سلم جزاء، من أرض حصاد، إنما هو تعبير عن الحياة في سرمديها على ما تشهدونها في ساعتها، وعلى ما هي قائمة في وحدتها مظهرا لباطن لها، به تزدوج وبها يزدوج في وحدة الظاهر والباطن. فإذا تحدث لكم الدين عن جزاء، أو عن أمر أو نهي بما تؤمرون به أو بما تنهون عنه، فإنما هو وحي العقل وضمير الذات، يوم يقوم العلم عن الإنسان من الإنسان للإنسان في نفسه. فما صدرت لكم أديان إلا عن إنسانية أصولكم، وما تحققت لكم ذوات إلا باصطفاء قديمكم من الحق لحاضركم من الخلق، تشهدون أمره في أنفسكم يوم تجددونها شهودا لكم، عطاءً منكم بوصف الآباء لكم على وصف الأبناء منكم. ويوم تفعلون هذا مع الأبناء على عين فعل الآباء معكم يأتيكم يقين الحق وصفا لكم. إن ما هديتم به من قيامة أو ساعة أو بعث أو حشر، وما بشرتم به من خروج من عدم إلى قيام في دوام، وما عولج أمركم به من نار تُرهَب أو جنة تطلب، إنما هي أمور في أوصاف الحياة، يوم تتصف عندكم لكم الحياة، يوم تطلبون الحياة، وتحققون قسطا من الحياة، ويتكشف لكم عنكم ثقل أحمالكم وأوزاركم من أثقالكم بمادتكم، وما فيها من طاقة تجسدت بكم تجمدونها ولا تعيدونها للطيفها، فتعرفون معاني الشيطان الرجيم فيكم، والشيطان الكريم لكم، تستقيمون بالشيطان، وترجمون الشيطان بالشيطان، في صراع ضمائركم مع صفات غرائزكم، تنساق عقولكم لتحقيق شهوات ذواتكم ونفوسكم، يؤخذ بنواصيكم في طريق الجحود والكفر. ويوم تستجيب قدرات ذواتكم وصفات نفوسكم لنداء ضمائركم، فيدبر لها العقل قائدا لا مقودا، وسيدا لا مسودا، ورائدا لا مرودا، يؤخذ بنواصيكم في طريق الإيمان، وطريق الحق والشكر، يوم تسعدون في أنفسكم بسلطان عقولكم، وحرية نفوسكم، ولطافة

ذواتكم تفك رقاب معانيكم من أسر أوزاركم فتسبحون في الوجود، خلق لكم، في دار عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين منكم، للتوابين، للرجَّاعين، للآيبين إلى أصولهم من الحق، استطاعت عقولهم مضيا إلى أهلهم، في أحسن تقويم، والرجوع لأبنائهم بالبشرى عن دار النعيم، لا قيود للأجسام والأبدان، والأوزار، ولا ضيق في الإدراك، ولا انحطاط في الغاية في أسر شهوات النفس، حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات، ولمن خاف مقام ربه جنتان، ومن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز، هذه الدار أول أبواب جهنم، هذه الدار أول أبواب الجنة، أول أبواب الجنان.

إنكم في عالم تولدون فيه مولد فطرة، لا ترتبطون بقديم، ولا تحرمون من قادم، كل مولود يولد على الفطرة، اطرحوا جانب قديمكم، واعلموا أنه ما كان حسنا، وإلا ما كنتم هنا، واعلموا أن الشيطان يجري من أنفسكم مجرى الدم فلا تغيبوه عن معانيكم بمادي قيامكم، فضيقوا فيكم مسالكه بالجوع والعطش، وافرضوا إرادة الخير عليكم في القيام في قوانين السلامة لأبدانكم. إن لبدنك عليك حق، وإن لعقلك عليك حق، وإن لنفسك عليك حق، وإن لروحك عليك حق، وإن لنور الحياة فيك عليك حق. إنك يوم تعرف من أنت من الحق، تقوم بواجبك لكل هؤلاء بالحق، فارتفع بمعناك، واطلب لمولاك، وسدد فيه طريقك، وقوم فيه مسلكك وخطاك، واعرف الحق تعرف أهله، وفرق بين الحق والباطل في فعلك، وميز في اختيارك لمن عرفت خبيرا بالحق، له تابعت، ومعه سلكت، وله بصلاتك استقبلت، بيتا لمن نشدت ووجها لمن طلبت، وعينا لعين معناك، بمعناه لمعناك تقوم، وبمعناك في معناه لك يتواجد وبك يعمل، خلقكم أزواجا، قوموا لله مثنى، يجمعكم فرادى، قوموا لله إنسانا وأمة، أمة في إنسان، وإنسانا في أمة. إن إبراهيم كان أمة في فرد قانتا لله حنيفا، وأنتم تنشدون رب السماء والأرض، تنشدون الله، تنشدون الغيب والشهادة، وتسألونه أن يصلي منكم على رسوله، وأن يصلي عليكم من رسوله كما صلى على إبراهيم من أمته، وكما صلى من إبراهيم على أمته، يوم جعل في ذريته الكتاب والنبوة، فصلى منه على الأنبياء أمة له فرفع ذكره وخلد أمره، وألف القلوب على دينه في أبنائه وجدده ورسالته وبيته بمحمد جديدا لقديمه بآدمه، فكان بمحمد آدم والده ووليده، فجعل من محمد أمة كما جعل من إبراهيم أمة قانتا لله حنيفا، وجعل من محمد الذي عرفنا مثالا عن قديم مما لا نعرف، وجعل منه أصلا لجديد مما نطلب لنشرف، فأمرنا أن نكون على ما شهدنا من أحواله في متابعة لمثاله على بصيرة، { ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون}[٤]، {كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله}[٥]، {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم}[٦]. بذلك كانت البشرية به من بعده خير أمة أخرجت للناس، أمة وسطا، أمة تعرف الحق لا يغيب ولا ينقطع عن التواجد بذكره لقديمه وجدته، وتعرف الحق ما غاب عن الوجود، وتعرف الخلق لا يتوقف عن التواجد، ولا يتخلق بخلق الحق إلا

يوم يتحقق بالحق رسولا من أنفسهم فيصبح حقا بعد خلق، على مثال من قديم نعرفه، وعلى مثال من حاضر نشهده ونشرفه.

هذا هو الدين على وضوح فيه وبيان له، يُبيّن لكم على مكث بأهله، وعلى بيان دائم من نبعه، ما استقامت فطرتكم وما لبت نداء الله حقيقتكم، وما استقامت على مراده خليقتكم، وما استنارت بنور كتابه حيا عقولكم، وما حييت بالحب والخشية قلوبكم، وما قامت بروح الله عقولكم ونفوسكم، {واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين}[٧].. سبحان الله وتعالى عما يصفون.

تعالى الله عن وصف النفوس والعقول له، وتعالى الله عن إدراك الذوات له وعن إدراك الموتى له، وتعالى الله عن القطيعة عن الروح روحا لها، وعن الغيبة عن الوجود نور الحياة فيه في الأحياء.

عباد الله.. اتقوا الله، وآمنوا بالله، قائما على نفوسكم في وحدتكم، ما تحابيتم في نجواه، وتواصيتم بالصبر لمعناه، وصبرتم لاختباره وابتلائه، لا تغيبوا عنكم قيامه بعطاء، ولا مثوبته برضاء، ولا جزاءه بابتلاء، فكل ذلك في الحياة التي تحيون، وفي الإدراك يوم تدركون، وهو في الإمكان يوم له تعملون، صحائفه حولكم منشورة بآياته في الوجود وفي أنفسكم في الشهود، بيانا لا ينقطع، وهديا لا يتوقف، اقرأوه في أحداث الحياة، واعلموه في أحداث حياتكم. إن أحداث الحياة لا تسير لحساب فرد منها، ولا أفراد، ولكن أحداث الحياة تسير لحساب وحدتكم من الله، جزاءً وفاقا، وعطاءً حسابا، وقياما صادقا لا كِذابا، كتابا من عملكم، ورسولا من أنفسكم فصلا خطابا.

إن محمدا بالرسالة الروحية هو المخاطب في قومه وأمته في هذا العصر كما هو في كل أمة وفي كل عصر، وإن الله يخاطب خلقه وعباده في هذا العصر كما خاطبهم في كل عصر، على لسان الحوادث إرهاصا كما سبق أن أرهص لكل رسالة. قل إني أنذركم قارعة مثل قارعة عاد وثمود. ها نحن نرى الطاغية يهلك قومه، ألم نشهد فعل هتلر في قومه وفي نفسه، وفعل الطغاة من قومنا في أقوامهم وفي أنفسهم، وفعل الطغاة في كل قوم، وما كان من أحداث على هذه الأرض في حربين عالميتين متتاليتين؟ الأحداث ترهص بثالثة لولا رحمة الله، ولولا عناية الله، ولولا عناية رسول الله وحكمة رسول الله.

لقد كان للإسلام صولة ودولة، وامحت عن ظاهر الحياة صولة ودولة، جزاءً لأهله، طلبوا الدنيا، ونسوا الدين، طلبوا سعادة دنياهم وعاجلتهم، ونسوا رسالتهم بدينهم لآخرتهم، وقد استوفوا في ذلك جزاءهم، وذهب الله بهم وأتى بخلق جديد، وها هو رسول الله على ما فعل بيننا بذاته قديما يفعل بيننا في جديد الرسالة إليه ومنه، أمة عذابها في قبورها من دنياهم، وحكمة في دينها، وفي قيامها لأخراها،

دولة السماء ودولة الأرض في معناها ومبناها. ها هو الإسلام ينفض عنه غبار الظلام ليتهيأ لجديد لباس من سرابيل النور في القيام، بيانا لما غاب لمعناه عنه عند الأنام.

الإسلام هو أقلام الحكمة في مشارق الأرض وفي مغاربها، في بيئة السماء قبل بيئة الأرض، ها هو محمد يرجع إلى الأرض كما فعل من قبل، ما جعل لبشر من قبله الخلد، في تدان متفاوت وبمستويات متقاربة متعارفة، ليقوم على الأرض مرة أخرى جيئة للحق وانشقاقا للأرض عنه بنفسه وبيته وصحبه، ودينه وأمته بيتا يوضع كما سبق أن وضع بآدم إليه نسب. ها هي السماء ترهص له، ها هي الطبيعة تهتز لمقاربته، ها هي الأرض تتهيأ لتشرق بنور ربها أمة له زواها بعد عناد، ها هو الكتاب ينزل مرة أخرى، وينطق مرة أخرى، ويبين مرة أخرى، ها هي الأرواح المرشدة من أزلي حضرة الإنسان تداني جديده لتعلم الناس معنى الإنسان فيهم، وتقدم للناس إنسان محمد، إنسانا لله، وعبدا لله، وقبسا من نور الله، وروحا من قدس الله، وذاتا لآدم الله في قديمه لدائمه ومستديمه، وبيتا لكلمات الله، وساحة لأنبياء الله، وأرضا لعباد الله، ودارا لحضرة الله، جاءنا فما عرفناه، وقاربنا فما قاربناه، وأحبنا فما بادلناه، وغفر لنا فما قدرناه، وخفض لنا جناح الذل من الرحمة فعلوناه، وما قدرناه، وحمد لنا فما شكرناه، واستغفر فما قبلناه. هذا هو رسول الله.

تعالى في تعالي الله، وتدانى في تداني الله، وقارب في مقاربة الله، وظهر في ظهور الله، وتكنز في تكنز الله. عبَّد نفسه لنفس الله بعباد الله، وطلب العلم عن الله فعلمه الله، وما زال يطلب، وما زال يتعلم فيجيبه الله ويعلمه الله.

هلا إليه رجعنا ولندائه لبينا نداءً للسماء يدوي في بيداء نفوسنا؟ هلا استجبنا له؟ هلا رضينا به؟ هلا صدقناه؟ هلا آمناه؟ نرجو أن يكون لنا ذلك ونحن نلبيه، في رفيقه الأعلى، وفي رفيقه الأدنى، وفي رفيقه من أنفسنا، نصله بمحبتنا لأحبابه بيننا على ما هدينا من فارض القرآن عليه، وفارض قدوته لنا علينا. نسأله أن يصلي علينا منه، وأن يصلي منا عليه، حتى نلتئم معه، ونتوحد به، يوم نتوحد في جديد قيامه خبيرا بالرحمن وعبدا له من أنفسنا طلبا لقديم قيامه، وتأهلا لقادم قيامه، في أنفسنا وبأنفسنا به نشهد أن لا إله إلا الله وبها نشهد أن محمدا رسول الله. نسأل الله بالشهادتين أن يولي أمورنا خيارنا، وأن يعافنا من قضائه بعدله فينا، وأن يعاملنا برحمته لنا، وأن يكون معنا في مآلنا بعزته، وفي حاضرنا برحمته.

أضواء على الطريق

(تذكروا أنكم أنتم الروح الأعظم، والروح الأعظم هو كل واحد منكم. إن القوة الجبارة التي أعطت للكون كله الحركة وخلقت جميع مظاهر الحياة حيا وجمادا، القوة الجبارة التي شكلت النجوم

والكواكب، الشمس والقمر، القوة الجبارة التي أعطت ضميركم جزءا من روحها، القوة الجبارة التي تتكشف في القوانين المضبوطة والتي تتحكم في كل طور من تعبيرها، تلك القوة لا يمكن أن تتخلى عنكم، إذا كنتم أنتم لم تتخلوا عنها. فلتكن تلك قوتكم، مأواكم ومرساكم. واعلموا أن رداء المحبة الإلهية دائما محيط بكم، والحنو اللانهائي يحتويكم دائما بين ذراعيه).

من هدي السيد (سلفربرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الأنفال - ٣٣
٢ سورة الحجرات - ٧
٣ سورة النساء - ١
٤ سورة آل عمران - ١٠٤
٥ سورة آل عمران - ١١٠
٦ سورة الفتح - ٢٩
٧ سورة الأعراف - ٢٠٥

(٦)

ملكوت الإنسان
على أرض خلافته ومخالفته
بيوت يذكر فيها اسم الله
ترفع وتوضع

حديث الجمعة

٢٩ شعبان ١٣٨٢ هـ - ٢٥ يناير ١٩٦٣ م

تصحيح التاريخ الهجري: ١ رمضان ١٣٨٢ هـ

أعوذ برب الناس رحيم إنساني من نفسي وشيطان حيواني.. وأستعين بالرحمن لأمري وروحي وحقي وإنساني. وأشهد أنه لا إله إلا الله مشهودا لوجوده، هاديا لعبده ومعبوده، وأشهد أن الله أكبر مما أشهد، ومما أدرك، ومما أنتظر، ومما أعلم، وأشهد أنه بوحدانيته لا شريك له ولا وجود لغيره. الإنسان فيه وبه قديم ذكره ومحدث أمره، مشاهده بنفسه لنفسه بمن شهده لنفسه قديم ذكره عالم بنفسه، معلم عنها لمن رآه منها فيما عنه علم، قدوس في ذاته بمعنى وجوده، صمد في صفاته بفطرة موجده لموجوده، سرمدي في فعله بكائنه لكائنه من أمره، لا جديد فيه حقا، ولا تواجد لغير به أحدا، وجوده بأمر حقه شامل لعبوديته ومعبوده، وعبوديته لربه شاملة لعباد ربه صورا لمعانيه، وعباد ربه وجوه طلعته وصف العبد لمعبوده في لانهائي إنسانه، وصف يلحق الصغير والكبير، والموقوت والدائم، والرب والمربوب، والخالق والمخلوق، وأهل الأرض وما فوقهم، وأهل الأرض وما دونهم من الأبيض والأسود والأحمر، وأهل السماء وما فوقهم، وأهل السماء وما تحتهم، وساكني الكواكب وملحق معناهم. الكل للمطلق عبد، والكل فيه عباد، والكل منه حق، والكل به حقائق.

أهل الأرض عباده بقيامهم عبادا لمن يعلوهم من عباده، وهم بهم عباده على من يخلفهم منهم من خلقهم من عباده أرضهم ملكوت إنسانه.

جعل من حضرتهم فيه بين حضراته لعباده منه أمة وسطا، وجعل من وحدتهم مع سبقهم ولحاقهم حضرة جامعة بقائم معناهم به ومع لحاقهم منه هم به لمن قبلهم بمعاني الفوق لهم عبد، وهم لمن بعدهم بمعاني التحت عنهم راعي ورب.

لا يأخذ من دونهم طريقه إلى من يعلوهم، إلا عن طريقهم بالتجدد فيهم بمعانيهم، وإدراك الوحدانية معهم، على ما أدركوها بينهم، وعلى ما قاموها بعضهم مع بعض، أو مع من فوقهم مكانا ومن يعلوهم مكانة من بيوت بعباد الله. ولا يأخذ من يعلوهم طريقه لمن يسفلهم ليخلصه مما هو فيه، أو ليجدد نفسه بدءا منه، أو لينتشل منه إلى الأعلى بما هو له في معانيه باصطفائه إلا عن طريقهم. وبذلك كان لأهل الأرض في النظام الشمسي من هو على مثالهم أو هم على مثاله في أحدية وجودهم قيام متميز، لأنه قيام جامع لدرجات للعباد في حضرة واحدة للقيام وللرشاد، تجمعهم بمعناهم من العباد لله والوجوه له على من يعلوهم، قائما بينهم رسولا من أنفسهم أولى بالمؤمنين منهم من ذواتهم، قيامه بهم على من يسفلهم، قائما في عين ذواتهم من مجتمعهم، وبذلك كانت الأرض حضرة أرضية للحقيقة للتعبير المجسم عن وحدة حضراته في لانهائي حضرته، يظهر فيها وجه الحق الجامع لأهلها، متوحدين معه رسولا من أنفسهم هو قاب قوسين أو أدنى من رفيق أعلى، هو به في شمول ووحدة مع الأدنى، بوصف الرفيق له، والراعي لأمره، والآخذ بناصيته وبيده، والمخلص له من شرور نفسه ومادي معناه، لتواجده إلى طليق روحه، وحقي معناه، ونوراني بشراه، لدائم كائنه من موقوت شيئه، وبذلك كان إنسان الأرض في حال قيامه بمعنى الإنسان وجها من الحق المطلق، مرسلا لطالب الحقيقة، يشهده المشاهد يوم تقوم المشاهدة في عبد استخلافه على أرض نفسه، إنسان جماعها، ومظاهر ذواتها في اجتماعها، والروح الساري فيها بالحياة، والنور المحيط لها بالشمول، وجوها له بذوات أهلها إنسان المطلق، ذكرا له وعلما عليه، رسولا من أنفسهم في أي صورة ما شاء ركبه، ظاهرة في وجوه ناضرة، وفي وجوه عليها غبرة، لقلوب به مطمئنة ساكنة، ولقلوب بعيدة حائرة قلقة، لها عيون مبصرة ببصيرة، عالمة بسريرة، أو لها عيون تحسبها ناظرة، وهي للنظر فاقرة وإن لم يبعدها عبد الله عن جماعه، ولم ييئسها من اجتماعه. (بين أنا نائم أطوف بالكعبة...)[1]، برزخ البحرين يلتقيان. يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان.

إن إنسانية الأرض إنسانية مبرزة بجميع مستويات الإنسان، رفع الحق معانيه فيها بوجودها بعضهم فوق بعض درجات، وجعل منها أُولى لآخرة عليها، آخرتها للنفس في نفسها إلى هاوية، أو إلى النفس بنفسها في عيشة راضية، الإنسان عليها كتاب نفسه وحساب نفسه وعمل نفسه، والكل من الحق اللانهائي المطلق مرضي عنده برضائه عن نفسه وفعله معلوم لنفسه بوصفه لنفسه قائما فيمن لا تنفعه

طاعة ولا تضره معصية، الستير، المحب من عباده للستيرين، ستر نفسه عن الخلق، بوصفه الخالق، وهو في أنفسهم أعطى كل شيء خلقه، يحول بين المرء وقلبه حيلولة بين العبد وربه وهو عليهم قائم، كل يوم هو في شأن، لا يقع في ملكه إلا ما يريد، كل الإرادة له، صدرت عن كله بحكمته، أو صدرت عن وجه له بعبده، بإرادته، وإن كان العبد محجوبا عنه فيه بمصدره منه قائما بعين مخبره له، فما انعكس إنسان إلى داخل نفسه إلا تلاقى مع ربه، فعرف أن وصف العبد له لقالبه، يوم يتصف به عبدا وكونا على يقين بربه في نفسه لقلبه بيتا يذكر فيه اسمه، ولا يُغفل عن ذكره، بين تضرع إليه، وخيفة منه، ما ذكر اسم الله لمن كان من أهله إلا خشع، وما تذكره منهم متذكر إلا قبع، وما قام بذكره منهم قائم إلا سكن، وما كشف ربه فاعلا في فعله إلا سعد، وما أدرك أنه في حجابه تغافل أو غفل إلا كان في ذلك حافزا له إليه، فأدرك حكمة ربه معه لتعليمه ولهديه، وإيقاظه، بإمائته، وبعثه وورورده لحوض الحياة، في نومه وفي يقظته، في حركته وفي سكونه، في اهتزازه بها أو في خموله عنها، يترنم في خموله بوعيه، ويترنم في حركته بفعله. يذكر ربه في نفسه إذا فعل وينسب الذكر والفعل له. يذكر وينسب قيام الذكر للمذكور، يقوم به المذكور ولا يغفل عن مواصلة الذكر عروجاً به فيه إلى غايته بمرضاة لانهائيه. يقوم الوحدانية بلا إله إلا الله، والأحدية بفنائه عنه، والأبدية بالبقاء به، والأزلية بقديمه لجديده في واحدية الله معه، وجها لوجه فيه، ويذكره الأكبر دائما، وينشده الأعلى أبدا علوا به وعلوا إليه في (الله أكبر).

إنسان الأرض أولية إنسان السماء في عالم بدئه، ونهاية إنسان السماء في عالم حقه، وأمل ورجاء إنسان أحسن تقويم، ليعرف ويتعارف إلى نفسه بنفسه جديدا لقديم.

إنسان الأرض وليد الفطرة، وطفل الوجود.

إنسان الأرض مسكينها في عجزه عنها، ربا له، وغنيها، وربها أمة له يوم يأويه الوجود طفلا له.

إنسان الأرض وليد السماء والأرض، تلده الأرض أمة لله، وتصطفيه السماء إنسانا لله، فيجعل منه الله ربا لهما تزوى له الأرض وتطوى له السماء. تسعد به الأرض بقيامه عليها، وتبكيه يوم يفارقها، وتعانقه السماء يوم يواصلها بركب من الأرض، وتبكيه السماء يوم يفارقها بعودة إلى الأرض في جمع برسالة. يتردد بين السماء والأرض كلمة لله، وبيتا يذكر فيه اسمه، حقا عليهما يقوم، ويدا من الله إليهما تمتد، وقدرة لله على أرجائها تبسط، ونورا لله ينتشر في ظلام الأرض يحيي مواتها، ويورق أشجارها، ويغرس جنانها، ويهز بالحياة ترابها، وحقا في عالم النور يبعث بكمال حكمته إلى الملأ الأعلى ينسب، ومن الملأ الأدنى يُخرج.

إنسان الأرض من الهاوية جاء، خلاصا له ومعلما للخلاص، ومن السماء عاد، رسالة له، ومعلما للسمو، وفي أهل الأرض انتشر حقا له ومحققا للخلائق.

إنسان الأرض، إنما هو مظهر الإنسان من الإنسانية الكبرى، يوم يعرف، لِمَ وجد؟ وكيف تواجد؟ وممَ خلق؟ وإلامَ يؤول؟ وماذا يحوي وبمن يقوم؟

إنسان الأرض لا تحتجب عنه السماء بأهلها من الحقائق مظلة له، ولا يحتجب عن نظره ما دون الأرض من مستويات الحياة والوجود من الحق مقلة له، مبصرا، ممتدا، قائما، بالأعلى ممتدا بحقه في الأدنى، قائما بالأعلى وما يعلوه إلى الأزل، ممتدا في الأسفل وما يسفله إلى الأبد، قائما بمن يعرفه من نفسه في عالم نفسه، وقائما بمن يجهله لنفسه في معنى نفسه من عالم نفسه، قياما بالأعلى من جنسه، وقياما على ما يقوم عليه لجنسه.

إنسان الأرض هو الخبير بالرحمن، المؤسس للأديان، القائم بالإحسان، خليفة من ليس كمثله شيء، والذي هو كل شيء وقد جعل من إنسان الأرض أشياءه وخليفته، عَلّمه الأسماء كلها، عَلّمه الطاعة فكان إنسان قبوله، وعَلّمه المعصية فكان إنسان مغفرته، غفر له معاصيه، وقبل منه طاعاته، وكرمه في معناه، وأغدق عليه لغير علة فلنفسه اصطفاه، وعلمه حكمته يوم أقامه أسماءه، فعرف رحمته، وقدر منته، وقام وحدانيته، بغير علة من طاعة قُبل، وبعيدا عن غضبة من معصية غفر ليبشر في السماء والأرض بالغفور الرحيم، وليحذر من عزة القوي العادل، وليعلِّم عن المعلوم له الذي بدأ وأعاد، والذي يبدأ ويعيد وهو أهون عليه، والذي هو كل يوم في شأن جديد من أمره بحضراته لفردوس ذاته ببيوت ذكره وكلماته.

إنسان الأرض، الذي عرف قدسية المكان في معرفة ذاته مكانا يتعارف فيه مع ربه، والذي عَرف حرية الإنسان عن قيود المكان يوم عرف اللطيف الخبير في نفسه فعرفها لطيفا لربه، وهو الذي عَرف النور المحيط في انطلاق عقله نور السموات والأرض، وهو الذي تكشفت له قدرة القادر فيما قدره، وقدرة الأكبر فيما قهره.

إنسان الأرض سعيد بإنسانه ما سعد بعنوانه علما على الأكبر له من نوعه وجنسه، علَّمه بصلته، وعرفه عن الأكبر منه بصلاته، استمهل حتى يصلي ربه، ودنا منه شديد القوى رفيقا قاب قوسين أو أدنى، فعرف وحدانيته مع الرفيق بنفس الرفيق لنفسه في معرفته عن نفسه عين رفيقه، قياما به ذاتا لمعناه ومعنى لذاته بمختاره لنفسه. قاما في الله مثنى فتعارفا، وقاما في الله فردا وفرادى فتواصفا، فكان كيان المكان في ذات إنسان الأرض بيتا موضوعا هو عين قيام الروح بلطيف أناها لوجه معناها بيتا

مرفوعا، فقام إنسان الأرض في وصف المحيط بها، وقيوم أمرها بقائم رحمتها ويسرها إنسانا لها في ملكوته، فقال لمعلمه من إنسانية السماء: أنا سعيد بك يا أخي، فقال إنسان السماء لإنسان الأرض: أنا بك أسعد يا أخي، ما أمنت مكر الله إلا بمصاحبتك، فقال له: وما سكنت إلى الله إلا بوصلتك. فقال له: ما كنت إلا منك وإليك، وما وجه الله لي إلا أنت، فقال له: وأنت أيضا أنا منك وإليك، وما وجه الله لي إلا أنت، آمنتك عين الأعلى روحا لله، به عرفت أنه لا يحاط بالروح اللانهائي له، فقال له: وأنا آمنتك عين ما يعلوني من وجه لذات الله لا يحاط بها، أنت عندي لها وجه، قال له: اكتم عني يوم تعلم عني، ولا تترك الناس يقفون معي بما عرفت من عظمة جاهي عند ربي، وعلمهم الأكبر من ذاتي ذاتا له هي الأقدس، وهي معبودي ومنشودي، وهي لهم ما يجب أن يكون معبودهم ومنشودهم. قال له: سأفعل، وأنت كن لي دائما، وإني لمجيبك على ما أنا به معك، وعلمهم عني يوم تعلمهم عن الروح، فعرفهم أن يطلبوا روح الحياة الأعظم، روح الإطلاق، الروح اللانهائي كلما عدت إليهم لتجديد رسالتك حتى لا يشركوا بي معه، وعلمهم عني عبدا له وأخا ورفيقا لك، قال: سأفعل، فقال له: وأنت أحرص على أن تعلمهم عني عبدا له ورفيقا لك. قال: سأفعل.

هكذا كانت رسالة الإسلام، وقد صدرت عن هيكل وروح..

هذا أخي جبريل جاء يعلمكم دينكم. هذا أخي وأخوكم جبريل جاء يعلمكم دينكم، ها أنا قد وفيت يا أخي يا جبريل، وأنت أعلم، قال وأنا موفي فيمن يعلم وأنت تعلم فما حبب إلي شيء في الوجود حبي في أن أداني أهل هذه الأرض، فأصلح بين متخاصمين وأعرفهم عنك يا أخي يا رسول الله، يا من بصحبتك عرفت الله على ما يليق به، وعرفت عبوديتي فيه على ما يليق بشرف أخوتي معك، وبوصلة من هو أكبر مني، رأيتك وجها له، وما عرفت فيه حتى اليوم أكبر منك، عبده ورسوله الأكبر فيه هو لي ولك راعي ورب. قال أنت أخي، وأنت رفيقي دائما، وأنت صاحبي إلى الرفيق الأعلى، وإلى الأعلى إلى ما شاء الله، وأنا رفيقك إلى الأعلى إلى ما شاء الله لا فرق بيني وبينك. قال وإني معك ولك ملازم، وفي أخوتك وصحبتك في دوام لا نتفارق. تراني معك ما تصاعدت وتعاليت بحكمة الله فيك وإرادة الله لك، ومعك كلما ترد إلى الأرض ممن فرض عليك كتابك نفسا لك، ومعك يوم ترد إلى الأرض لتتلوه في الناس على مكث بينهم، وعلى مكث فيهم، فإني معك مصاحب، ولك مرافق، ولذكرك ناشر، وباسم نورك منتشر. إني معك يوم يبعثك ربك وقديم قيامك وحقي إنسانك وأزلي معناك لأبدي محدثك ذكرا لله ببيت فيه يذكر أنت علمه ومعلومه. بك علمته لي على ما هو لك يوم يبعثك في الأرض بالمقام المحمود عند الناس، وهو في دوام باعثك في السماء، وإني معك كلما تكشف للناس أمرك بوجود، ساريا في الأرض وأهلها بنارك ونورك، ساريا في السموات وأهلها بنورك

وروحك، ساريا في القلوب وقوالبها بالحياة، متحررا من قيود العوالم وأهلها، وأمكنتها وأزمنتها وطبائعها بانطلاقك، فإني لا أفارقك وقد صرتك فسعدت وصرتني فأمنت، فقال له: وأنا بوصف الأخ لك وإن كنت عيني وقد صرت عينك لن أجعل فرقا بيني وبينك، اظهر بي كما تشاء، وسأظهر بك على ما تشاء، فلا أنا أنا، ولا أنت أنت، ولا كلانا غير الأعلى لنا فيه نفنى وبه نبقى، وفي مرضاته نتفانى، وبإرادته نعمل، وبرضوانه نتواجد، وإليه ما دانينا نصير، وبه وإليه ما تعالينا نصعد ونرتقي ما فيه تجددنا وبالجديد تدثرنا وعنا تخلينا وإليه تواجدنا وبه إلى جديدنا جديدا له باسمه تعارفنا.

بذلك كان محمد رسول الغيب المشهود، مؤسس الإسلام الموجود، روح قدس الوجود، وجماع كلمات الشهود، وإنسان عرش الأقدس، وآدم كرسي المقدس، وقوائم الوجود، وقائم أمر المعبود، ومعنى الحق ربا فيه، ومعنى الحق عبدا له، مرسلا منه إلى معاني الحق في وجوده، بوصف خلقه وجوها له أوجدهم لنفسه مع بقائه على وصفه لا خلق له، ولا خلق فيه ولا شريك له.

على وعي لهذه المعاني، وعلى فهم فيها، أسس محمد رسالته، مجددا الفطرة على ما كانها، وشهدها ودعاها وقامها وجمع من الناس أمته في بيته وسفينته مجددا البيوت والسفن، جديدا ولا جديد، وقديما ولا قديم، وبشر بنفسه عائدا على سنته من قبل كما فعل يوم بشر بنفسه من صوره في المرسلين مبشرا بتمام إنسانهم في إنسانه. وها قد بشر في وجوده بدوام عنوانه في بقائه موجودا بالبشرية دثاره والأرض مزوية داره. أنبأت الأنبياء وجوها له عن كريم وجهه إيمانا به وجها للحق، وقام الشهداء على الناس من بعده وجوها له، مظاهرين منه بوجه شهوده، راعين لجماع وجوده وجوها للحق هو لها وجه الحق وعين الحق. قاموا أوادم في كبير آدمه، أبوة علوية من الله ترعاهم، فإن الله في ذاته وروحه ومعناه، متنزه عن وصف الأبوة والبنوة، والذكورة والأنوثة، والجدة والقدم، والحدوث والتواجد، والتأزل والتأبد، والتحقق والتخلق بوصف الحق أو الخلق. إن الله تنزه في سموه عن وصف الخالق، كما تنزه عن وصف المخلوق، فالخالق وصف العبد الرباني فيه، والمخلوق وصف العبد الكوني فيه. أما العبد الحقي فيه فله وصف الخالق والمخلوق في نفسه، وله قدرة التسوية فيه بين الخالق والمخلوق في القيام والمكنة، وهو المترفع المعتز بمعاني العبد له، تخلقا بأخلاق الأعلى متصفا بما دونه وجوها له، متخليا عن وصف الخالق والمخلوق لنفسه، نفورا بحقي عبوديته، (من رآني فقد رآني حقا)[٢]، ناسبا الناس إلى الأعلى بوصف ربه خلقا وحقا بالقيام الحقي الوسط رسولا وعبدا.

هذا هو العبد له رب، ما عرفني غير ربي، هذا هو العبد وربه في المطلق، كان عين ووجه الرفيق الأعلى طورا ذاتا له، وطورا روحا له. هذا هو العبد الكون في العبد الحق في الأكبر كونا وحقا، يستمهل للقاء ربه حتى يصلي ربه، ليحمد رَبَّه الذي جعل به له رفيقا أدنى، بمعرفة عبده له ووصلته

به رفيقا أعلى لأدنى. قام العبد بيننا وقام فينا وقام بنا، قياما للرفيق الأعلى له بوصف الرفيق الأدنى فيه، به عرف الرب لنا فكان حجابه عنا، ثم جعله به لنا رفيقا أعلى، لمن آمن به حقا متجددا ممتدا في دثار من خلق كلما تجدد الخلق للخالق، (مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك)[٣]، (هؤلاء أهل بيتي)[٤] ، (أنا حرب لمن حاربهم، سلم لمن سالمهم، ما حاربهم إلا لئيم، وما سالمهم إلا كريم)[٥].

فإذا كان لمحمد رسالة نظرية وواقعية عن واقعية الحق قياما ومعنى فقد كان لأهله وعليهم مواصلة هذه الرسالة تطبيقا وبيانا لهذه الرسالة النظرية الواقعية في دوام قيام للقيام الدائم، فأهمل الناس رسالة التطبيق والبيان المتصلة المتجددة ما تجدد الخلق للخالق، على جهل في أمرهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا. وقد عرف لهم البيت وأهله ومراد الربوبية به لهم {إنما يريد الله أن يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا}[٦]، وقد فتح به الباب للجميع دائم القيام والعمل (أنا مدينة العلم وعلي بابها)[٧]. واقتصرت الصلاة بالصلة على أهله {وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها...}[٨]، وأمر الكافة بالطواف حوله في كل مجاهدة للمعرفة واستقباله قبلة لهم في كل صلاة منسكية حتى يتعرضوا لنظرات أهل بيته عبادا لله وحقائق له، وجعل الانتساب إليه بالخضوع لصاحبه بأزواجه فيه أمهات للمؤمنين، وجعلت النبوة للأمومة فيه بالمحبة والإسلام والتسليم (سلمان منا أهل البيت)[٩]، وجعلت ذات الرسول تتجدد بتكاثر نصب البيت، (هؤلاء أهل بيتي)[١٠]، مثلته لهم قبلة المنسك للصلاة والحج.

شغل المؤمنون بتلقي التبليغ إليهم من الرسول والدفاع عن أنفسهم في مواجهة المنكرين المخاصمين عن إدراك البيان ووضع أسس التطبيق على مجتمعهم الناشئ في العصر الأول للتنزيل والتكوين، فأخذوا جزء الرسالة مع محمد الرسول وتركوا كلها الآخر مع أثوابه تتجدد في دوام فاختل أمر الجزء الأول في جانبه النظري والواقعي، لأنه ما عرف الواقع إلا في كشف القناع عنه بالنظر والتحليل له، وما أدرك النظري فيه إلا من تعليل ما كشف القناع عنه في الواقع فهما أمران متلازمان. تأملوا رسول الله وهو يقول لقومه وصحبه يوم أزمع على المفارقة بمنظور ومعلوم دثار من دثره (أنتم في زمان من ترك عشر ما أمرتكم به لهلك)[١١]، كما يقول لهم (إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظروا الساعة)[١٢] ليبين لهم ما جاء بكتابه كتابا لله {ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله}[١٣]، {قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم}[١٤] { ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون }[١٥] إذا وسد الأمر من الناس فيما هو لهم إلى غير أهل الأمر منهم باعد الناس بينهم وبين ربهم، فبمحمد وسد الأمر من الله إليهم فيما هو لهم خلفاء الأرض، { اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون }[١٦] {إنما نطعمكم لوجه الله لا

نريد منكم جزاءً ولا شكورا}[١٧]، فإذا قيل له فيمن يكون الأمر من بعدك يا رسول الله؟ قال لهم: (الأمر مرده إليكم)[١٨]، (من كنت مولاه فعَليٌّ مولاه)[١٩].

فالله أعلم حيث يجعل رسالته، فمن وسد إليه الأمر من الله ورسوله قام به، ولا حاجة عنده إلى الناس، ولا حاجة له إلى الناس يوسدونه أمره، بل حاجة الناس إليه في الإيمان به عبدا لله ورسولا له محل أمره وكعبتهم {قلنا يا ذا القرنين، إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنى}[٢٠] وإن ذا القرنين لقائم، وإنه قيام في الواقع في مملكة الروح بما لها من سلطان كامل على مملكة المادة، وإنه قيام لأمر الله لا يغيب، ولا يحتجب، ولا يحدث، ولا يتجدد. إنه أمر صامد ثابت في دولاب الوجود، ونظامه، ونظام الحياة وقيامها هو في معناه دائم قائم متجدد فيه شاغلوه، مرتق عنه زاهدوه، وهذا ما تشهدون مما يدانيكم من أمر السماء في عصركم هذا، على سفور له لكشف صدق ما حَمل إليكم البلاغ، وهو أمر ما احتجب عن طالب في قديم أو في سابق، ولن يحتجب في لاحق، فما قام هذا الأمر، معروفا عند الناس، مرضيا في مظاهره بينهم إلا استقام لهم أمرهم فيما هم مستخلفين فيه، وكان في ذلك ساعتهم وقيامتهم في قائم ساعات الله، ودائم قياماته، على ما قام عبده ورسوله بيننا، تعبيرا بقيامه وفعله، في نفسه وبيته وقومه، وشجرته وفرعه، وإحاطته وأمره، تعبيرا جامعا عن قانون الله، وقانون الحياة، وعن قائم قدس الله، أينما تولوا فثم انعكاس وجهه في الإنسان على مرآة الطبيعة ليرى الإنسان وجهه فيعرف الله قائما على كل نفس، ومن وراء الكل محيط، وأقرب للكل من حبل الوريد. هذا دين القيمة، ودين الفطرة، ودين السلام، ودين الإسلام، ودين السلم مع الله والسلام مع الناس، فالإنسان بطبيعته بالجسد من طبيعة الشيطان بين كريمه ورجيمه، وإن كان نبيا أو قديسا أو وليا، وبكينونته من الروح في جلبابه من النور هو ما فوق الطبيعة، وهو قائم الرحمة من الرحمن من الله، وقد شغل الرسول بغيبة وظيفة ذي القرنين وعنونها إشارة إليها بشهادته يوم الفتح، وأشار إلى (عليّ) أنه سيخلفه فيها يوم قال {ربِ لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين}[٢١]، يوم قدم عليّا للقتال في معركة الخندق والأحزاب، ويوم قال له عند كشف الكتاب عن قائم هذا الأمر، (يا عليّ إنت ذو قرنيها)[٢٢]، ويوم قال للناس (من كنت مولاه فعليّ مولاه)[٢٣] وقد كشف عن نوع ولايته بقوله (أنا مدينة العلم وعليّ بابها)[٢٤]، ويوم قال (لو اتبعوه لأوردهم الجنة أكتعين)[٢٥]، ويوم قال له (أما يرضيك أن تكون أنت أخي وإن كان لا نبي بعدي)[٢٦]، فكانت له به العبودية والبسملة لا انقطاع لهما من العبد الدائم، المتجدد بكوثره الأزلي الأبدي الذي هو نصب لبيت يذكر فيه اسم الله، ويشغله عباد أسمائه لا ينقطع عن الأرض معناه وعنوانه (الخير في وفي أمتي إلى يوم القيامة)[٢٧]، يعني قيام الحق بجديد له في تجديده بالحق في جديد الناس بعثا بالحق لمن عرف بينهم بموصوف الخلق.

نسأل الله أن لا يخرجنا من هذا الدين، وقد ولدنا فيه، كما ولد الناس فيه، دين لا يدخله الناس لأنهم في قيامه، ولكن دين يخرج منه الناس بفعلهم يوم يلتوي فيهم أمرهم مع القائم على ذواتهم ونفوسهم المتطور لدثر معانيهم باسم ذواتهم إلى أراضين وعوالم.

فنسأل الله أن يحفظنا على فطرتنا به، وأن يطورنا في معارج الرقي في الفطرة بطريقه القويم وصراطه المستقيم منه وإليه، وأن يجمع بيننا في محبة اللانهائي، بمحبتنا لرسوله المتجدد بأثوابه مع تجدد أثواب الحق بنا بوصف الخلق حتى يتكشف لنا فينا معنا، برضوان من الله أكبر، في لا إله إلا الله محمد رسول الله.

اللهم يا من تواجدتنا على ما أردت، صر بنا إلى ما بنا أردت، اللهم يا من جعلت منا وصف الخلق لك، اقبلنا بوصف العباد لك، وسرحنا بوصف العباد فيك، معتوقة رقابنا من مادة قيودنا، طليقة عقولنا من حجر إدراكنا، زكية نفوسنا من فساد شهواتنا، واكشف عنا حجب خلقينا لنشهدنا بوصف الحق وجوها لك، اللهم يا من علمتنا لا إله إلا الله، أقمنا بلا إله إلا الله، وعبِّدنا بلا إله إلا الله، اللهم يا من أعلمتنا محمدا رسول الله علِمنا محمدا رسول الله، واجمعنا عليه عبادا لك، وزكنا به رسلا منك، وحققنا منه كلمات له وكلمات لك، وأطلقنا به في ملكوت وجودك روحا منك لقدس معناك بحي معنانا لا شريك لك، اللهم أنزل سكينتك على قلوبنا، والسلم والسلام على أرضنا، وادفع عنا من البلاء ما نعلم، وما لا نعلم، وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم، اللهم اجمع قلوبنا على قائم قلب عبدك ورسولك قلبا واحدا لك، في دنيانا، وفي أخرانا، وفي معنانا، وفي حقنا ومحيانا، وفي خلقنا وبيتنا وبنيانا برحمتك وعزتك في ساحة ربنا ومولانا، اللهم خذ بنواصينا إلى الخير متوكلين عليك، منيبين إليك، رجّاعين إلى رحمتك، اللهم تب علينا واغفر لنا وارحمنا، وتولَنا حكاما ومحكومين، وروادا ومرودين، يقظين وغافلين، مستقيمين ومنحرفين، برحمتك وحكمتك يا أرحم الراحمين، واغفر لنا ولإخواننا من المنتقلين، والقائمين، والآتين، واجمع بيننا، قلبا وقالبا برحمتك يا أرحم الراحمين، في الدنيا والآخرة والدين.

أضواء على الطريق

(لقد وجهنا الكثيرين نحو طريق المعرفة في السنوات القليلة الماضية، ولكن خدمة أعظم سوف تجري. انظروا كيف تظهر قوة الشفاء نفسها خلال أجهزة كثيرة. انظروا كيف يعود الجلاء البصري مرة أخرى إلى الأرض. إن صوت النبي يسمع مرة أخرى. وقد بدأوا يحلمون أحلاما ويرون رؤيا. إنكم محظوظون إذ عرفتم أن الإنسان خالد، وأنه روح لانهائية تتغرب على الأرض سويعات قليلة في

طريقها إلى الأبدية. إنا نسير إلى النصر قدما ولسوف تتشتت قوى الخطيئة، والأنانية، والخرافات، والجهل، والشر، والظلم لأن وقتها قد فات. فسوف يهرب الظلام أمام النور).

من هدي السيد (سلفربرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ من الحديث الشريف: "بَيْنَما أنا نائِمٌ رأيتُنِي أطُوفُ بالكعبةِ، فإذا رَجلٌ آدَمُ سَبْطُ الشَّعْرِ، بيْنَ رجُلَيْنِ يَنطُفُ رأسُهُ ماءً، فقُلتُ: مَنْ هذا؟ قالُوا: هذا ابْنُ مَرْيَمَ، ثُمَّ ذهبتُ ألْتَفِتُ، فإذا رجُلٌ أحمَرُ جَسيمٌ، جَعْدُ الرأسِ، أعْورُ العيْنِ، كأنَّ عيْنَهُ عِنبةٌ طافِيةٌ، قُلتُ: مَنْ هذا؟ قالُوا: الدَّجالُ، أقْربُ الناسِ بِهِ شبَهًا ابنُ قطَنٍ". أخرجه البخاري ومسلم باختلاف يسير.

٢ إشارة إلى الحديث الشريف: مَن رآني فقَدْ رَأى الحَقَّ؛ فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَكَوَّنُنِي." صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَن رآنِي في المَنامِ فقَدْ رآنِي، فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَشبه بي". صحيح ابن حبان.

٣ حديث شريف: "مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق." أخرجه الحاكم في المستدرك.

٤ حديث شريف معروف بحديث أهل العباءة، عند نزول آية {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}، فرُوي أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم جلَّلَ على الحَسَنِ والحُسَيْنِ وعليٍّ وفاطمةَ كساءً ثم قال اللهم هؤلاءِ أهلُ بيتي وخاصَّتِي أَذْهِبْ عنهم الرِّجْسَ وطَهِّرْهم تطهيرًا ..." أخرجه الترمذي، وابن جرير الطبري في ((التفسير))، والطحاوي في ((شرح مشكل الآثار)) والطبراني، واللفظ لهم.

٥ حديث شريف تردد بصيغ متعددة منها قول الرسول: "أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم." مسند أحمد، سنن الترمذي، وغيرهم. وعند الطبري: "معشر المسلمين! أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة، حرب لمن حاربهم، ولي لمن والاهم، لا يحبهم إلا سعيد الجد طيب المولد، ولا يبغضهم إلا شقي الجد رديء المولد."

٦ سورة الأحزاب - ٣٣

٧ حديث شريف: "أنا مدينةُ العلمِ، وعليٌّ بابُها، فمَنْ أرادَ العلمَ فليأتِ الباب". المحدث: السيوطي. المصدر: الجامع الصغير، أخرجه الطبراني، وابن عدي، والحاكم.

٨ سورة طه - ١٣٢

٩ حديث شريف: "سَلمانُ مِنَّا أَهلَ البيتِ". أخرجه الطبراني، والحاكم في "مستدركه"، وأبو نعيم الأصبهاني في "معرفة الصَّحابة"، والبيهقي في "دلائل النبوة".

١٠ عبارة قالها الرسول صلى الله عليه وسلم لَمَّا نَزَلَتْ هذه الآيَةُ: {فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ} دَعَا رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَقالَ: اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي.". الراوي: سعد بن أبي وقاص، المحدث: مسلم

١١ من حديث شريف. "إنكم في زمان من ترك منكم عشر ما أمر به هلك، ثم يأتي زمان من عمل منكم بعشر ما أمر به نجا." صحيح الترمذي.

١٢ من الحديث الشريف: ".. فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ، قالَ: كيفَ إضَاعَتُهَا؟ قالَ: إذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إلى غيرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ". صحيح البخاري.

١٣ سورة آل عمران - ٦٤.

١٤ سورة آل عمران - ٦٤.

١٥ سورة الزخرف - ٥٧

١٦ سورة يس- ٢١

١٧ سورة الإنسان- ٩

١٨ استلهاما من حديث شريف يعلم به الرسول صلى الله عليه وسلم صحبه أن أمور الدنيا تعود لهم، وأمور الدين تعود إليه كرسول الله: "إن كانَ شيئًا من أمرِ دُنْياكم فشأنُكُم بهِ وإن كانَ من أمرِ دينِكُم فإليَّ." أخرجه أحمد وابن ماجه وابن حبان.

١٩ حديث شريف، يوم غدير خم، بعد حجة الوداع، حيث أخذ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، بيدِ عليٍّ رضي الله عنه، فقال ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسِهم قالوا بلى قال ألستُ أولى بكلِّ مؤمنٍ من نفسِه قالوا بلى قال فهذا وليُّ من أنا مولاه اللَّهمَّ والِ من والاهُ اللهمَّ عادِ من عاداهُ. صحيح ابن ماجه، أخرجه ابن ماجه وأحمد.

٢٠ سورة الكهف - ٨٦

٢١ سورة الأنبياء - ٨٩

٢٢ حديث شريف: " يا عليُّ، إنَّ لكَ كَنزًا مِنَ الجَنَّةِ، وإنَّكَ ذو قَرْنَيْها؛ فلا تُتبِعِ النَّظرةَ النَّظرةَ؛ فإنَّما لكَ الأُولى، وليست لكَ الآخِرةُ. جاء في حاشية مسند الإمام أحمد بن حنبل. كما جاء بصيغ مختلفة في المكتبة الشيعية.

٢٣ حديث شريف، يوم غدير خم، بعد حجة الوداع، حيث أخذ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، بيدِ عليٍّ رضي الله عنه، فقال ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسِهم قالوا بلى قال ألستُ أولى بكلِّ مؤمنٍ من نفسِه قالوا بلى قال فهذا وليُّ من أنا مولاه اللَّهمَّ والِ من والاهُ اللهمَّ عادِ من عاداهُ. صحيح ابن ماجه، أخرجه ابن ماجه وأحمد.

٢٤ حديث شريف: "أنا مدينةُ العلمِ، وعليٌّ بابُها، فمَنْ أرادَ العلمَ فليأتِ الباب". المحدث: السيوطي. المصدر: الجامع الصغير، أخرجه الطبراني، وابن عدي، والحاكم.

٢٥ حديث عن استخلاف الرسول عليه الصلاة والسلام للإمام علي كرم الله وجهه، رواه الطبراني عن عبد الله بن مسعود: "قلت: يا رسول الله ألا تستخلف أبا بكر؟ فأعرض عني فرأيت أنه لم يوافقه فقلت: يا رسول الله ألا تستخلف عمر؟ فأعرض عني فرأيت أنه لم يوافقه. فقلت: يا رسول الله ألا تستخلف عليا؟ قال: " ذاك والذي لا إله إلا هو إن بايعتموه وأطعتموه أدخلكم الجنة أكتعين". مجمع زوائد الهيثمي. المكتبة الشيعية، وكتاب أحمد بن أبي بكر البوصيري "السيرة النبوية: علامات النبوة.

٢٦ إشارة إلى حديث شريف حين آخى رسول الله عليه الصلاة والسلام بين أصحابه بعد الهجرة، فقال لسيدنا عليّ: "أنت أخي في الدنيا والآخرة.". أخرجه الترمذي، وابن عدي، والحاكم، كما الحديث الشريف: "أنت مِنِّي بمَنزلَةِ هارونَ مِن موسى إلا أنَّه ليس بَعدي نَبيٌّ". صحيح مسلم وصحيح البخاري.

٢٧ حديث شريف تقول معظم كتب الأحاديث إنه لم يثبت عن الرسول ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.

(٧)

قالب صار قلبا
ومخلوق صار خلقا
وجزء صار كلا
فقام الحق وزهق الباطل
انتقال مصطفى محمد كامل

حديث الجمعة

٧ رمضان ١٣٨٢ هـ - ١ فبراير ١٩٦٣ م

(كان مُجِدًّا في الله، يبحث عنه في نفسه، فهداه الله إليه. كان جادا وكان مجدا في الله، فاحتسبه الله لنفسه. كان جادا وكان مجدا في الله، فاصطفاه الله لنفسه. كان مسترشدا بإمامه، وبهدي رسوله، قائما مؤمنا بمرشده، فاجتباه الله لنفسه.

مصطفى.. ما غاب عنكم ولن يغيب، وكيف يغيب وهو رجل جند في الله، فأصبح لا فناء له، ولا عزاء فيه! فالعزاء فيمن يفنى، ولا عزاء في قائم.

كان مستقيما صادقا في الله، متابعا لإمامه، مستقبلا قبلة ربه من بيت مرشده بجهاز وسيطه، فهداه الله لنفسه. لا أود أن أراكم محزونين من أجله، ولا تلبسوا شعار الحداد من أجله، بل صلوا من أجله، وادعو له بالخير، فما زال أخوكم مصطفى بخير، وما زلنا نعمل من أجله.

فحمدا لله وشكرا له على ما هداه إليه، حمدا لله وشكرا له لقد بدأ أن يفيق من غيبوبته ومن سباته، هناك من يعمل بجانبه وكان أقربكم إليه صحبة، ليأنس به، وليطمئن إليه، إنه أخوكم قدري. لقد بدأت هذه الأسرة أن تتكون لتعمل في رسالتها ما بين العالمين، ندعو الله لكم وله التوفيق حتى يحقق الله لكم آمالكم في الله، وكمالكم في عالمكم، إنه سميع مجيب.)

هذه هي عبارة السماء إذ تتحدث عن رجل من أبناء الروح ومن أبناء الأرض، جند في الطريق في حياة المجاهدة والكسب، قياما في المادة وجهازها من دنيانا، وداني إدراكا، فصبر وصابر، ولبى نداء رسول الله، وعرف أن الصلة بين العبد وربه هي الصلاة، وأن الإيمان بالله إنما هو الإيمان بقدسية الحياة، وأن المتابعة لمحل عقيدة من أبوة أو أخوة إمام من أنفسنا هي الطريق، وأن بذل وتبادل المحبة للناس ومع الناس، والمتابعة للإمام أو الرائد تنتج أثرها في عاجل الحياة قبل آجلها، فتغير الطريق لسالكها، وتفتح الأبواب لطارقها، فتعلم نفسه ما قدمت وأخرت، فتسترشد فيما علمت بما يُقوم طريقها فيما طلبت، فعلمت لتستكمل، واستكملت لتتكامل، وتكاملت لترتقي إلى كمال بعد كمال في معراج لا يتوقف، مستقبلة لعطاء لا يجز في مسير لا ينتهي.

إن خير الأمور الوسط. إن الإنسان في أعلى عليين مهما علا فهو دون عالي من عليين. والإنسان أسفل سافلين مهما سفل فدونه سافلون من سافلين، فالإنسان في صافي النفس وسليم الوعي وصادق العزيمة هو في دوام في حال وسط بين عالين وأعلى وسافلين وأسفل، فإن كان في سافلين فأسفل وطلب العلو والتسامي فهما سما فما زال وصف الوسط بين سافلين وعالين له وملاحقه. فلا يليق به أن يخدع نفسه بالصعود أو التصاعد فيتوهم كمال الكمال له ومفارقة الافتقار لوصفه. وإن كان في حال تكشف له وصف سافلين لمجتمعه أو لنفسه فلا يليق به أن يخدع في نفسه أو في مجتمعه فيستسلم للهبوط ويأس من الله، بل عليه أن يتحرر من مجتمعه من السافلين برباط مع المتحررين منه، فإن تحرر كان عليه أن يحرر معه من يطلب التحرر تكاثرا للمتحررين.

{إن تنصروا الله ينصركم}[1]. إن التعاون مع الإنسان الحر المتحرر من بيئة الهاوين لنشر الحرية الفردية بالتحرر من ربقة وسلطان وقيود المادة هو معنى نصر الله من المنتصر له والناصر لأعلامه بالحياة والرقي. (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[2]. إن الله وعد بنصرة المنتصرين للحياة أو المنتصرين للحق في أنفسهم باجتماعهم على نواة له بكلمة منه بينهم، {تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله}[3].. {أُنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا}[4]. إن فوارق الدرجات بالله في الله لا ترفع ولا تحط من أقدار الناس بالله في الله، ولكنها تنظم الركب اللامتناهي في طرفيه الأعلى والأسفل. والمهم أن يقوم الناس بالله وفي الله فيكسبون ويحرصون على هبة الحياة لا يفقدونها سيرا إلى العدم وخروجا من الله إلى قيام أوهام التواجد.

إن السعادة، وإن الحياة، وإن الجنة، في مواصلة العمل، ومواصلة الكسب، ومواصلة الزرع والحصاد، في الحياة.. في الوجود.. في النفس.. في الأنا.. في المعنى.. في القيام.. في الذات.. في

لطيف الإنسان، وكثيف الإنسان، عاملا في تواجداته بين التكاثف واللطافة، بقيام كثيف على هذه الأرض، وقيام ألطف في كواكب السماء، وفي قيام لطيف مشرق بالنور في عالم الروح، أو في عوالم الروح. إن الذي عرف لذة المسير لا يتوقف، وإن الذي عرف ثمرة العمل لا يتعطل، وإن الذي ذاق لذة الكسب لا يتلكأ ولا يتوانى في نشاطه طلبا لمزيد من تحصيل ما بقي في حياة العمل والكسب بزعم انشغال بمتعة من إنفاق لم يحن أوانه.

ها هو أخ لنا يفارق بشبحه، ولا يفارق بروحه، ولا بمعناه. لقد ازداد بنا التصاقا، وازداد عن الحياة فهما وإدراكا، وازداد في العمل نشاطا. آب إلى عالم الروح الذي عرف من قبل أنه كان فيه، وقد تواجد منه إيابا إلى عالم المادة، فعرف في عالم المادة أنه من قبل قد كان فيه. عرف وجوده في عالم المادة في قيام سابق، وقيام أسبق، وقيام لا يدرك، فعرف عما قدمت نفسه، وشيئا عما كانت نفسه، ومن كانت نفسه، لقائم معناه. وعرف أنه جاء من عالم الروح قديما، تحجب عنه قليلا ثم أسفر المرة بعد المرة، وأدرك أنه إليه يؤوب، وأن داره فيه تنتظره بمغنم وقد علم علة مجيئه إلى عالم المادة. عرف أن داره في حياة الروح، مشيدة بعمل جديد تنتظر صاحبها، وتستعد لاستقباله، فهو سيعود إلى عالم الروح منسوبا إلى أسرة، وله مكانه في بيت لا مشردا، ولا ضالا، ولا مقطوعا عن أهل، إنه سيعود إلى بيت لله ينتظره ليأويه، ويحتضنه ليسعده ويحميه، وعما قريب يتهيأ ويُهيأ له بيننا من يتحدث منه، ونستمع منه إليه كما كنا نستمع إليه، ونعلم منه عن قائم عالمه كما كان يتعلم بيننا عن عالمنا، فيعرف أن لا فرق بين عالمينا موحدين، ومنه نعرف أنه لا فرق بين عالمينا متجمعين، وأننا وعالمه وعالمنا عالم واحد لحقائق إنسانية واحدة، يجمعها بيت حقي واحد، لا يكسب الحياة فيه إلا من عرف وحدانية العالمين، فعاش فيهما، وعَلِم بهما، وعلم عنهما، وعلم عن طريقهما ما لا يُعلم لغير من يعلمهما، فكان عالم الغيب والشهادة يوم عرف قبلته وأقام صلاته شهادته وغيبه من حيث ما يتواجد به في عالميه بمعلومه، أما الغيب عنده فبما يعلم عما لا يعلم عن نفسه في نفسه بقائم علمه عن علمه وعَلَمه من أمر نفسه في واسع الوجود بربه، هو فيه لا ينتهي له رقي أو معرفة عن نفسه وعن ربه وعن إلهه، هما له وهو فيهما، وهما فيه وهو بهما العبد لهما والحق منهما، كلمة تمت بالله ورسوله في الله ورسوله.

ما عَرف الإنسان ربه إلا في نفسه، ولا يُعرف الرب لعبده إلا في نفسه، ولا يعرف الرب إلا عبده، ولا يتعارف إلا إلى عبده، ولا يشغَل العبد إلا ربه. وما طلب العبد ربه بعيدا عن نفسه إلا باعد بينه وبينه فجُرمه وظلم نفسه. وما صدق في طلبه في نفسه إلا وجده وكسبه. إن الإنسان هو وجه الرحمن، وهو عبد الرحمن، وهو ظاهر الرحمن، وهو الحق من الله، يوم يستقيم الإنسان على ما

عرف وإليه هُدِي، ويتجنب ما منه حُذِر، ومنه وقِي، ما استقام على طريق، وما اجتمع في الله على رفيق، وما سار في طريق على بصيرة مع أهل البصيرة، وما قام في عمل على حسن سريرة، ما رآه في الدنيا غريبا وعابر طريق، وعدّ نفسه من الموتى فكسب الإيمان فكان مؤمنا.

إن الأعمال بالنيات، وإن لكل أمرئ ما نوى. من طلب الله وهاجر إليه بطرح مشاغل دنياه ظهريا، مع انعكاس بصره في بصيرته حاليا وفعليا ليبحث عن الله في نفسه، على ما أمره استقام أمره ووجد طريقه، {واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة}[٥]، وقوِّم إليه طريقك. اذكره في نفسك تضرعا وخيفة، واعلم أنه يعلم السر وأخفى، واعلم أنه يعمل ما اتصف بعمله، وأنه أقرب إليك من حبل الوريد، ما شئت مشيئة إلا كانت مشيئته، وما قمت في إرادة إلا كانت إرادته، وما قُدِّرت على فعل إلا كانت قدرته وما وفقت في طريق إلا كانت هدايته، وما زلت بك القدم إلا كانت حكمته. قائم على كل نفس. لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت.

لا تباعدوا بينكم وبين الله في قيامه، قائما على كل نفس، ومن ورائها بإحاطته. لا تباعدوا بينكم وبين الله في قيامه عن قائم قيامكم فتحرموه، وما هو قائم لكم في يومكم في غد لكم تفقدوه. إن الذين كفروا بمعية الله، أعمالهم كسراب بقيعة، يحسبه الظمآن ماءً، فإذا جاءه لم يجده شيئا، ووجد الله عنده. كفى بنفسك فقدتها باسم الله اليوم عليك حسيبا وقد أصبحت عملك.

إن أنانية الله محلها الإنسان يوم يقول الله به إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري. وإن أنانية الإنسان محلها الله يوم تقول كلمة الله إني عبد الله. وإن أنتية الله ما هي إلا مخاطبة أنانيته بالعبودية لمعاني العبد له، في أنانية العبد به يوم يخاطبه فيقول له {ربِ لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا}[٦]. وأنتية الإنسان فيه يوم يقول له أنانية به، ما خلقت الإنس والجن إلا ليعبِدوا أنفسهم لمعناي. فأيًا ما كانوا، أربابا كانوا، بأنانيتي، أو عبادا كانوا بها فيهم غير محرومين من أنانيتي ومعاني الوجه واليد لي، فأنا الرب وأنا العبد بهويتي، الرب عني صدر وعني يقول، هُوَ.. ربي، والعبد مني تواجد وهو عني يقول، هُوَ.. ربي، يوم يشهد كلاهما ربه رسولا من نفسه وقياما من حسه، القلب بيته، والعقل نوره، والنفس ناره، والذات وجوده ودنياه، والسماوات روحه وأخراه.

إن الذي عرفناه بلا إله إلا الله، يوم تقومنا لا إله إلا الله، ويوم نقومها رسلا لها، فننادى لا إله إلا الله، ونخاطب لا إله إلا الله، ونجاهد لا إله إلا الله، لا نشرك به شيئا، ولا يتخذ بعضنا بعضا من دونه، فهو لنا بنا، وبقيامنا، العبد والرب، من ورائهما بنا بإحاطته، وعليهما علينا بقدرته، هما منه برحمته، وهو لهما بعزته وحكمته.

ها هي الرسالة الروحية بنا تؤسس بيتا في السماء، يصعد إليه أهله، وتؤسس بيتا في الأرض، ينزل إليه أهله، فنعرف كيف يوضع البيت ونعرف كيف يرفع البيت، ونعرف أن البيت الموضوع في عالمنا هو ظل للبيت المرفوع في عالمه، وأن البيت المرفوع في عالمه هو ظل للبيت الموضوع في عالمنا، وأن المرفوع والموضوع ظلان لبيت لله من بيوت له لا عد ولا حصر ولا انقطاع ولا بدء لها. إنها بيوت ثلاث في وحدة من كلمة، وأوادم ثلاث في وحدة من آدم، وإنسانيات ثلاث في وحدة من إنسانية، وعوالم ثلاث في وحدة من عالم، وأكوان ثلاث في وحدة من كون. إن القيام الواحد للثلاث غير جامد في ذاته عن الاتساع والكبر، وغير جامد في أطرافه من القيام والزمن، وغير جامد عن سبق بمعناه ولحاق بمعناه عَبّر عنهما بقيامه ومعناه. ومن ذلك كان خير الأمور الوسط في الوجود اللانهائي للموجود السرمدي، وكان اسم الله وذكر الله والحق من الله هو للأمر الوسط بوصف رسول الله، أو بوصف عبد الله، أو بوصف رب الناس ملك الناس إله الناس. فالبيت المرفوع أو البيت الموضوع كلاهما بيت الله، وكلاهما قبلة الله، وكلاهما حوض للحياة، وكلاهما مطاف للنجاة، وكلاهما دار للهداة، إليهما يُتجه بالدعاء والصلاة، وبالرغبة إليهما تسلك الطريق، وتركب سفن الخلاص والنجاة، هو في السماء إله وهو في الأرض إله رب السماوات والأرض لا شريك له. هل تعلم له سميا؟

ها نحن في هذه الرسالة نرى الدين واقعا يقوم، بقيامه نعرف ما هو قائم، وبقيامنا فيما هو قائم نعرف ما سوف يقوم، ونعرف ما سبق أن قام، فنتواجد في قيام لا يغيب، وفي حياة لا تنقضي، وفي عمل لا يُمل ولا ينقطع، وفي حياة تزداد بغير قلة، وتنمو في غير توقف، فنعرف الحياة، فتطيب الحياة، فنصدق الله يقول لنا في دوام، ولمن خاف مقام ربه جنتان، فنحيا في جنان الله في أنفسنا، وفي أئمتنا، وفي إخواننا، وفي حاضرنا، وفي قابلنا، وفي ماضينا، وفي عملنا، وفي أنانيتنا، وفي غيريتنا، وفي أنتيتنا، وفي هويتنا، وفي تقيدنا، وفي انطلاقنا في معلومنا، وفي مجهولنا. هذا ما قام عليه الإسلام بشهادتيه، لا إله إلا الله، والله أكبر، وبشهادة هديه واستقامة الطريق على مراده في شهادة محمد رسول الله لنفس القائم بالشهادة في شهادته لمشهوده من أمره أن محمدا، في أنفسنا ومعنا، وفوقنا، وتحتنا، وقبلنا، وبعدنا، وفي قائمنا ومعنا، رسول الله، وعبد الله والحق من الله لنا، هو لنا كل شيء لنا في الحياة، وفي الوجود ما آمنا أنه الحق من الله للمؤمنين به من المؤمنين بالله، {واعلموا أن فيكم رسول الله}[٧]، {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم}[٨]، يقوم ويتقلب في الساجدين. اعلموا أن في أنفسكم رسول الله، اعلموا أن في ضمائركم يوم تحيا رسول الله، واعلموا أن كل نفس بنفسها بصيرة برسول الله فيها، واعلموا أن بينكم الخبير من الرحمن رسولا من أنفسكم، واعلموا أن هذا أمر ما كان في قديم له انقطاع، وما كان له في حاضر ضياع، وما له في قابل فقدان، فما غاب ولن يغيب له عنوان. اعلموا الحياة على ما هي الحياة، واعلموا الله على ما هو الله، واعلموا أنه لا جديد في الصمد، وأنه ما قال لكم ساعة أو

قيامة، أو حشرا أو بعثا، إلا كشفا عن قوانين الحياة، في قائم الحياة قائمة فاعلة، لا جديد في الله، فالحشر قائم والقيامة قائمة، والساعة قائمة آتية متجددة متعددة مع كل نفس في أنفسكم، وفي جمعكم، في حياتكم من حاضركم، وفي حيواتكم مما لا تعلمون، في سمواتكم وفي أرضكم، وما تحت الثرى، وما دون أرضكم، إنما هي قضايا الوجود وقضايا الحياة وقضايا الطبيعة، اكشفوها تتكشف، {سنريهم آياتنا في الآفاق، وفي أنفسهم، حتى يتبين لهم أنه الحق}[٩]، لا جديد فيه، صمد في وجوده، صمد في فعله، صمد في صفاته، وأنه ليس له صفات الحوادث من خلقه، فلا قيامة يقيم غير قائمة، ولا حشرا يحشر غير قائم، ولا حصادًا يحصد غير حاصد، فهو حاصدكم، وهو حاشركم، وهو مقيمكم، وهو باعثكم، وإن لكم في حياة الروح لقيامة وبعث، وإن لكم في الارتداد إلى الأرض لقيامة وبعث، وإن لكم في كل جديد تقومون فيه من مهاجرة من صفة مرذولة إلى صفة محمودة قيامة وبعث. تخلقوا بأخلاق الله، ففي التخلق بأخلاق الله القيامة والبعث. جددوا أنفسكم وجددوا سفينة ذواتكم، ففي تجديد أنفسكم القيامة والبعث، لا تغيبوا أمر الله، ولا تغيبوا هدي الله، ولا تغيبوا فعل الله، ولا تغيبوا قدرة الله، ولا تغيبوا الله عن أنانيتكم، ولا هويته عن إحاطتكم، ولا أنتيته عن مشهودكم من الناس، ومشهودكم من الكون، واعلموا أن لا إله إلا الله، على ما هو قائم وعلى ما أنتم فيه بقيام، واعلموا أن محمدا رسول الله، على ما هو قائم وعلى ما أنتم فيه بقيام.

إن الاتصال الروحي الذي يقوم في هذا العصر ومنذ أكثر من قرن من الزمان بين دواب الأرض ودواب السماوات تحت إشراف الأرواح المرشدة والأرواح المهيمنة يقتضي من كل صاحب عقيدة أيا ما كان دينه، أن يعيد النظر فيما بين يديه من التبليغ، وأن يفهمه في ضوء هذه الحقيقة القائمة التي لا يستطيع العقل مهما كان نصيبه من الالتواء الإنكار عليها. إنها خرجت بالغيب من كنزية غيبه إلى قيام في قائم الشهادة. إن الذين طلبوا إلى موسى أن يروا الله جهرة وهو المرئي فيما ينظرون أجابهم الله إلى سؤلهم وقد ضاعف الحياة لقائم الحياة، فجمع بين إمكانيات إنسان الغيب وإنسان الشهادة في الأجهزة البشرية من إنسانية القيام على صورة مقدرة بظاهر الحواس وبباطن الحواس لطارقي أبواب الروحية.

إن الذي نعمل له ونطمع ونحن على ثقة من تحقيق الله له أن يتمكن إخواننا طنطاوي، وقدري، ومصطفى، ومن يلحق منا بهم، أن يقدموا لهذه البشرية، وأن يفعل بهم السيد الروح المرشد لنا ما يجبه[١٠] مسلمي صدر الإسلام ومسلمي القرون حتى هذا العصر، فيما أنكروه على الرسول وأهله وعترته، وعلى أهل البصيرة من متابعيه عن اتصال العالمين ومواصلة الحياة فيهما، والتردد بالعمل بينهما، وهو ما فعله لهم أرواحا فعلا، وما ننتظر أن يفعله لهم أشباحا في أشباح هذا القيام بأرواحهم يقظة متحررة،

وبهذا يتجدد الإسلام على فطرته وقد أصبح غريبا على أدعيائه باسم أهله وهو دين أهل السماء قبل أن يكون دين أهل الأرض. وقد أملته السماء على الأرض يوما وهي تعيد اليوم إملاءه وبيان ما سبق أن أملت، وسوف تمليه الأرض على السماء يوما يوم يبدل الله الأرض غير الأرض والسماوات، ويرث الله الأرض ومن عليها يوم يرثها من عباده الصالحون، وتقوم فيها خلافته على سماواتها إذ تلد الأمة ربها يوم تنشق الأرض عن وليدها وسيدها، يوم تنشق عن المحمود الموعود، يوم تنشق عن ابن الإنسان بأديمه وآدمه وعين العنوان لقديمه وعلمه.

اللهم يا من دركتنا بما لا ندرك لا تقطع عنا تدريكا فيما لا ندرك. اللهم وفر من العلم عنك حظنا، ومن القيام بك قدسنا، ومن الطلب لك طريقنا، ومن المتابعة لنبيك صفاءنا، ووحد برحمتك بين قلوبنا، ويسر بكرمك أمرنا، وادفع عنا شرور أنفسنا، وشرور الأشرار من خلقك بما أحكمت من أمرك، وأدخلنا ساحتك بعفوك، وبرحمتك وبرضائك في مظاهر رضائنا عنك ورضائنا بك، وارفع حجاب الغفلة عنا بقدرتك، ويسر سبيلنا بمنتك، ولا تتركنا لأنفسنا طرفة عين ولا أدنى من ذلك برحمتك، وأنزل سكينتك على قلوبنا، والسلم والسلام على أرضنا، وتولَنا في أمورنا، وخذ بنواصينا إلى الخير، حكاما ومحكومين روادا ومرودين، يقظين وغافلين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

أضواء على الطريق

(الدين هو أن تخدم الروح الأعظم بخدمتك أطفاله. الدين لا يتصل كثيرا بالأفكار التقليدية في عالمكم. الدين هو ذلك الذي تساعد الروح الأعظم الذي فيكم على أن يبرز في حياتكم. الدين هو ذلك الذي يزيد من الرباط بينكم وبين الروح الأعظم، وبينكم وبين أطفاله الآخرين. الدين هو ذلك الذي يجعلكم تنتشرون في الأرض، لتقدموا الخدمات أينما تقدرون. الدين هو الخدمة والخدمة هي الدين.

أما ما عدا ذلك فليس بذي قيمة. عندما يسقط الجسم الفيزيقي سوف يثبت أن كل المذاهب التي جاهد وحارب البشر طويلا من أجلها لم تكن إلا عبثا، وعبثا فارغا لا معنى له ولا غرض، إذ أنها لم تساعد على نمو النفس قيد أنملة. إنما يزداد نمو النفس بالخدمة لا غير لأنه عندما تنسى ذاتك في خدمة الآخرين تنمو نفسك في التركيب والقوة.

وُجد منذ القدم كثير مما سمي بالأديان، وكان لكل قوم رسالة تبدو مختلفة، ولكن الأشياء التي استمسك الناس بقوة عليها مع مرور الزمن لم تكن مما له قيمة جوهرية. احتفظوا واستمسكوا بما سبب سيل الدماء والتعذيب والتمزيق والتحريق. بها انقسم البشر إلى معسكرات متضادة، ولم تزد بها روح الإنسان ذرة واحدة، أو تنمو قيد أنملة في طريق الحياة والتجمع عليها، لقد خلقت الحواجز وسببت فروقا لا لزوم لها بين الشعوب وبين العائلات. خلقت المنازعات وعملت لكل شيء من ديدنه

المهاترة وعدم الانسجام. لقد فشلت في تأليف أطفال الروح الأعظم. هذا هو السبب في أننا لا نعنى كثيرا بالمباني والدين التقليدي. ولا نهتم ولا نضع وزنا لما يسميه الإنسان بنفسه لنفسه، وأن ما يهمنا دائما هو ما يعمله من أعمال وما يقترن بعمله من غاية وعزيمة عليها).

من هدي السيد (سلفربرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة محمد - ٧

٢ حديث شريف. صحيح البخاري. جاء أيضا: " والذي نفسُ مُحَمَّدٍ بيدِهِ لا يُؤْمِنُ أحدُكُم حتى يُحِبَّ لِأَخِيهِ ما يُحِبُّ لنفسِهِ من الخيرِ." أخرجه النسائي ومسلم.

٣ سورة آل عمران - ٦٤

٤ سورة الإسراء – ٢١

٥ سورة الأعراف - ٢٠٥

٦ سورة نوح - ٢٦

٧ سورة الحجرات - ٧

٨ سورة الأحزاب - ٦

٩ سورة فصلت - ٥٣

١٠ يُجبه: يُسْكِتُ أو يُفْحِم أو يُواجِهه بشدة

(٨)

الإنسان
الذكر المحدث للذكر القديم
في قائم الله الرحمن الرحيم

حديث الجمعة

١٤ رمضان ١٣٨٢ هـ - ٨ فبراير ١٩٦٣ م

إنا للـــــــــــه

وإنا إليـــــه راجعـون

إنا بالله قائمون، وإنا إلى الله بأنفسنا راجعون. هذه هي الحقيقة التي قام فيها الإسلام دين كتاب، وأسفر بوجهه عن قائم وجوده دين الفطرة، وفطرة الدين. مثّله محمد، بفطرته إنسان الفطرة في قيامه، يوم قام بمجيء بمولد مسفرا ببلاغ، منصتا لسماع، ناطقا ببيان، صفوة لإنسان، وقياما لإنسان، وبدءا لإنسان، فدار بإنسانه في دورة الإنسان بين حقيقته وخليقته، يقوم خلقه من حقه، ويقوم حقه من خلقه. بُعث بالحق من حقية خلقه، وغفر له ما تقدم وما تأخر، وما قام، مما يصدر عن معنى الخلق فيه إلى معنى الحق به من ذنبه.

قام الإسلام دينا مرضيا من الفطرة، يوم قالت الفطرة ما سبق أن ردَّدت وأظهرت، رضيت لكم الإسلام دينا، ويوم قالت الفطرة بما سبق أن فعلت، أتممت عليكم نعمتي، وأظهرت الحق إنسانا. أظهرته على الدين كله، فظهر على الدين كله وبه ظهر الدين كله. وبذلك تواجد الإنسان بقديمه بمعاني العبد، وأسفر الإنسان بحقه بمعاني الرب، وعرف الإنسان بحقيقته بمعاني الإله، وظهر وجه الكل بإظهاره وجها لمن هو الكل. عنونته كلمة الله بباطن لا يدرك إلا لكائنها، وبظاهر مدرك في ذات الإنسان، وغيبيته لبشرية صفاته هي واحديته لأحديته في معناه وذاته.

لم يكن محمد بدعا من الرسل، ولم يكن بدعا من العباد، ولم يكن بدعا من الإنسان، فقد عرف ذلك كله، وقام ذلك كله، كما قامه في الله قائم من قبله بمعناه، ويقومه في الله قائم من بعده بمعناه، وهو

ومن قبله وهو ومن بعده، رفاق في الله لا يعرفون معنى التعدد لهم ولا الفرقة لجمعهم بآحادهم، هم عباد لله أرباب في خدمة الناس في سائر عوالمهم، آلهة للناس بالإنكار على ذواتهم لقائم ودائم فعلهم، ملوك على الناس بربهم خلفاءه على أراضيه من ذواتهم، لا يخدمهم الناس ولكن يخدمون الناس، لا يحتاجون إلى الناس ولكن يحتاج إليهم الناس. يفتقرون إلى الله في دوام وهم الأغنياء به، ويفتقر إليهم الناس افتقارا إلى الله، ويتعارفون إلى الناس تعارفا مع الله لا يعرفون له أغيار في الوجود.

بمحمد ظهرت أزلية رسالة الله، وقامت أبدية رسالة الله، بإدراك الهدي بها صفة له للإنسان به. وبذلك قام عباد الرحمن من الإنسان يمشون على الأرض هونا، يخفضون جناح الذل من الرحمة للمؤمنين، ويستكبرون على أهل الكبر من الطغاة المتكبرين.

وبقيام إنسان الإسلام بمحمد رضي قديم الإنسان في قيامه جديد الإنسان لقيامه، وتعهد قديم الإنسان بدائم قيامه بالاتصال بجديد الإنسان في أبدي قيامه، وبذلك انقطع وصف الإنباء والنبوة والآباء والأبوة من وصف الإنسان، إلى معاني الفطرة له تقوم وتعلم بوصلة الرفاق الأعلى والأدنى. وبذلك تميزت رسالة الإسلام مع محمد عن رسالة الإسلام مع من قبله من أنبياء الفطرة ورسلها، كما تميزت بالتعريف عن قائم الفطرة ودائم انفعالها، {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون}[1]،{كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله}[2]، تعرف الله ظاهرا لا يغيب، وتعرفه غيبا لا يدرك، وتعرف الإنسان فيه من ظاهر الفطرة إلى غيبها، ومن غيب الفطرة إلى ظاهرها وجها له، فتعرف الإنسان آتيا من أعماق الغيوب إلى قائم الشهادة، رقيا له وارتقاء فيه، بيتا يوضع يذكر فيه اسم الله، وتعرف الإنسان راقيا من الشهادة عارجا إلى أعماق الغيوب رقيا فيه وارتقاء له بيتا يرفع يذكر فيه اسم الله.

إن الإسلام كدين كتاب ما هو إلا كشف النقاب بأعلام عن قائم الفطرة، والعمل به طريقا وسلوكا يجعل ما عرَّف عنه قياما محسوسا مدركا، كما يجعل من قوانين الفطرة خلقا قابلا للإدراك وللقيام بما نشهد من أمر الفطرة في أنفسنا وفي الطبيعة، وبما يتكشف من قوانينها، ومن قدراتها، ومن فعلها، ومن تدبيرها، ومن وعيها، ومن حكمتها، ومن انتظامها، ومن صمديتها، ومن دوامها، ومن أزليتها وأبديتها في سرمديتها، لا يجد علينا من أمرها إلا الوعي عنها، ولا يجد على قيامنا ومسلكا بوعينا إلا استقامتنا على ما ندرك، واستقامتنا مع قوانين قيامها، منتجة لآثارها فينا، وقيامها بنا، مدركة لمعيتها معنا، ووحدانيتها لنا، ووحدانيتنا بها، حتى ينعكس ما بنا من وحدانيتها لنا على كل ما نرى ونسمع ونشم ونلمس ونعقل من وحدانيتنا بها.

إذا عرفنا الإسلام كدين كتاب وإنه إنما هو العلم عن الفطرة وقوانينها، وعن الوجود القائم وصفاته وقدراته وحكمته، نتواجد فيه ونقوم به وفق مراده وتحت سلطان قدرته، في حكمة منه لإنشائنا لنفسه نعرفها يوم نعرف فينا عنه، ويوم نعرف عن أنفسنا منه، لكان لنا في هذا حياتنا من عملنا وسعادتنا من وصلته بنا وصلتنا به.

بدأنا فيما نعلم من تراب، ومن أنفسنا، ومما لا نعلم، في معراج إليه حتى وصل بنا إلى أحسن تقويم، وجوها له، وحقائق فيه، برحمته بنا، وبعزته في وجوده لا شريك له، وبوحدانيته لا قائم غيره، ثم كلف من حقق أن يعود لمن لم يتخلق فيتحقق فرجع الإنسان بأحسن تقويم إلى الإنسان تحت سلطان الفطرة، وتحت سلطان الطبيعة، وتحت سلطان نفسه، ضالة غير مهتدية، حائرة غير مرتضية، قلقة تعيسة في قطيعتها منها عنها عن وصلتها بها لها، متعجلة معناها لها بربها. وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا! فجاءه قديم نوعه هاديا ممن له أوجد ليُعرف، وبه تواجد ليتعارف، رسلا من أنفسهم، ختمها عبده، ورسوله، وكتابه، وحقه، ووجهه، وإنسانه، وفطرته، ويده، وقدرته، وعلمه، ورحمته، وحكمه، وحكمته، وتدبيره وعزته، من عرفناه لنا عبد الله ورسول الله والحق من الله، بلفظ ذكرناه ما اتصفناه، ولنا أن نكون معناه يوم نؤول إلى معناه، بحقي معناه، فنعلم أن فينا رسول الله، يوم تحيا فينا الضمائر، وتبعث بنا السرائر. لقد أبرز الله من قبله سليمانا (سليم أنا) يسلك طريقه إلى نفسه، فيعتز بكرم الله عليه في حاضره، وبآلائه له، وبنعمته عليه، ويعتز بنفسه لذكره - أن به اسم الله، لا مؤثرا، ولا متقبلا للشريك له في مولاه، {وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي}[٣]، فأعطاه ربه ما طلب، وسلكه طريقه، في نفسه، مرتقيا بنفسه، على نفسه، في ملك له، ليستأثر به لنفسه، في نفسه، لا يتعارف إلى جمع، ولا يتواصى في جمع بحق، ولكنه يقوم في سلطانه بسلطانه، ولا يعرف إلا سلطان نفسه، عبدا ملك داره وزمامها، وساد الدار وروادها، وملك زوارها وجوارها، وتواجدت فيه صفات معانيه، منفردا في مسلكه ومراقيه، لم يرتضيه الله لمعانيه من رحمته وإن أقامه ربه في عظمة الله تعبيرا وعلما على معناه من عظمة، وحذر الناس أن يطلبوا لأنفسهم هذا المعنى، كما حذرهم أن يقعوا تحت سلطان هذا المعنى، (العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، شاركني في شيء منهما قصمته ولا أبالي)[٤].

إن سليمان الحكيم كان بسم الله الرحمن الرحيم فيما كان، ولم يجعل قدوة للناس من الإنسان، فهو في هذه الزاوية وهذه الصفة لله الرحمن الرحيم أسفر به معنىً فيه، ووجها له، وقياما به، في كبريائه وعظمته أمرا لعباده لا يرتضيه فهو يظهره ويفنيه.

لم يشارك سليمان الله في عظمته ولا في كبريائه، ولكنه أحب من الله الكبرياء والعظمة، فجعله الله في الكبرياء والعظمة علما عليهما ثم أفناه ما أبقاه، وضرب به مثلا لرفع الهوان عمن أراد الله لهم

الهوان، {لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين}[٥]، جعله مثلا لأصحاب النار وملائكتها من الإنسان. لم يؤلف القلوب له ولم يرفعه مكانا عليا على مُثل من رحمته من أصحاب الرضوان، ولم يسوِ بينه وبين العديد ممن جعلهم أيدي رحمته، ووجوه نعمته، وأحواض الحياة منه، من أعطاهم فردوس أنفسهم دارا لجنان، وجزاهم غرفة العنوان، ووصفهم بأهل بيت الإحسان. {لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون}[٦]، {إن الله مع الذين اتقوا، والذين هم محسنون}[٧].

ولقد جعل الله مثالا لأهل هذا المعنى من أهل الإحسان المسيح وأمه، إذ جعل من عيسى كلمة لله، مرضية، ومن فردوس نفسه جنة لله عالية، يجلس فيها مع إخوان له على سرر متقابلين، في الله يتواصون، وعن الله يتحدثون، وعن المعرفة والعلم يتذاكرون، وفي أمر بني إسرائيل وأسباط إسرائيل يحكمون. وضرب به مثلا للمسلمين، وللمؤمنين، وللصادقين، وللطارقين، وللسالكين، وللعارفين، ممن لله يذكرون، وفي الله يقومون {في مقعد صدق عند مليك مقتدر}[٨]، ثم جاء بمحمد عليه السلام، فأبرز به حكمته بسليمان، ورحمته بابن عمران، فأعطاه من قدرته، بقدر ما تستقيم معه وبه حكمته، (وا عجبي لأناس يجرون إلى الجنة بالسلاسل)[٩]، {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين}[١٠]، وجعل من بيته وأهله وعترته كلمات لله، وأبناء للإنسان، وجعل منهم حقا راعيا، وربا ساهرا داعيا، أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم، كما ساق الناس إلى خيرهم بما أبرز في أمته بأصحابه من سليمان وسليمان. أبرز الله به وبهم إنسان آدم بأوادمه يوم يتواجد آدم على صورته في ناموس ظهوره ظاهرا لباطن لا تتوقف دورته في صمديته. أبرز الله به آدما بذاته ذاتا في عين ذاته، وظهر به روحا تدانيه، تظهره بمعانيها في عين معناه لمعانيه، وتخبره بمعانيها تواجدا من سبق معناه لسابق لمعانيه، سواه الأقدم لقديم إنسانه، بقائم إنسانه، وبشَّره بعينه في قادم عنوانه لإنسانه.

لقد قام محمد للناس وبين الناس بقدوته وأسوته، بشرى للناس لما يؤول إليه أمر الناس. عَلّمه مَن آل محمد فوعى وبدعوته دعا، فقام ببصيرته، فتجددت به في الناس جلدته بها يتكاثر وبالناس يتدثر، ثم بمعناه لمعناهم يتناثر. ودانته حقائقه، تتواجد وتمتد، وتنتشر فتتزايد.

جمع محمد بين الطريقين من إنسان الغيب إلى إنسان الشهادة، إنباءً وخَبرًا، ومن إنسان الشهادة حياة وخلقا، إلى إنسان الحق قياما ومسلكا وطلبا، فكان للناس إماما وهديا وخلاصا.

بذلك أكمل الله للإنسان به ظهور الله فيه، وظهور الله حوله، وغيب الإنسان على الإنسان معروفا وموصوفا، فكان الحق على ما شُهد، وكان الحق عِلمًا منه على ما شَهِد، عرَّف الحق أينما نولى فوجهه، وعرَّف الحق، كيفما وأينما ننعكس في أنفسنا، هو معيتنا، ونحن له جهره وسره، لا نحيط بشيء من علمه إلا بما شاء أن يحوطنا في معلومنا عنا، ولا نظهر بوجه له إلا بقدر آلائه بمعلومه بنا عنه.

علِمناه لا إله إلا الله، بأنفسنا فينا بها ندركه في كل ما نسمع ونحس ونعقل ونشم ونشهد، وعلمناه الحق حقا بمحمد رسول الله، كلما أُلناه، وصرنا بمتابعة في معناه، وعلى بصيرة لاقيناه معنىً للحق قائما بمعنى رسالة الله الأزلية القائمة الأبدية، فبمحمد لا نتوقف من ربه آلاؤه، ولا نتعطل رحمته، ولا يحد اصطفاؤه، ولا يجز عطاؤه ربا من إله واحد، لا شريك له من أنفسنا، ولا شريك له من مجتمعنا، ولا شريك له من أهل الأمر علينا، ولا شريك له من طاغية أو مستبد بنا، ولا شريك له من عبد أو عالم أو عليم، برزوا لله جميعا لهم مالك، ولهم مسخر، وبهم حكيم عزيز قادر.

بذلك ظهرت الفطرة بوحدانيتها، وظهر الكتاب بفطرته، وقامت الفطرة على كتابها، واستقام الأمر عند مأموره بآمره. لا جديد تحت الشمس، ولا جديد في الحق، الله في كل شأن وكل يوم له شأن، والله في كل يوم وفي كل شأن له يوم، {وإن الدين لواقع}[11] ...

يظهر ظاهرا لمن يطلبه ظاهرا، ويختفي على من ينكره معروفا، ويتعارف إلى من يعرفه لا يتصف.

ويتصف، فيمن عرفه بوحدانيته بصفاته.

الإنسان مظهره، وهو للإنسان جوهره.

والإنسان جنده، وهو للإنسان قديمه وأثره.

الإنسان فيه بين إله ورب وعبد، وعبد ورب وإله.

الإنسان فيه، شهادة إلى غيب، وغيب إلى شهادة.

الإنسان فيه، الظاهر والباطن به، والظاهر والباطن منه.

اصطفى كل أصل له، وكرَّم كل فرع فيه.

علَّمه الأسماء كلها أصلا أما وأبا، وكرمه وفضله على كثير مما خلق فرعا وولدا.

وجعل في اصطفائه قياما للمعروف، ووصفا لخير الموصوف، وجه حقه، وتمام كلمته.

إن الإنسان، ما بين ظهوره بآدم في معناه، وبطونه بآدم إنسانا لأبناء، هو الظاهر والباطن من الله. إن الله للإنسان عبدا له بالإنسان، رسولا منه عن الإنسان، مرسلا إليه أقرب إليه من حبل الوريد، قائما فيه على كل نفس، متعارف إليه يوم يعكس بصره في بصيرته فيرى بمرآة قلبه من ليس كمثله شيء وهو بوجهه كل شيء.

هكذا عرف محمد ربه وإلهه، وعرف في ربه وإلهه نفسه، عبادا لله في وحدة منه، فقدر الله حق قدره، وعرفه على ما يليق به. عرف محمد ربه إنسانا، وإلهه إنسانا، وصفهما بالرفيق الأعلى يوم عرف نفسه إنسانا، وجعل من معروفه عن معنى الله ما هو أكبر، فعرفه الله أكبر وأكبر، وأن الله بوجهه، بمن يصطفي، وبمن يجتبي، وبمن إليه يتعارف عبادا له. وبذلك تجاوز محمد رسالة شعب الله المختار في أبناء يعقوب، وآبائه إلى إبراهيم وإلى نوح، وإلى آدم قياما بآدم لذاته وبأوادم سبقه لمعناه إنسان الله وعبده ورسوله، وجاء البشرية بما لم يجئها به من قبل رسول. لقد عرف الرسل من قبل الله بأصلهم الأول في إنسان آدميتهم، وكانت نهاية المعرفة عندهم في معروفهم أن يخاطبوه (أبانا الذي في السموات)[١٢]، فيوم قال يعقوب لبنيه {ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلها واحدا ونحن له مسلمون}[١٣]، إنما عنوا كلمة الله التامة بكلمة إلهك، أي غيبك يا من هو به ظاهر لنا أبا، وبذلك كانت نهاية المعرفة عند بني إسرائيل أن يقول الأبناء للأب يا إلهنا، يا ربنا، يا من هو ظاهر الأب لنا لا يغيب، يا من التحق بالأب الأول فكانه، وظهر به ابنا له، وجعل منا أبناءً لهذا الأب. هذه عقيدة بني إسرائيل، وهذه نهاية المعرفة عند شعب الله المختار الذي جعل من إبراهيم بدؤه وقد جعل في ذريته الكتاب والنبوة، وقد جعل من محمد ختمه، وبعثه، وجماعه، وتجديده بأصله من نوح إلى موسى بعثا لآدم وكلمة الله التامة به. {هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون}[١٤].

إن محمدا لم ينكر على هذا الوعي ولم يرفضه، ولم يسفه هذه الأحلام وقال على لسان الله في دائرة هذا المعنى، (ما ظهرت في شيء مثل ظهوري في الإنسان) ، وقال الله في دائرة هذا المعنى واصفا محمدا بهذا المعنى، { وقل جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا }[١٥]، {إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا}[١٦]، وإن بيوتا من قبل رفعت ذكر فيها اسمه، وما زال يذكر فيها اسمه، وإن أول بيت وضع للناس لن يكون آخر بيت يوضع للناس، فهو بيت لله وضع للناس، يذكر فيه اسمه، يعقبه بيوت توضع للناس يذكر فيها اسمه، ما تابع الناس محمدا بيتا موضوعا، فسلكوا إلى الله مسلكهم، غير متثاقلين إلى الأرض، بيوتا مرفوعة، يجزون الغرفة بما صبروا، فإذا انشقت سماؤهم كان لهم حق العودة إلى الأرض بفرعهم بيوتا موضوعة، وهنا يقول محمد اتبعوني يحببكم الله، وإن أحبكم الله، واصطفاكم لنفسه، كان لكم من الله ما لي. إن نهاية ما وصل إليه الإنسان من قبل محمد، إنما هو الإنسان وهو ما عرفه محمد لنفسه بمعنى العبد.

إن محمدا هذا على ما هو، هو ما بشرت به رسالة بني إسرائيل، على ما هي، فقال أنبياؤهم، وجاء في كتبهم، إن الأرض يأتيها نبي الأمم، يأتيها روح القدس، يأتيها صاحب البيوت، يأتيها مدينة العلم،

يأتيها من يحل في البلد ووالد وما ولد، يأتيها من يدخل الناس في دينه أفواجا، يأتيها من كل من يتابعه، يصبح كلمة لله إنجيله في صدره، وولدا للإنسان، ووجها لله ذو الجلال والإكرام، هو أولى بالمؤمنين به من أنفسهم، لأن كل مؤمن به هو في بيته، ويكون مدخله في بيته بداية في حقه، يأمره إنسانه وربه وإلهه بالصلاة، حتى يتهيأ لرحمة الله ولنفحات الله، فيسوي الله بينه وبين أبيه، ويجعل منه آدما يصطفيه.

بمحمد أصبحت كلمة الله حقا يكسب للناس باجتهاد الناس في المتعرض لرحمته ونفاذ وعده، وأصبح وصف آدم أمرا يتعرض له الناس يوم يرتضيهم الله لنفسه، ويجعل منهم بدءا لخلقه ووجها لمعناه، وبيتا لحضرته، وعالما يعرف مولاه، ويذكر فيه الله بوحدانيته.

لقد أصبح إسرائيل وبنو إسرائيل في محمد زاوية من زواياه، ومعنىً من معناه، وقياما من حقه في جوهره ومبناه، نبي الأمم حقا، ونبي المعرفة حقا، فيه سفن الخلاص، من مبانيه لمعانيه في خلقيته تطورا إلى عينه بمعانيه وربانيه في حقيته، قُدر به الله، وبه ذكر الله، وبه عُرف الله، وبه ظهر الله، وبه تعالى الله، به كُرم أبناء آدم، وبه تمت النعمة لآدم في اصطفائه، وبه ارتقى آدم إلى صفائه، وبه عاد آدم إلى الخلق بإنائه رسولا من أنفسهم، صلى عليه الغيب وعوالمه، وطُلب للشهادة أن تتعرض لصلته وصلاته، بالصلاة عليه.

قديم الحق به يظهر، وقادم الحق به يعمل، رسول الحق إلى الخلق، نبيا، مصلحا، ورسول الخلق إلى الحق، إماما هاديا مخلصا.

رحمة المطلق للمرحوم به حضرة رحمته، عبد الله دائما وإن تألهه، المتواضع دائما وإن تعالى، والرب الخادم الذي يخفض جناح الذل، لمن يرعى ويرحم، بحكمته، بسعته، برحمته، بعلمه، بسكينته، نهاية المعارف، وبداية ما يشرف، وانقضاء ما يشقي، وسفينة ما يسعد.

إن محمدا، وقد فتح للناس أبواب حضرات الله في كل حضراته، وبكل صفاته، وتميز برحمته، وخصه الله بباب رحمته، وارتضى له الله عنوانا وبيانا حضرة رحمته، وجعله الله للناس حوض رحمته، {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين}[١٧] ...

فهل نطلبه؟ هل نسعده؟ هل نعمل لنقومه؟ هل نعتقده قائما؟ هل نراه قريبا؟ هل نؤمنه حبيبا؟ هل نستمعه مناديا؟ هل نلبيه قائدا؟ هذا الذي تذكرون أنكم على دينه، وترون مع الناس أنكم في دينه، ولستم في ذلك إلا ما آمنتم بما تسمعون، وصدقتم ما تشهدون، وأدركتم ما تعلمون، واستقمتم على ما تعرفون، فكانت لله فيكم قيامة، وكان لكم بفعلكم من الله سلامة، قيامة تعرفونها وتحسونها، وخلاصا

وسلاما تدركونه، وتحسونه، فتزحزحون عن النار، وتفوزون بالجنة، يوم تجافون أنفسكم، وتعزلونها عن أوانيكم مع روادكم فتتعلمون الموت، وتقومون المسح، إذ ينفخ الله من روحه فيكم، نورا على نور، وروحا على روح، وأمرا على أمر، وحقا على حق، وقياما على قيام، يوم يقوم محمد روح الله في أوانيكم، ويتقلب فيكم سجودا لربه ثم به تبعثون، ولربه تذكرون، فتعلمون حقا أنه خلقكم أزواجا، وأقامكم أزواجا، وأنه خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض، وأنه خلق الأزواج كلها من الأرض، ومما تنبت الأرض، ومن أنفسكم، ومما لا تعلمون.

بذلك في الله تقومون، وبدينه تعملون، وبرسوله تشهدون وترحمون. لا إله إلا الله محمد رسول الله عز على الإحاطة وعز على المكافأة والمثال.

اللهم إني أعوذ بك أن أقول زورا، أو أن أغشى فجورا، أو أن أكون بك مغرورا، اللهم اجعل لنا بمحمد قيام، واجعل به منك لنا سلام، أنزل به سكينتك على قلوبنا، والسلم والسلام على أرضنا، اللهم به فصلنا، وبنا له فصله، ولا تجعل بيننا وبينك عائقا من أنفسنا، ولا من أوزار قيامنا، بإدخالنا في ساحة قيامه، وفي بنيان سلامه وأعلامه، وفي روح انطلاقه، وفي عظمة روحه، من عظمة لانهائيك بروحك في وجودك ذاتا بسعتها لا تحاط ولا تدرك، وروحا في مطلق لانهائي لا يبلغ. الكل بذاته في ذاتك سابح، والكل بروحه من روحك مستمد، لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين، اللهم ضع عنا أوزارنا، واكشف حجاب الغفلة عنا، وأنر بنور رسولك عقولنا، وأحيِ به صورنا، وأوجدنا بأنانيته عبادا لك، أحيِ به أنانيتنا، وابعث به أمنا أمما فيه وأمما لك، وولِ اللهم أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا، وأعلِ كلمة الحق فينا بك وبرسولك، وأعلِ كلمة الحق علينا بك وبرسولك، وأعنا وارعنا بكلمة الحق منك برسولك. لا إله غيرك ولا معبود سواك.

أضواء على الطريق

(أنا يا من تدعونه سلفربرش أستودعكم الله. بعد لحظة قصيرة أكون في المستويات التي عشت فيها سنوات طويلة، كيما أحس مرة أخرى بتلك القدرة الحيوية الروحية المتجددة في إكسيرها البالغة الكمال في كل جمالها، والتي تجعلك تدرك ماهية الحياة عندما تستطيع تذوقها في ممالك الروح العليا.

كيف أتمكن من وصف السمو الروحي في كلمات؟ كيف أستطيع وصف السرور والفرح عند اجتماع الكائنات التي تشع الضوء العظيم للروح الأعظم، هؤلاء الذين امتلأوا حكمة وفهما ومودة وعطفا، الذي يعلمون كل شيء قبل أن تنبس به؟ الذين يعرفون دخيلة أفكارك، الذين يرون أعمال عقلك، الذين يعرفون عن نجاحك وفشلك؟

عندما أترككم لا أرتبط بعد ذلك بقوة جذب الأرض ولا حتى بذبذباتها. إني أترك ورائي الجسم النجمي الذي أظهر لكم من خلاله، وأقتصر على الجسم الروحي الخاص بي، والذي يكون عادة شبه مخلوع عندما أتحدث معكم هنا، والذي أترك فيه جزءا من وعيي عند انطلاقي إلى العوالم الأعلى حتى يمنع فساده عندما أنسحب لأسجل المزيد والمزيد من وعيي الداخلي، وإن كنت غالبا لا أنجح في الوصول إلى الوعي الذي كنت أبديه قبل مجيئي إلى عالمكم المادي، إذ لا أستطيع في أيام قليلة أن أؤدي ما استغرق سنين. هذا هو السبب في أنني أسعى لكسب فترة أطول بقدر الإمكان، إذ أنه بزيادة الوقت الذي يمكنني استغلاله في التحرر من ذبذبات الأرض يزداد علو درجة الوعي التي أسجلها في مستويات الروح التي أريد الوصول إليها، وهي العوالم التي ضحيت بالحياة فيها من أجلكم راضيا بخدمتي لكم).

من هدي السيد (سلفربرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة آل عمران - ١٠٤

٢ سورة آل عمران - ١١٠

٣ سورة ص - ٣٥

٤ حديث قدسي: "الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدا منهما، قذفته في النار." صحيح مسلم، أخرجه أحمد وأبو داود.

٥ سورة سبأ- ١٤

٦ سورة الحشر - ٢٠

٧ سورة النحل - ١٢٨

٨ سورة القمر - ٥٥

٩ حديث شريف: "عِجب اللَّه من قوم يدخلون الجنة في السلاسل." صحيح البخاري. كما جاء بلفظ "عجبتُ لأقوامٍ يُقادونَ إلى الجنةِ في السلاسلِ وهم كارهونَ." أخرجه ابن الأعرابي في معجمه، وأبو نعيم في حلية الأولياء.

١٠ سورة الأنبياء - ١٠٧

١١ سورة الذاريات - ٦

١٢ الصلاة الربية في الإنجيل: لوقا: ١١: ٢

١٣ سورة البقرة - ١٣٣

١٤ سورة الأنبياء - ٩٢

١٥ سورة الإسراء - ٨١

١٦ سورة آل عمران - ٩٦

١٧ سورة الأنبياء - ١٠٧

(٩)

أحدية

العبد وربه والرب وعبده

تمام الكلمة لله في الله

مثنى وفرادى بظاهر لباطن وبباطن لظاهر

حديث الجمعة

٢١ رمضان ١٣٨٢ هـ - ١٥ فبراير ١٩٦٣ م

جلس إليه أهله، أو جلس هو إلى أهله، صادقا غير متهم، أمينا بعيدا عن كل ظنه، ثاقب الرأي، يُستمع له، محلول عقدة اللسان يدرك عنه، عرض على قومه ما تصبو إليه نفوسهم، بعد الذي أدركوا من رحلة الشتاء والصيف. بها يطعمون من جوع، وفي صحرائهم وحرمة بلدهم بلد البيت الحرام، يأمنون من خوف. أسكنوا بواد غير ذي زرع، لا يطمع فيه، ولا يؤبه له، أشربوا حبه، جنة الدنيا عندهم حدوده، وجنة القناعة لهم وجوده وشهوده، ولكن في النفس غاية، وليس لطلب النفس نهاية. إنهم يؤمنون بالبيت حرما لهم، وبرب البيت أبوة لهم، وبأهل البيت كلمات الله من أبيهم إبراهيم، يذكرون أباهم إبراهيم، يعتزون بأبوته، حنيفا ومن المسلمين. فقال لهم أخوهم وكلهم وليده، (هل توافقوني على كلمة إن قلتوها كان لكم ملك العرب والعجم والروم)[١]؟ وهذه هي دنيا معرفتهم في ذاك الزمان، فقالوا له متأمليه، إن كانت هناك كلمة تأتي بذلك كله فنحن معك نقولها، علمناها وقلها لنا، فقال لهم (أن تشهدوا وترددوا معي أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله). إنني رسول رب البيت إليكم وعبد الله بينكم، ونبيه عنه إليكم، وإمامكم منكم إليه، رسولا من حقي أنفسكم. أنا دعوة أبي إبراهيم تتحقق، وكلمة الله به تتجمع. فنظر بعضهم لبعض مستهزئين، وردوا عليه مستكبرين، أهذه القالة تأتي بذلك كله، يا لعجبك وعجب بيتك، ما أعجبكم يا بني هاشم! فنظر إليهم وقال (من يبايعني منكم على ذلك؟)[٢]، فأحجم الكل هزءا وسخرية، وامتدت يد طفل يافع، لم يدخله العيش بعد قائلا، (أنا أبايعك يا بن العم على ذلك)[٣]، فقال له: (وأنا بايعتك على ذلك)، ونظر إليهم وقال لهم:

وهذا خليفتي فيكم. فنظروا إلى أبي طالب وهو أمير هاشم، ومحمد في عرفهم من رعاياه، وقالوا له (يا للعجب أُنظر إلى ابن أخيك، كيف يؤمر ولدك عليك!)[٤]. ومرت الأيام، وأعلنها داويةً محمد أن لا إله إلا الله، وقام أمامهم بجنود شهدوها على رأسها عليّ معززا بجنود لم يروها، يقودها الروح، وأعطي قدرة وحكمة، وقام عَلَمًا وعِلمًا، وبرز عليّ له سيفا ولسانا، ويدا وجنانا. ودارت الأيام، واستجلب الناس إلى ساحة لا إله إلا الله طوعا وكرها، وطوَّف الله الناس حول بيت الله رسولا له، وألَّف الله بين قلوب، وجَمع حوله وعند قدميه نفوس، وداول الأيام بينه وبين أهله وعشيرته، فإذا هو العزيز الكريم، وإذا هم الضعفاء على كثرتهم، الأذلاء في استكبارهم وكِبرهم، وإذا به يقول لهم ورؤوسهم تحت أقدامهم (ماذا تظنوني فاعلا بكم؟)[٥]، ولسان حاله يقول، ها أنا القادر عليكم، إن شئت وهبتكم الحياة، فواصلتم الحياة، وإن شئت طهرت الأرض من أشواكها منكم، فقالوا (أخ كريم وابن أخ كريم)[٦]، فأبرز الله به عفوه وكرمه وسعة رحمته، فلم يقف عند إطلاق سراحهم، وعتق رقابهم من قبضة سيفه، وقد قال لهم (اذهبوا فأنتم الطلقاء)[٧]، بل تألف قلوبهم بالعطاء، وهيأهم لوافر من الجزاء، وأعدهم لما أحكم من أمره، ليكون أمرهم.

وحقَّق لهم ما وعد، فكان لهم ملك العرب والعجم والروم، ولم يحققوا من جانبهم ما إليه أرشد، وأنكروا على بيته وأهله، لا هم بهم يؤمنون في دين، ولا هم لهم يسالمون في دنيا، خاصموهم في الدين ففقدوا الدين، وخاصموهم في الدنيا ففقدوا الدنيا، فلا عزة لهم وقد جعل الله لأهل الكفر بدينهم السبيل إليهم للسيادة عليهم، فصاروا كما كانوا في جاهليتهم الأولى، لا دنيا لهم بعد أن ملأوا دورهم بالأثاث والرياش، وقلوبهم بلقع[٨] من صحراء، لا دين لهم، وهم في جفوة مع ربهم، بجهل نما في نفوسهم، عن رمز بيتهم، ومعنى ربه، رسولا من أنفسهم. أول بيت وضع للناس داناهم من عليائه وأول إنسان كامل دانَى الناس بعثا من سمائه عاريا بالرفيق الأعلى لهم، إلا من رحم.

إن الذي قاله الأب، قاله الأبناء من بيته قياما له من بعده سفن نجاة، وأعلام حقائق، وساحة رحمة، وبيوت طواف، ووجوه حجيج، أعلام الأنبياء وقيامهم شهداء وعلماء، فكلما ظهر رجل من عترته أعاد في الناس كلمته وسيرته، يا أيها الناس، هل توافقوني على قول، لو قلتوه معي، لفض عن قيامكم الذل والهوان، وتخلصت عقولكم من الأوهام والمزاعم والبهتان، وتحررت رقابكم من قبضة أهل الكفر والطغيان؟ يا أيها الإخوان، يا أيها الناس، يا أيها الإنسان، إن الخلاص والنجاة، إنما هي في أن تصلُّوا معي على رسول الله. فيقولون مقالة الآباء، أهذه الكلمة، أهذه الكلمات، أهذا القول معك، يعيد لنا مجد العرب، ملك العرب، سيادة العرب، عزة العرب، سلطان العرب!! سبحان الله، هل كان للعرب عزة بغير هذا؟ هل كان للعرب سلطان بغير هذا؟ من هم العرب؟ حفاة الصحراء، رعاة

الكلأ، أدلاء القوافل، حراس الطرق، هل هذا مجد!! هل هذا شرف! لقد كان مجدا وشرفا حقا يوم كان العرب في قناعة به.. لا ينظرون إلى مدينة الروم أو إلى مدنية الفرس، فتستزلهم ببريقها، وتخرجهم عن كرامة أنفسهم، في قاحل أرضهم، وتبعدهم عن الاعتزاز ببيتهم ورب بيتهم وشرف أوطانهم. هَداهم إلى كسبهم من رزقه، في رحلتي الشتاء والصيف، بهما أطعمهم من جوع، وحول بيتهم بعقيدتهم بيتا له، آمنهم من خوف، ودفع عنه بتدافع الناس حوله بعضهم ببعض.

يا من ترون أنكم عربا، وأن لكم في العروبة شرفا، آمنوا بالقناعة، ولا تخشوا المجاعة، آمنوا بربكم، يطعمكم من جوع، ويؤمنكم من خوف، وصلوا على نبيه ورسوله، رسولا من أنفسكم، واعلموه فيكم وفي معانيكم، ما كان الله ليعذبكم وهو فيكم، معلوما لكم، قائما بكم، قائمين به، فرض كفاية قيامه في فريق منكم يحقق الغاية لجماع بكم، ما كان ليعذبكم وأنتم تستغفرون من أوزار ذواتكم، وظلمة نفوسكم، وضيق عقولكم، وشهوات أنفسكم، فتجاهدوا في الله حق جهاده، فيهديكم السبيل على ما وعد وتتقون بذلك منه ما أوعد.

إن الرب بصراطه المستقيم، إنما هو العبد على صراطه المستقيم. إن ربي لعلى صراط مستقيم. إنك لتهدي على صراط مستقيم. قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة، أنا ومن اتبعني. لقد خلَّف الرب عبده على السبيل، وجعله للناس، بين الناس، من الناس، في أنفسهم، عليه عين الدليل، قل هذه سبيلي، لقد أعطيتك سبيلي، لقد خلفتك عني، فكنت سبيلي، وكنت وجهي وحقي ودليلي. تقوم وتتقلب في الساجدين، ليكونوا عبادا لي، مسحاء لك، أنت عبدي وهم ظلالك، أنت القائد وهم رجالك، أنت الإمام وهم مثالك، أنت الكمال وهم حالك وأحوالك، قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني، وإذا سألك عبادي عني، يا من جعلته دائما في دوامي، وقائما في قيامي، وقياما لسلامي، وكتبا لكلامي، ونداءً لقيامي، ووجها لجلالي، ويدا لرحمتي، وقدما لسعيي، وبسطا لأمري، وقياما دائما لذكري، يا من جعلته عبدي، وأعلمت أن العبد لي عين الحق مني لمن يعرفني أو يطلبني، وأنه لا يرى مني لعبدي إلا رفيقا أعلى هو عبدي، في داني وجودي، علما بما في عالي وجودي، إن كل من في السموات والأرض إلا عبدي، وآت لعبدي، رفعت بعضكم فوق بعض درجات، ولترفعن جماعات طبقا فوق طبق، ما قدرني الناس حق قدري. يا أيها الناس، من كان يريد العزة، فإن العزة لله جميعا، إن العزة لله جعلها له ولرسوله، وللمؤمنين، وما الرسول والمؤمنون فيه، إلا عبادا له، في عباد له، هي حقائقه وحقيقته وحقه.

متى غاب الخالق عن الخلق؟ ومتى غاب المعبود عن العبد؟ ومتى غاب الموجد عن الوجود؟ ومتى غاب الغيب عن الشهود؟ ومتى غاب المشهود عن الناشد والمنشود؟ هذه لا إله إلا الله، فهل قامها

الناس؟ هل قامها المؤمنون؟ هل طلبها المسلمون؟ هل طرق بابها الحائرون؟ هل عمل بها المصلحون؟ هل استقام عليها السياسيون؟ هل عمل في حقها الاجتماعيون؟ هل وردها الاشتراكيون؟ هل اعتز بها الديمقراطيون؟ هل تحرر بها الأحرار؟ هل خشيها الأشرار؟ هل استظل بها أهل الدار في الدار؟ هل سار خلفها الثائرون؟ هل طلب وصفها العالمون؟ هل حن إليها العاقلون؟ هل رق معها المحبون؟ هل غرسها في الناس الصادقون؟ هل استنصرها العاملون؟ انظروا أنتم أنفسكم، وتأملوا أنتم أنفسكم. ما لكم على أنفسكم لا تحكمون، وقومكم لا تعتزلون، وإلى نفوسكم في أنفسكم لا تنعكسون، وأنتم لهذا القول صباحا ومساءً تسمعون؟ إنا لا نقطع من الله رجاء لكم وقد حقق الله رجاءنا لبعضكم، ولا نقطع بين أنفسنا وبين أنفسكم رجاءً لنا فيكم، وقد قام قدسي الرباط بمؤمنيكم وإن قل، ولكنا لا نريد أن نراكم مجرد مستمعين، لما تسمعون له غير آبهين، وبه غير عاملين. ما قامت هذه الجماعة، وما قامت هذه الدعوة، وما دار في هذه الندوة حديث، وما تواصى الناس في هذه الدار بحق، وما دار لهم قول، أو استقام لهم عمل، إلا على إدراك الصلاة على النبي، فَهمًا في النبي، وطلبا للنبي، وإيمانا بالنبي، وقياما في النبي، ورباطا مع النبي، وتجديدا للنبي، بالقضاء على النفس وشهواتها، وعلى الذات ونزواتها، وعلى الأنانية وغفلتها، طلبا للوحدانية وشرفها، في وحدة في الله علم أحديته وحدة قلوب في الله، وحدة نفوس لله، وحدة عقول بالله، وحدة أرواح في روح لله. ها أنتم ترون ثمارها فيما تشهدون ويحصد مجتمعكم ثمرتها مما تغرسون. إن الذي يقع أمام نظركم لتتأملوه وتقرأوه من آيات الله بأحداث الأرض في هذا الزمان، إنما هو فعل روح الله بكم عليها لنصرة السلام لأهلها.

نحن وحداويون، نوحد الله، ونتوحد مع رسول الله، فيوحدنا رسول الله، هو وسيلتنا إلى الله، فيوحدنا الله مع رسول الله رحمة من الله، فنقول لا إله إلا الله، ونعمل لا إله إلا الله، ونسعى لنقوم لا إله إلا الله، وراء من قام لا إله إلا الله، وتحقق لا إله إلا الله، فكان إمام لا إله إلا الله، عبدا لله، ورسولا من الله، وإماما للناس، وقائدا للناس، وحقا للناس، وربا للناس، وملكا للناس، وإلها للناس، وخادما للناس، وسيدا للناس، في رسول من الله، وعبد لله من عرفناه عبد الله في ذات مُحمد من الله، محمود من الناس، أحمد كلمات الله لكلمات الله، حقا من لا إله إلا الله في لا إله إلا الله، ووجها لحاضر الله، وقياما لظاهر الله، وكتابا لغيب الله، من إنسان الله في غيب الله لإنسان الله في شهادة الله.

هذا هو الإسلام على ما بلغناه وعرفناه، وهذا هو الإيمان على ما علمناه وشهدناه، وهذا هو العلم على ما تحدثناه فقمناه. فهل صلى الناس معنا على رسول الله، حتى يصلهم رسول الله؟ وحتى يتكشف

لهم فيهم رسول الله، فيعلمون أنهم من الله وإلى الله، فيسعدون بعلمهم عن الله، ويعملون قياما في الله بالله في ذهاب وإياب إلى الله ومن الله في معارج الله بالله؟

سبحان الله وتعالى الله عما يصفون، وتنزه الدين عما به يقومون، وعنه يتحدثون، فوهم الإدراك به تزعمون. أيها القائلون بلا إله إلا الله، اشهدوه أن لا إله إلا الله في أنفسكم، واعلموا أنه لا إله إلا الله في أنفسكم وفيما حولكم، واعلموا أن محمدا ما كان لكم إلا لا إله إلا الله، تدخلونها يوم تدخلونه، وتطوفونها يوم تطوفونه، وبيتها يوم تحجونه، وجه الله، ويد الله، وقدم الله، وعين الله، وأذن الله هو لكم وفيكم كل ذلك، وكل ذلك فيكم ولكم ما استقمتم معه، وتابعتم خطوه، وقبلتم هديه. أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله.

اللهم يا هو.. يا هو.. يا هو، يا من ليس كهو إلا هو.. اللهم اكشف حجاب الغفلة عنا، اللهم أنر بصائرنا، اللهم أيقظ عقولنا، اللهم طهر نفوسنا، اللهم قوم ذواتنا وجوارحنا، اللهم كن لنا في الصغير والكبير من شأننا، اللهم كن لنا في أمرنا، اللهم خذ بنواصينا إلى الخير، اللهم عافنا من إقامة عدلك، وعاملنا بكرمك وعفوك، اللهم عافنا مما نحن له أهل، وعاملنا بما أنت له أهل، اللهم حقق لنفسك فينا ما من أجله خلقتنا، اللهم اصنعنا لك بيديك وعلى عينك، لنفسك لا لغيرك، اللهم طهر بيتك بقلوبنا، ولا تجعله لغيرك من رسومنا، اللهم وفقنا وسدد خطانا، وولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا، واهدنا حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، وخذ بنواصينا إلى الخير، يقظين وغافلين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

أضواء على الطريق

(هذا هو أعظم سرور لي أنظر إليه بشوق مستمر ففيه أتمكن من أن أصير نفس الحقيقة المجردة لمدة قصيرة، فأستمتع بميراثي الصحيح، وأختلط بالذين عرفتهم جيدا منذ زمان طويل، وأتذوق الحياة كما تفهم في تلك السماوات فقط، حيث لا يعرف الحقيقة إلا الذين أوتوا الفطنة الروحية بعد سنين من التقدم والتطور.

إني أرجع لأصحابي الذين رافقتهم قرونا كثيرة، لأتذوق الحياة التي عرفتها منذ أمد بعيد جدا والتي هجرتها بإرادتي لأخدمكم جميعا. ولا أكون صادقا إذا لم أقل في هذه المناسبة أني أنظر إلى الأمام مستبشرا بما أدخر هنالك من كنوز.

هناك ينعقد هذا المؤتمر الخطير وفيه من كل الكائنات ومن كل الشعوب ومن كل الجنسيات فيه كل الخدام والعاملين في ميادين كثيرة وفي أراضي عدة لكي يقارنوا مدى تقدمهم. في هذا الاجتماع

والعودة إلى حياتنا الحقيقية عيدنا الأكبر. لا يمكنني وصفه لكم لأنه لا توجد لغة تفي بالمراد. فكل المباهج التي تصورتموها في أعظم لحظات إلهامكم تتكمش وتنعدم قيمتها بجانب الحقيقة التي نلمسها في هذه المناسبات.

إني لا أتكلم لكم بهذا إعجابا بنفسي، ولكن مبشرا بما يصح أن يكون لكم، بل بما يجب أن يكون لكم. إنا نرثى لحالكم أنتم يا من هم في عالم المادة ونحن نراكم وقد تقيدتم بخمس حواس مهوشة، وسجنت أرواحكم في جسم فيزيقي فأصبحتم به محدودين ولا تعرفون شيئا من المباهج التي تمد للروح المنطلقة. وتنظرون إلى الحياة من الفتحات الخمس لسجنكم، فلا تدركون معنى الحياة ولا تعرفون أن الروح عندما تكتشف نفسها يكون لها الحرية لتستمتع بأكمل مباهج الروح الأعظم).

من هدي السيد (سلفربرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ عبارة جاءت في كتب السيرة النبوية المختلفة بتعبيرات متعددة، في إشارة لليوم الذي دعا الرسول صلى الله عليه وسلم قومه للإسلام ومما قاله لهم:" يا بني عبد المطلب إن الله بعثني إلى الخلق كافة، وبعثني إليكم خاصة فقال عزوجل: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ. أنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان تملكون بهما العرب والعجم وتنقاد لكم بهما الأمم، وتدخلون بهما الجنة وتنجون بهما من النار: شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله..."، تفسير الطبري، وشواهد التنزيل، وتفسير البغوي، وتفسير ابن كثير، والطبقات، وتاريخ دمشق، وتفسير الثعلبي.

٢ أُنظر الملحوظة السابقة.

٣ أُنظر الملحوظة السابقة.

٤ أُنظر الملحوظة قبل السابقة.

٥ من حديث شريف يوم فتح مكة: "معشر قريشٍ، ما ترون أني فاعلٌ بكم؟ قالوا: خيرًا، أخٌ كريمٌ وابنُ أخٍ كريمٍ! قال: فإني أقولُ لكم ما قال يوسفُ لإخوتِه: لا تثريبَ عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاءُ." السيرة النبوية لابن اسحق، وابن هشام، كما رواه والطبري في "تاريخ الأمم والملوك"، والنسائي والبيهقي في "السنن الكبرى."

٦ أُنظر الملحوظة السابقة.

٧ أُنظر الملحوظة قبل السابقة.

٨ بلقع: تعني مكانًا أو أرضًا خالية لا شيء فيها، أي قفرًا وخاليًا من كل شيء.

(١٠)

إنسان الحق
بمطلقه لقائمه
بآزال قديمه وآباد قادمه

حديث الجمعة

٢٨ رمضان ١٣٨٢ هـ - ٢٢ فبراير ١٩٦٣ م

تواجد محمــدا

يوم تواجد من انشق عنه عبدا لله، من خلاله عينه تواجد. ومن قبل تواجد قديم قديمه بعين ذاته طالبا لله عبد المطلب. وما كان إلا متجددا بالحق تواجدا من خلال من هشم نفسه في الله هاشم جنديا هو يد قدرته، في بيئة هي قريش إنسان السافلين من أحسن تقويم.

وهكذا تواجد من سابق لتواجد إلى ما لا يعلم إلا الله.

تواجد بوصف الإنسان في أمة عرى بها الحق به، وحورب بها الباطل بوصف خصمه، فكانت جماعا للناس بحقهم وباطلهم، وبعثا لجميع الأجناس ظاهرا لباطن من إنسان ليعبر بها قديم الحق له عن نفسه (عربي)، فكان للحق به، بذاته وبيته، وآبائه، وأسرته، وأمته، وإنسانيته، في عصره وعصوره قضية في الحياة لكشف أسرار الوجود، لا بل قضايا بها كان تعبيرا عن صفوة القديم، خيارا من خيار من خيار. وكان أصل القادم، من خلاله يبعث القديم لاستكمال أحواله وأطواره عالما بمعناه بين عالمين كل منهما ظاهر لباطن وباطن لظاهر، فكانت ذاته مثالية مرتضاه عند ربه، وعند قديم معناه حقا ورسولا لله بحاضر معناه، كلما ظهر في حاضره بمعناه أول عباد لله، وخاتم رسل لله، وطابع الحق من إنسان الله، في مطلق ولانهائي الله وجودا وروحا ونورا وإنسانا وحقا.

كان إنسان الله، ومرضي مسيح الله لنفسه كلمة تامة منه صنعه لنفسه بقدرته، وأكمله بيدي رحمته على كمال مشهود عينه، مطية قدسه، وظاهر حقه، ووجه رحمته، فكان لأهله به في الله قضية، وكان لأمته به في الحق قضية، وكانت للإنسانية والبشرية في الكون به قضية، وكان للأرض وأهلها وقد

دب عليها بقدميه به في الوجود قضية، ولاستوائه بها حيا في معاني الحياة ومعارجها قضية، ولانشقاق لها عنه مرة وأخرى تنتظرها البشرية في قانون عدل الله ورحمة الله قضية.

رسالة النبوة من قبله تُعرِّف به وتشير إليه لكمالها وتمامها المنتظر به، وقيام الشهداء من بعده به يقومون، وبه يُعلِمون، يقوم بهم بؤرة الاتصال بين النور الأزلي والإشراق الأبدي حجر الزاوية، حيث يتلاقى طرفا مستقيم الحقيقة مع طرفي مستقيم الخليقة، فيظهر الحق في مركز دائرته بظهور الخلق على محيط قبلته، ويبقى الخلق ببقاء الحق، فيتخلق الحق متجليا، ويتحقق الخلق متكنزا. الإنسان همزة الوصال، ونقطة الاتصال، بين القديم اللانهائي، والجديد اللانهائي، بين أزلية الحق، وأبدية الخلق له، وبين أزلية الخلق، وأبدية الحق لهم، فلا حق بلا خلق ولا خلق بلا حق. فالإنسان بحقه مركز دائرة الوجود لطالبي الشهود بخلقه. وبذلك كان محمد إنسان الله حقا وخلقا في أحديته، وواحديته، وصمديته، في أحدية ربه وواحديته وصمديته، كما كان عبد الله في أحدية عباده، وواحدية عباده، وصمدية عباده. كما قام رسول الله في أحدية رسالته، وواحدية رسله، وصمدانية هديه فكان الحق من الله، في أحدية الحق بحقائقه لمعروفه، وواحدية الحق بذواته في موصوفه، وصمدية الحق في قائمه لمعروفه وجه الله لأحدية وجهه لوجوهه، وواحدية طلعته لصفاته بموصوفه، وصمدية ظهوره بحقه في موصوف خلقه برزخ البحرين يلتقيان، ووجه الحضرتين للإنسان، ومعنى ذكر الله للعيان.

تواجد فردا ضالا في الضلالة عن معرفة معناه، فكُشف عنه غطاؤه، وهُدي إلى نفسه بمعناه فعرف من طلب في وحدته إنسانا، وتواجده على ما طُلب فلبى بالعبودية معنى وقياما لمعناه بحاضره، قديمه بالربوبية عينا وقياما، في قيامه في وحدته إنسانا بمعناه حقا من حقائق في الله، فكان ظاهره العبد، وباطنه الرب، وواحده الحق ووجه الإله. قام به للخلق قائم الحق من الله. أُمر أن يتلو كتابه على مكث فمكث. وأُمر ليبين للناس فأبان متكاثرا يتحدث. وأُمر أن يصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي فمشى وما زال يمشي على الأرض هونا بحثا عنهم. وأُمر بالصبر فصبر وما زال صابرا لم يتخلَ ولن يتخلى يقوم ويتقلب في الساجدين. وأُمر أن يخاطب الناس على قدر عقولهم، وبلغة قومهم، فأشفق على الناس في كل علم وبيان، وجعل من العقل أصلا لكل ما قدم في عموم البشرية، وما كشف لها قياما وامتدادا بنوره في كل عالم أو مصلح أو حكيم، وتخير للهدى من بينهم في حدود قابليتهم في كل مكان وفي كل زمان. وأُمر أن يَؤمّ الناس نخفف في إمامته كلما أمّ ظاهرا، ولم يُثقل عليهم بتكليف، وإن نفسه بينهم وفيهم كلف، متبعا أحسن القول. وأُمر أن يبشر الناس ففتح لهم باب الرجاء على مصاريعها، لم يترك للرجاء بابا إلا فتحه، وللبشرى طريقا إلا أمام قومه كشفه وسلكه، وما عُرض عليه أمران إلا اختار أيسرهما على الناس. وأُمر أن ينذر ويحذر، فأنذر وحذر، رقيقا رفيقا مواسيا،

ظهر في الناس بوجه طليق حتى في الإنذار، وبفعل لطيف رقيق حتى في الإعسار. أحب الناس جميعا وهاونهم مخاصمين، وسالمهم مسالمين، وحاربهم لخيرهم معاندين، لم تخلُ مهاونته من نشر حكمته، ولا مسالمته من إغداق رحمته، ولا محاربته من إقامة وصلته. صلى لربه ونحر في الجهاد الأصغر والأكبر، فأوصل إلى ربه من قتل. نجا بسيفه من نفسه من نحر، يوم خاصمه وعانده فنحر، فحمله إلى الخير على كره منه بجهله، متعجبا من قوم يجرون إلى الجنة بالسلاسل، فكان بشدته في الحق ظاهره من قبله العذاب وباطنه من قبله الرحمة. وكان بحلمه ظاهر الخير وباطنه. طلب للناس من ربه الغفران مما حقق ربه له في نفسه من معاني خلقه، فكان الأعلم بخيرهم منهم، والأولى بأنفسهم مؤمنين من أنفسهم. كان أولى بهم لخيرهم مخاصمين بصبره عليهم وأولى بأنفسهم من أنفسهم مسالمين، يحرص عليهم وكان قيامهم، مُخلِّصا لهم من قيامهم مؤمنين. كانوا رسالته، مؤمنين ومرتدين ومخاصمين وراجعين، وكوثره للناس، به بالله عارفين، وبه بالله قائمين. كانوا به محلا للحضرتين غائبين وحاضرين بقيام كلمات الله بهم، متصاعدين، يحملها العمل الصالح مصطفين، تتجددها بيوتا توضع بأوادمها للعالِمين، وبيوتا ترفع بمعانيها ومعالمها في العالَمين، يذكر فيها اسم الرحمن الرحيم ربا للعالَمين، وتقوم ذكرًا لله رب العالمين، فلا يختلف ذكرها عن ذكره كلما ظهرت، ولا علمها عن إعلامه كلما علَّمت، ولا كلامها عن كلامه كلما تحدثت، ولا قيامها عن قيامه كلما انتشرت. إنهم سبيله على بصيرة قبلة للناس، يرتفع أذانها للصلاة، ونداؤها بالحجيج. إنها رحمة الله وساحة الله ويوم الله وسكينة الله وساعة الله وقيامة الله يوم يظهر رجالها، وحق الله يوم يمتد بها نورا لله عبادها، وجوها لله ناضرة، تنظر إلى وجه لله، كانت إليه مفتقرة ومنه فاقرة.

بهذا كله تواجد يتيم الله، ومن آواه الله لمعنى بيته وأهلا له، وجعله حق الناس والحق منه، ومن آوى يتامى الناس، فكانوا بيته وأهله، فكان علوي أبوتهم، وطبيعة أمومتهم، وقيامة وصلتهم، وساعة نجدتهم لطريقهم وسعادتهم، ومغفرة حسابهم لحريتهم وشفاعتهم، وأنس حشرهم لجنتهم ووصلتهم، ومعاني قيامهم كلمات لله، من معاني قيامهم لحقيقتهم بدخولهم، بسلامهم في سلامه وبعزتهم في عزته، حرب لمن حاربهم، سلم لمن سالمهم، غفور لمن أنكره ما ذكر ربه، ذاكرا لمن جحده ما ذكر الله، مقاربا لمن باعده ما صدق في طلب الله.. رحمة الله.. عناية الله.. يد الله.. وجه الله.. حق الله. ذلك من عرفناه محمدا، فكان لنا بالإسلام والتسليم له دين، وبمحبته وبوصلته، قرب ويقين.

ذلك من عرفناه محمدا، آدم وجود، وآدم ذات، وبيتا يذكر فيه اسم الله، ظَاهَرَه بيت قديم، واستقبله بيت جديد، فكان لبيته القديم من خلال بيته إلى قيام بيته الجديد قضية من قضايا الحقيقة في لانهائي الله، كما كان لذاته عند الناس وللناس في الله قضية. أرسله قديمه بالحق للناس قدوة وأسوة كافة

للناس، قائم حق يكسبوه ما تابعوه، وما آمنوا به رسولا لمعبودهم، قائما على أنفسهم وواجب الوجود عندهم بوجودهم، المعروف لهم في عقولهم، وفيما لا يعقلون من أمرهم مما هو فوق عقولهم، قائما في عقائدهم بغرائزهم وحسهم، وبذلك كانت قضيته عبدا وربا هي قضية كل إنسان في نفسه، من يكون؟ ولِمَ خلق؟ وممَ وجد؟ والى أي أمر يؤول؟ وكانت الصلاة عليه من قديمه والصلاة بالسكينة منه على قادمه قضية كل إنسان...

كما كان بيت شهوده، وبيت وجوده، قضية كل بيت من إنسان، وكل بيت لإنسان، في معاني قديم بيته وقادم بيته وقائم البيت له. كان بعث القديم في أحسن تقويم من خلال القائم ليتواجد بالقادم في أحسن تقويم. هو قضية البعث، يُعرّفها الدين، ويشهدها اليقين، ويقومها القيام، ويكشفها العلم، يقومها الناموس، وتقوم بها قوانين الحياة. كان بعث سابق الحق له في قديم قديمه في قائم الحق به. كانت في قائمه وقادمه دورات الزمان، وبدايات الأزمان، ونهايات الخلائق والأكوان، فكان المعروف بالعصر وبالزمان والدهر. كان العلمية على الأول والآخر، خلقا وحقا، فيمن لا أول له ولا آخر له، حقا وخلقا، لدائم متكرر من أول وآخر، حقا وخلقا، فكان رسول قديمه لعينه في قادمه من قائمه. صلى عليه القديم وملؤه، واتصل به القادم وملؤه، فتلاقى فيه كتابا للوجود قائما دائما بعترته القديم والقادم حقا وخلقا، فكان به الظاهر بوصف الجديد مرآة الباطن بوصف القديم، به عرفنا قائم الحق في صمدية الوجود، علما على معلوم الوجود للإنسان ممن يبدأ الخلق ثم يعيده، والذي يعيده على ما بدأه لا ينفك له بدء عن انتهاء ولا انتهاء عن بدء، لا جديد في الحق ولا جديد في الخلق، ولا جديد في الوجود، ولا محدث للشهود، ولكنها البدايات وأطوارها للنهايات وتداخلها وتعددها في الكائنات. إن الحق على ما هو قائم كان قائما بلا بدء، والحق على ما هو قائم سيبقى قائما بلا انتهاء، وكذلك الخلق في جملته ووحدته على ما هو قائم كان قائما بلا بدء، وفي جملته ووحدته فيما هو قادم سيبقى على ما هو قائم بلا انتهاء. فلا دين لمن يحرفون كلام الله عن مواضعه بزعم العلم به وبكتابه ولا حياة لقلوبهم، ولا نور لعقولهم، ولا نار لنفوسهم، ولا سكينة لذواتهم، ولا عقل لمن ينسبون أنفسهم إليه بزعم الاستقامة والقرب والولاية يفترضونها ويفرضونها لأنفسهم فرضا، ويعرضون أنفسهم على الناس بوصف النبيين، وبوصف أهل الذكر، وبوصف كلمات الله، عرضا هستيريا مسرحيا، لا جادة فيه ولا حق له.

لقد جُعل محمد العربي بعروبته للعروبة معنى ورسالة، كما جُعل محمد الإنسان للإنسانية معنى ورسالة، كما جُعل محمد الآدم لآدمية الأرض قياما ورسالة، تكلم بالعربية، قرآنا، وحديثا، وبيانا، وقياما، فشرفت العربية قوما ولسانا في شرف نطقه بها، إنسانا عربيا، فكان للعروبة، بمجرد نطقه بالعربية بلاغا

وبيانا، ومن مجرد ظهوره من أهلها من العرب، كيانا وأمرا وعنوانا. نطق بالعربية، فعرا الحق به، وعرا بلسانه، فجعل لسان أهل الجنة في الجنة عَربي، لأنه عرا بالحق، قياما ولسانا.

أُرسل رحمة للعالمين، بدأها رحمة لأهله وبيته، فقام بأهله وبيته، ثم ضحى بأهله وبيته، وهم كل ما يملك، لأهل أكبر، ولبيت أكبر، أهل من العرب، وبيت هو العروبة، ثم ضحى بأهله وبيته من العروبة ممن ملك في سبيل بيت أكبر، وأهل أكثر، في سبيل الإنسانية، فأذل العرب أهلا وبيتا، للإنسانية قياما، يوم انحرفوا عن تعاليمه، وإن كان قد غفر لهم ما فعلوا بأهله وبيته، إلا أنه لم يغفر لهم العبث برسالته وكتابه، وإن كان قد صبر عليهم يوم انحرفوا عن بيته وطريق عترته وقد ابتلعتهم الدنيا عبادا لها، وما قادهم لسيادة الدنيا عليهم ولكن لتكون أمة لهم، فسودوا الأمة عليهم عبادا لها فسادتهم وأذلتهم وما زالت، فذهبت عنهم به وبعزته سيادتهم.

استعمر الناس بلاد العرب جزاء أخطائهم لقيام حجة الله عليهم، وهي عليهم قائمة في دوام، وحجة الرسول بينهم وهي قائمة بدوام جديده دائمة في عيان وقيام، ولم يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا. فهل أفاق المسلمون في ذلهم إلى مروقهم من أمر دينهم، وما قصد من تطهيرهم بإذلالهم؟ وقد جعل الله بمحمد، رسول حقيقته، وقيام حقه، وجماع عبده وربه، وطلب إليهم ما آمنوه، إلها، قادرا، أن يؤمنوا بعبده ورسوله حقا حاضرا، وبشرهم بتكاثره فيهم لهم عبادا للرحمن، يمشون على الأرض هونا، علماء الغيب والشهادة، إذا سألهم الناس عن الله دلوهم على طريقه في أنفسهم، فكانوا مفاتيح الكنوز لله في بيته من قلوبهم، يكشفون الغطاء عنهم أئمة لهم، ورحمة من الله بهم، خبراء عن الله بالله عبادا للرحمن، لم يعبدوا أنفسهم لصفات قهره، أو لأسماء عدله، ولكن عبدوا أنفسهم لرحمته، فكانوا أحواض الحياة برحمته.

فقد العرب وفقد المسلمون معهم الاستقامة على الدين، ونسوا أو جهلوا أنه لا شرف لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، وأن الإسلام دين الفطرة وأن بلاغه الدائم في النفس وما يحيط بها من أحداث وظواهر الآفاق، ففقدوا صدارتهم ومكانتهم من الأرض ومن الناس، وعزتهم من الله، وعاشوا في وهم من عزة وكرامة، وفي وهم من دين وسلامة، ولكن من عرا به الله عربيا، وشرف به العرب كلمة لله عبدا ونبيا ولم يشرف بهم وهو الغني عنهم بربه، وسعد به العرب، ولم يسعد بهم وهو السعيد بقربه، وغنى به العرب، ولم يغنَ بهم وهو الغني برحمته، وعز به العرب ولم يُعز بهم، فقد كانت عزته بالله أعطاها لهم وللمؤمنين من كل جنس فكان عزة الله لكل من اعتز بالله فياضة ليعتز بها المؤمنين اعتزازا به، ولكن وهو الحليم الغفور غفر لقومه، وها هي رحمته بقومه الذين جهلوه، وذكره لقومه الذين

نسوه، تظهر بوادرها، وتقوم بواكيرها، فيستيقظ العرب والمسلمون من كل مصر على مهل، وعلى خطو ثابت وئيد، نرجو أن يتواصل إلى مرجو الكمال في يقظة نرجو أن تزيد.

يتكلمون عن الوحدة، ولا إله إلا الله وحدتهم، وهي التي تعمل بينهم. ويتكلمون عن استقامة الأهداف، ولا إله إلا الله هدفهم ينتظرهم. ويتكلمون عن وحدة صفوفهم، وبلا إله إلا الله تنتظم صفوفهم وهم في طريقهم بها للانتظام.

لقد جعل محمد، بوجوده من صحراء العرب، ومن الجنس العربي للعرب رسالة إلى الجنس البشري كله، ومن الصحراء مصدرا لحاجة القلوب هي رسالة السلام، ورسالة المؤاخاة الإنسانية، ورسالة الإقناع، ورسالة البيان، ورسالة الكلام، فيها وعلى أعلامها، وشعاراتها يجتمع جنس الإنسان، لا شرف لعربي على أعجمي إلا بالتقوى. قوتها وقدرتها وسلاحها محبة الناس، ادفع بالتي هي أحسن، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم. ومن عفا وأصلح فأجره على الله. يؤثرون على أنفسهم ولو كانت بهم خصاصة.

محمد رسول الله، والذين معه، أشداء على الكفار، رحماء بينهم، ليس للمسلمين، يقودهم الرسول ويؤمهم، ويوجههم، ويلهمهم، ويأخذ بقيادهم، إمام جمعهم، وعلم دولتهم، في باطن أمرهم، يعنونه أمثال تظهر في ظاهر أمرهم، على ما هم في قائمه من قائم أمره بهم في باطن أمرهم به بباطن قيامه، وظاهر قيامهم. لم يجعل لهم في تعاليم الله إليهم حق في استعمال القوة، إلا في حدود الدفاع عن أنفسهم، وعن بيئتهم، وعن أوطانهم، وحريتهم، وحرية نشر تعاليمهم، لا يتجاوزون ذلك إلى الاعتداء على غيرهم، فإذا ظهروا بعزة الله، لا بعزة أنفسهم فيما هو لهم كانوا قبلة للناس، ونبراسا لهم، من كان يريد العزة فإن العزة لله جميعا. إن العزة لله، يفيض بها على رسوله شديد القوى، ويفيض بها منه على المؤمنين به وبرسوله، فيجعل دولة الحق وصولته باسم الحي القيوم قائمة بالله ورسوله والمؤمنين، يشهدون أعمال الناس معينين برحمة الله، مقيمين لعدالة الله وأحكام وأوامر الله، ويجعل من الناس ومن جماع الأجناس في كل الأوطان، رعية وشعبا واحدا لرب وإله واحد، إلهنا وإلهكم واحد، وربنا وربكم واحد. اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون. إن الله ورسوله والمؤمنين في باطن القيام البشري بوحدته في عوالمه لهم قيام متميز مقابل لظاهر هذا القيام في هذه العوالم، وما كان ظاهر القيام الكوني إلا التعبير عن قيامهم الحقيقي الثابت بعوالم الروح والحياة السرمدية بالعالم الأكبر. فهذا القيام على ذاك القيام عنوان (الظاهر مرآة الباطن)[1]، وهو في السماء إله بحكمه وحكمته، وتدبيره وآياته، وعلمه ورسالته، وهو في الأرض في نفس الوقت إله، بقيامه وحكمه وحكمته، وعباده ورسالته، له في الأرض أمره على ما تشهدون من أمركم في أمره، وله في السماء أمره، على ما

تطلبون من أمركم، في أمركم من أمره، {وفي السماء رزقكم وما توعدون}[٢] وفي الأرض، {وفي أنفسكم أفلا تبصرون}[٣]، والحق بها ألا تكشفون، خاب من دساها وأفلح من زكاها، فالله معكم لا تغيبوه عنكم، فعنه تغيبون، وله يوما لا تشهدون، إذ تبعثون إليه مفتقرين وله فاقرين ومنه يائسين. إن الله معكم عاملين، في يومكم مشاهدين، به قائمين، جعلكم خلائف الأرض مؤمنين، وجعلكم وجهه في السماء للساجدين، يوم يبدل الأرض غير الأرض والسموات للطالبين والعارفين، يوم تشرق الأرض بنور ربها وهي به مشرقة لعوالمها بين العالمين، يوم تظهر الأرض بالحق من الله في كسبها أمة له ظاهرة الإيمان به وقد أوحى لها وهي به ظاهرة وله كاسبة، ما استقام أهلها، وما عُرفت الاستقامة لأهلها ففارقوا مادي قيامهم إلى روح تواجدهم، ارحموا من في الأرضأأ يرحمكم من في السماء. والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع، فإلى الأرض رجعتكم وبعثكم يوم عن ركب الحياة تتخلفون. وبذلك كان الإسلام دين ودولة هي دائرة الوجود، مملكة الله الأزلية، لله ورسوله والمؤمنين.

بهذا كله جاء محمد الإنسان، ليظهر به من محمد العروبة، ليقومه الفرد من أمته من العرب، فيكون رسولا يعرو به للناس.. ورُب حامل فقه لمن هو أفقه منه، ولا شرف لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، ولكن بدءا منه ظهر الحق بأول العابدين، ليتحقق الناس سيرا إليه، رضيه الله لنفسه عبدا على الناس قيما، ورضيه للناس قدوة، ورضيه لدينه لسانا وترجمانا، ورضيه للبشرية كتابا، ورضي جمعه فيه له أهلا وبيتا، ورضي الطائفين به له أمة، ورضي الأمم في متابعة أمته إنسانيةً، وفي هذا يكون للعرب بين الناس شأنا، وتكون وحدة الهدف في لا إله إلا الله شعارهم، ووحدة الصف في لا إله إلا الله قيامهم، ووحدة الحق بها يوم يعرفون رسول الله، ويرون فيه عَلَم الله لجند الله وركب الله لإنسانية الله لا عربي ولا أعجمي، ويرون في الناس أهلا وفي الأرض بيتا، وفي السماء وجاء وظلا وسقفا، وفي نور قلوبهم إلها وربا، وفي ذواتهم رسولا وعبدا.

ها نحن في شهر الأمة، وها نحن في الجمعة اليتيمة من رمضان، نردد ونذكر الوحدة، وننشد ونطلب الوحدة. ونحن إذ نفعل، إنما يفعل الله بنا، لينبهنا إلى رسالة الوحدة بين السماء والأرض، بين ظاهر الإنسان وباطن الإنسان، وها هو باطن الإنسان يداينا، ويسهر علينا، ويأخذ بنواصينا إلى الخير، ويهدينا سواء السبيل، ويوائم بين ظلام نفوسنا ونوراني نفسه، فيشرق بمصابيحه في مشكاة الظلام من صدورنا، فيشعل مشاعل النور في قلوبنا، ويشعل جذوة الحياة في نفوسنا، ويحرر رقابنا من النار، ويعتق عقولنا من المادة، ويحررها للانطلاق والتأمل بعيدا عن التعصب والعصبية، كافرين بأخطاء الآباء، فلا أمجاد للمخطئين، ذاكرين لله في تقوى المتقين، واستقامة المستقيمين، وإحسان المحسنين، فالذكر لله وكفى وعبده الذي اصطفى، والاعتماد على الله، أقرب للإنسان من حبل الوريد.

هذا ما يليق بنا أن نطلبه كمحمدين، وكمسلمين، وكمؤمنين، وكعارفين، وكإنسانية، تحمل القلب الصافي، والود الكبير، الأرض لها وطن، والجنس لها أهل، هذه هي تعاليم الإسلام على ما يريد الله بها، وعلى ما قامها رسوله، وعلى ما يليق بنا أن نقومها، في أكمل صورها، فلنقمها خطوة خطوة، ولنحققها لأنفسنا خطوة خطوة. هذا الدين القيم أوغل فيه برفق، إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى.

أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله.

اللهم يا من جعلت بها رواسي أن تميد بنا بقلوب المؤمنين، اللهم ثبت قلوبنا على الإيمان بك. اللهم انشر بيننا الإيمان من قلوب القائمين به، والعلم من قلوب العالمين بك، والمعرفة من قلوب العارفين بك. اللهم أعلِ كلمتك، وانشر رحمتك، وأشرق في صدورنا بنورك. اللهم ارزقنا الرضا عنك، مرضيين منك. اللهم لا تجعل لنا ذنبا إلا غفرته، ولا عيبا إلا أصلحته، ولا انحرافا إلا قومته، ولا معنى للإنسان بك فينا إلا أحييته. اللهم اجعل منا عبادا لك، وعبدا واحدا لك نحن له وجوه، أنت به بيننا قائم، وبعزتك بمن أعززت، علينا حاكم، وبحكمتك فيه، من بحار علمك، لأمرنا محكم، ولعقولنا معلم. اللهم اجعلنا لا إله إلا الله، يا لا إله إلا الله، بعبدك وابن عبدك، ورسولك، وجماع رسلك، من جعلته لا إله إلا الله، وأقمته لا إله إلا الله، وجددته لا إله إلا الله، وكثرته لا إله إلا الله، ونشرته لا إله إلا الله، وأحييته لا إله إلا الله، وبعثته لا إله إلا الله، وشرفته لا إله إلا الله، فشرف الناس بلا إله إلا الله، في الشرف به لا إله إلا الله.

عباد الله.. اعلموا أنه لا إله إلا الله، واعملوا للا إله إلا الله، وأبشروا أن تكونوا لا إله إلا الله، يوم تؤمنونها، وبألسنتكم لقلوبكم ترددونها، ومن قلوبكم بألسنتكم تشهدونها، فتقومونها لا إله إلا الله، فتدخلون في حصن لا إله إلا الله.

لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

أضواء على الطريق

(إن الحق لا يضار أبدا. الحق لا يتلف أبدا. إنه قد يتقهقر. إنه قد يحتجب. ولكنه لا يدفن إلى الأبد. كل شيء حق لا يتلف لأن الحق سوف يبزغ على الدوام مهما كان سمك طبقة الضلال الذي يتراكم فوقه. لا يمكنكم إخضاع الحق إلى الأبد. الحقائق التي نقف بجانبها لها دور هام في عالمكم. وعندما تتبلبل الخواطر دائما يختبر الناس التعاليم التي تعلقوا بها طوال السنين، ويعجبون هل سيكون في مقدور هذه أن تمنحهم الراحة والمساعدة في أيام البأساء والضراء.

وليس من الممكن ترك صدق الحقائق الروحية جانبا. إنه لشيء أساسي أن نبين أنكم أطفال الروح الأعظم جميعا. ولكم أنصبة روحية عليكم أن تحصلوا عليها كيما تجدوا مكانكم الحقيقي في العالم وتساهموا في المشروع العظيم للخلق اللانهائي الأبدي.

من الناس من يشك في وجودنا، ومنهم من يشك في مقدرتنا. إنا لم ندعِ القدرة على كل شيء. لطالما علمنا أننا ذووا إمكانيات محدودة. ولكن لا تشكوا في قدرتنا على مساعدتكم. لدينا مقدرة، مقدرة الروح. إنها المادة التي تصنع وتتشكل منها كل الحياة. وأينما تمدوننا بالظروف والأحوال الصحيحة يمكن استخدام هذه القوة لحمايتكم ولمساعدتكم، لا لغاية أنانية وإنما لأنه في تدفقها خلالكم سوف تتصلون بالآخرين وتساعدونهم ليصبحوا مستجيبين لتأثيرنا. إن الأيام التي أمامكم ليست سهلة ولكن بالتعاون والرغبة في نتائج سليمة في العدل المشبع بالرحمة، وبإزالة كل أفكار الكراهية والثأر يمكن أن يصبح على أبوابكم مستقبل شديد الازدهار).

من هدي السيد (سلفربرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ من خطبة للإمام عليّ ـ كرم الله وجهه: "...اعلم أنّ لكلّ ظاهر باطناً على مثاله، فما طاب ظاهره طاب باطنه، وما خبث ظاهره خبث باطنه...". بحار الأنوار. المكتبة الشيعية.

٢ سورة الذاريات - ٢٢

٣ سورة الذاريات - ٢١

(١١)

نغيب ونعود
بأنانا في قائم الوجود
بين حضرتي الحياة والشهود

صلاة العيد

١ شوال ١٣٨٢ هـ - ٢٥ فبراير ١٩٦٣ م

عيـــــــــــــد

نعم كلنا عيـــد

وها نحن نعـــــود

ولنا في كل يوم عيد، وفي كل يوم نعود

نغيب بالموت وبالنوم، ونعود بالبعث وباليوم لحياة الوجود بين العماء والشهود.. بين القيام والقعود.. بين الحركة والركود.

ها نحن نعود، وكم غبنا وكم عدنا من رحلة الصيام والقيام في متابعة آثار سيد الأنام من حياة اليقظة إلى حياة النيام. لنا في كل تقوى شهود بوجود. ولنا في كل شوق بعث موعود. ولنا في كل رجعة إلى الحق آمال في الله ومحصلة بسعود. نحيا ما ذكرناه ونتعطل عن الحياة ما غفلنا عن ذكراه. لقد كنا في صيام عن شهوات أوانينا وقيام بالله مشغولين به بمعانينا. وها نحن إلى انشغال بأوانينا نعود. وها نحن بها لمعانينا نتأمل أسرار الوجود. وها نحن في آمالنا نعمل ونرجو لنسعد بالشهود، يوم يكشف الله غطاءنا عنا، قياما بكونه بنا، وبمعناه لنا. أغطيتنا أكوان له، ومعانينا أنًا ووجوه له. هو لها ولنا كل الحياة، وهو لنا ولها كل الأمل والنجاة. هو لنا على ما نريد، يوم نكون له على ما يريد، فلا رائد منا ولا إرادة منه، ولكن وجودا به هو وجودنا، ووجودا بنا هو وجوده. إرادته منا لنا تظهر، وإرادتنا منه به تظهر، ومنه له يتحقق لنا مراده بنا يوم تعود معانينا إلى أحضان قديمها في أحسن تقويم، وتخرج من

غفلتها ببعدها عن ماديها من أسفل سافلين، معتزة بعزته على مخاصم متعاملة برحمته مع مسالم، كلاهما من دائرة حكمته ومحيط قدرته، ألهمها فجورها وتقواها وبأحسن تقويم لها سواها، كشف لها عنها أقرب إليها من حبل الوريد، ومعها أينما كانت، من فيض رحمته لحقها بمعناها لمعناه.

النفس البشرية، النفس الإنسانية، إنما تقوم من الروح السرمدية من الحقيقة الأزلية لمشروع الحياة الأبدية، ممثلة لقيام الإرادة اللانهائية للمعنى المطلق للوجود. هي أنا الأحدية، وظهور الهو للهوية، وقيام قائم الغيب للشهادة الكونية. هي البدء لوجه الإطلاق لروح الحياة الأعظم اللانهائية. هي يد القدرة الإلهية على عوالم المادة الكونية. هي مظهر ذات العزة على مسرح الخلقية في تمثيلية الحرب والسلام القدسية لإبراز حكمة الألوهية والتعريف بواسع الرحمة الربانية للانهائي الحياة القدسية، القيوم على نفسه بقيامه على الحياة بغامر حبه المؤثر بقدراته على محبوبه ومحبه، الغفار لكل من قاربه بجوار صاحب الوجود دار، يأوي إليه اليتامى الأطهار، والموحدين الأبرار، ويبعثهم كتب علمه بسره وجهره، ورسل حضرته يدعون لموائد كرمه وظلال بيته وجنان مسرته، دعوة صادرة عن المعروف بذات العارف، متصفا بصفاته بقيامه الواصف، عالما بمعلوم إحاطته في قيام العلم بالعالم، قادرا قاهرا في صفات من أظهره بضعفه مع القادر القاهر. الإنسان بالحق مظهره، والإنسان للوجود في الوجود جوهره.

الإنسان في بشريته.. الإنسان في روحانيته.. الإنسان في غفلته ومنامه، والإنسان في يقظته وقيامه، يجاهد ليعود إلى ربه. إنه يسير في طريق طويل كادحا إلى ربه ليعرف ربه. تطول به الطريق ويقعده الضعف عن المواصلة ليعود إلى نفسه ليتأملها فإذا به يتلاقى مع ربه في نفسه. يخلقه الله في قيود جلبابه مبعوثا من حقه، ويضع الله عنه أوزاره ويكشف عنه أستاره، فيعود إلى نفسه عودا إلى ربه، ليأنس به ربه وليأنس هو بربه، لا فارق له عن ربه ولا فارق لربه عنه، قبسا من نور الله يجمعهما، وعَلَما من أعلامه هما، وإنسانا من إنسانه لهما، ورشدا من رشده لأحديتهما، وقياما من وجوده لواحديتهما، يكبرا الله يوم يوحدا الله، يوم ينكرا معنى الوجود لأناهما بعيدا عن أنا مولاهما هما لمعناه بعين معناه، عبدا وربا لمعناهما، فيحيا الحق في أناه بهما عبدا وربا في الله، اسما وذكرا ووجها لله موصوفا بوصفه، موجودا بحسه، فيعرف الله لله ولمن لا يعرف الله، ويُذكر الله عند ذاكر الله وعند من لم يتذكر الله، فيُعرف اسم الله بعارفه، لمعارفه، في معروفهم عن أنفسهم، فتقوم لا إله إلا الله، وتقوم قيامة عباد الله يؤمنون بها قائمة لا خافية يخفيها الجهل والغفلة وضعف الإيمان، ويعود الناس إلى رب الناس قائما على كل نفس، وأقرب إلى كل نفس من حبل الوريد، يومئذ يظهر الرسول بالحق المنشود ويقوم العبد وجها للمعبود، وهو ما هو قائم بعباد الرحمن يمشون هونا على الأرض، يومئذ

يجيبون الداعي لا عوج له، وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا، يومئذ تشرق أرض القلوب بنور ربها ويوضع الكتاب منيرا للأعين مبصرة، ويصل النداء للأسماع واعية، ويصل ماء الحياة بالحس والإدراك للجوارح حية بأمر ظاهر للعيان عن عين البيان، فيستقيم القيام بالإحسان، ويؤتى لدائرة الوعي والعلم في قلوب العلماء وبصائر الأتقياء بمن سبق أنبأ، وما كان هناك من إنباء، كلمات لله وشهداء على الناس، وهل هناك نبأ بعد البيان! وهل هناك خبر بعد العيان!

قل جاء الحق وزهق الباطل يوم أظهرناك على الدين كله، واتخذنا منك عضدا، وقمنا بك وجها، وسعينا بك قدما، ومددنا للناس من رحمتنا بك يدا، وكم حذرنا الناس من التفريط في أمرهم قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال، يوم نبرز آياتنا، عاتية، دامغة، فلا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا، ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم.

قل لهم إنهم على الأرض باقون، وفيها ماكثون، ولأثوابهم فيها يجددون، كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها، حتى يستيقظوا فيعيدوا أنفسهم لمن خلقهم لنفسه، لمن أوجدهم لعينه، لمن قدَّرهم لأمره، لمن هيأهم لسفوره، لمن جعلهم قوارير نوره، لمن ظهرهم خلقا، وبطنهم حقا، فقام عليهم بحقهم باسم ربهم، وأسعدهم بحقهم في خلقهم، فكانوا به أحياء هو أقرب إليهم من حبل الوريد، بهم عاد لظهوره، وبه عادوا لبطونه من بطونه لظهوره، في ظهوره بظهورهم لمعاني نفوسهم دسوها، ما أظهروها وما أطلقوها، ولكن بغفلتهم ظلموها، والحق لمعانيهم ما ظهروها وما نشرها، فعَاد الحق إلى أمره، ما تواجدوه، وما لجديد ذواتهم فطرية كسبوه، وما بظاهر أمره بهم عبدوه، فوحدوه، فشهدوه، فبتلاقيهم تلاقوه، فكان المؤمنين به مرايا الإيمان للمؤمنين بهم في ذواتهم لقيام الإحسان في معانيهم لنفوسهم وحدوها فوحدوه. إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. يد الله مع الجماعة بالحق يتواصون وبالصبر يقومون، الذين يسمعون وأحسن القول يتبعون، فبموجوده محيطا يتواجدون، وبتنزيهه يحيون ويغنون ويتطورون ويكبرون ويتنزهون، وبوصلته يرحمون ويسعدون، جنته لأنفسهم يقومون، وناره في غفلتهم يباعدون، منهج الحق يأخذون ويسلكون، وقيام الحق يسعدون ويشهدون.

نرجو أن نكون قد كسبنا في رحلتنا برمضان شهر الصيام والقيام ما تيسر لنا من ذلك كله، كُلاً أو بعضا بيقظة كسبناها، وبمحبة قمناها، وبلمحات سعدناها، وبتأملات حصلناها، وبإلهامات وعيناها، وبسجدات صدقناها، وبضراعات حييناها، فقطعنا الوقت لم يقطعنا.

إننا في وحدانيتنا مع أنفسنا نستقيم ما تواصينا بالحق، وتواصينا بالصبر، ونجاهد ما تعاملنا مع الناس بإيثار على أنفسنا، محبة فيه، ومعاملة معه، وتغاضيا عن المسيئين معنا والمسيئين لنا، تخلقا بخلقه، واتصافا بحلمه في متابعته رسولا من أنفسنا ملتمسين العذر لكل إنسان، فيما هو فيه قائم، تأملا في

حكمته، وانتظارا لواسع رحمته، رادين الطرف إلى أنفسنا في تأملاتنا، قارئين آياته في أنفسنا وفي ذواتنا وفي الآفاق من حولنا، وفيما حولنا من ذوات منا مرايا لنا كتابا منشورا، وصوتا مسموعا، وحكمة عالية، وقدوة سامية، ورحمة شاملة. إننا إذ نعقل ذلك نطمع أن نكون من أهل الكتاب حقيقة ومن المسلمين للرسول حقا، فيرفع عنا الحجاب، ويتحقق لنا إلى الله الإياب، نشهده أقرب إلينا من حبل الوريد، ونعرفه قائما معنا حيثما كنا، وكيفما كنا، وأينما كنا، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، الله أكبر، ثم الله أكبر، ثم الله أكبر، لا إله في شهادة غيره، ولا إله في غيب غيره، صدق وعده، وفي كل زمان صدق وعده ونصر عبده، وفي كل يوم نصر عبده وأعز جنده، وفي كل مكان أعز جنده وهزم الأحزاب وحده، وفي كل ملحمة هزم الأحزاب وحده.

وصل عبده قديما، وصلى عليه قائما، وجدده به دائما.

أنبأ الرب عنه مبشرا برحمته، فأنبأ العبد عنه مبشرا بمغفرته، ثم نبأه له، وحمله نبأه، فحمل إلى الناس عن الحق به نبأه وخبره، يوم تجاهلوا وجوده وأثره. عرَّف العبد عن حقه بوصف ربه، وعرَّف الرب معه عن نفسه بوصف عبده، ويعرف العبد عن ربه دائما ما كان عبدا، ويعرف الرب عن عبده دواما ما كان ربا، في قانون الفطرة للوجود يتعارفان في عالم الإنسان، فيعرفان وحدانيتهما بالإنسان، فيظهر المعروف بعارفه، ويتصف الموصوف بواصفه، ويقوم الواصف في وصفه، فما كان العبد إلا ربه، وما كان الرب إلا عبده، الله يجمعهما بلا إله إلا الله، في أحديتهما لأحديته، والله هو الله أكبر، في ألوهيته بأكبر عليهما، وفي أكبر لألوهيته بهما، الله أكبر والله أكبر والله أكبر، لا إله إلا الله، في معراج لا يتناهى من لدن حضرة له بنا وتدان إلينا، لا يتناهى بقيام، لا يغيب ولا ينقطع عبدا له ورسولا منه من أنفسنا، والله أكبر والله أكبر والله أكبر، سبحان الله في بدء ببكور، وسبحان الله بتعال بكنزية في آصال. له الحمد، وله الأمر، وله السر والجهر، فاتخذه وكيلا، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه.

نسأله أن ينزل سكينته على قلوبنا، وأن يصلي منا على حبيبه بنا، وأن يصلي منه بمحبته لنا. نسأله الرحمة، والعفو والعافية لنا، ولمن آله من بيننا، ولأصحابه وأنصاره وأزواجه وذريته في قيامنا، أولى بالمؤمنين منا من أنفسهم قياما لعين معانيهم، لا يعرف صاحبة ولا ولد، وأزواجه من أعيانه به إن آمنا أمهاتنا، فكلمة الله به منه قيامنا، نؤمن بالله، ونستجيب لأمر الله، فنؤمن برسوله من الله رحمة لنا، وقربانه إلينا بحق له فينا وبيننا، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه. نسأله أن يولي أمورنا خيارنا، وأن لا يولِ أمورنا شرارنا، وأن يأخذ بنواصينا إلى الخير، لا إله غيره ولا معبود سواه.

(١٢)

العبد الحق
هو هبة لمن عرفه
إلى عينه يؤول متابعه ليتصفه

حديث الجمعة

٥ شوال ١٣٨٢ هـ - ١ مارس ١٩٦٣ م

ارجع البصر كرتين، ينقلب إليك البصر. علمت نفس ما قدمت وأخرت. ضالا فهدى، وعائلا فأغنى، ويتيما فآوى. كشفنا عنك غطاءك، فبصرك اليوم حديد. لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء. وفي أنفسكم أفلا تبصرون. قائما على كل نفس. أقرب إليها من حبل الوريد. سمعت فأجابت، وعملت فآمنت، وآمنت فسارت، وسارت فأيقنت، وأيقنت فحققت. غفرانك ربنا وإليك المصير، وجد الله عنده. أفتمارونه على ما يرى فشهده لا إله إلا الله، يوم شهده لا إله إلا الله، وشهد محمدا رسول الله، يوم شهده محمدا رسول الله، فعلم أن فيه رسول الله وأنه في رسول الله، بأن فيهم رسول الله، ثم أدرك أن رسول الله في قائمه، كما في قديمه وقادمه، هو الحق من الله للناس.

قام الإسلام على مشاهدة لا إله إلا الله، في النفس ومن الحول، في العمل والقول، في القديم والقادم والقائم، يوم شهده المسلم والمؤمن، وقامه العارف والآم لا إله إلا الله، فعرف الإنسان أنه عالَم يوم كان عبدا لله، فطلب الأكبر من الله، فشهد رسول الله أولى به من نفسه، وأقرب إليه من حسه، فعلمه محمدا رسول الله، فعرج من لا إله إلا الله إلى الله أكبر، فعرف أن الأصغر والأكبر في لا إله إلا الله، وأن الأصغر والأكبر في الله وجه الله، فعرف الله يوم عرف نفسه، وعرف نفسه يوم عرف رسول الله، وعرفهما الله ورسوله في نفسه، وفي الأكبر من نفسه لنفسه على نفسه، في معنى نفسه، لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء، فكان ذلك هو طريق معرفته إلى الله، وطلبه لله، وقيامه بالله، وبدايته في الله، ونهايته في الله، لا بدء لبدايته في الله معروفا عنده، ولا انتهاء لنهايته في الله معروفا عنده في معرفته عن نفسه، ومعرفته عن قلبه، ومعرفته عن معناه، ومعرفته عن روحه، ومعرفته عن ذاته، ومعرفته عن ظلامه، ومعرفته عن نوره، ومعرفته عن أحديته، ومعرفته عن

واحديته، في معرفته لذاته، ومعرفته لصفاته، واجتماعه بصفاته على معناه لذاته، وفيض من ذاته بربه على صفاته، لربه لا يعرف له وجودا إلا وجود الله، ولا يعرف له شهودا إلا شهود الله، ولا يدرك وجوده إلا بالله، ولا يشاهد شهوده إلا بالله، فيشهد أنه لا إله إلا الله، ويشهد أنه محمدا رسول الله يوم يعلمه قائما بالله ورسوله.

بهذا أسفر محمد لمحمد، وتكشف محمد لمحمد، وأقول أسفر ولا أقول جاء، فإن الذي جاء إنما هو السفور، كشفنا عنك غطاءك. إن الذي حدث، إن الذي كان محدثا بالنسبة لمحمد إنما هو كشف الغطاء له عنه، وبذلك عرف القائم معنى قيامه، وعرف الموجود معنى وجوده، وعُرف المشَاهَد في المشاهِد، ففنى شهوده وظهر وجوده يوم أبرز مبدع الفطرة ثمرة الفطرة، وما أبرزه إلا في كشف الغطاء عنه له، أما من حيث وجوده، فقد كان موجودا متكاثرا بمعناه وبوجوده قبل وجوده مكشوف الغطاء عنه، منعكس البصر إليه، وإلى قديم وقادم نفسه.

إن قائم محمد في دوام كما عرف وبشر وقد كشف له الغطاء عن نفسه في سلام، فعرفه وعرَّفه أمرا قائما في الوجود، ما حدث وما قام، إنما هو أمر في الوجود قائم، بأزل له لا يعرف له بدء، منبعث بأزله من خلال قائمه في دوام، في أبد لا يعرف له انتهاء، بسرمدي قائمه، تكشف قديمه من خلاله في قادمه، وعُرف القديم والأبدي لكل قائم ما عرف قائمه في قيامه، وعرف سالمه في سلامه، مؤمنا به عبدا وربا، ومؤمنا به نفسا وغيرا، مؤمنا به لأنانيته، ومؤمنا بأنانيته، أنانية صغيره فيه لأنانية كبيره من الحق به، لأكبر وأكبر لمعناه لا جز لعطاء، ولا انتهاء لولاء، ولا توقف لسعي أو لمعراج. يتجدد الإيمان بالله ورسوله كلما تجددت النفس، وكلما تجددت الذات، وكلما تجدد الوعي، وكلما تجدد العقل، يرتقي الحي بهما فيهما في الحياة مع أنفاسه بشهيق مستمد، أو بزفير محيي ممد. يرتقي الإنسان الحي فيهما في الحياة مع دقات قلبه بالحركة وبالحياة، يعلم أن الحياة مرتقىً عاليا لا ينتهي ارتقاؤه، وأن فقدانها هاوية سحيقة لا قرار لها، وأن من عرف الصعود لا يأمن انزلاق القدم، فليستيقظ الصاعد من زلة القدم، وأن من سقط في الهاوية، وعرف طريق الندم، لا سبيل له للنجاة، إلا أن يسقط على يد الله، فيد الله أعلى من كل عال مظلة، وأسفل من كل سافل مقلة، وأن يد الله ملبية لمناديها، ما ناداها بالقلب صادق النداء، صافي الولاء.

هذا كله جاء به الإسلام مع محمد، وبهذا كله دارت رحى الإسلام في العقيدة والعقل، بما كشفه لنفسه محمد، عبدا مسلما لمشهود ربه، مؤمنا بقيام حقه، صادقا في جهاد فعله، صديقا لموعود أمره، أيقن بالله معية نفسه، كان ضالا عن نفسه منه، فكشف له الغطاء عنه، فإليها هدي، من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه، عرف نفسه فعرف أن مشيئتها من مشيئة ربه، وقدرتها من قدرة ربه، وفعلها

من فعل ربه، وقيامها من قيام ربه، وأن اهتداءها إليها من رحمة ربه، وأن ضلالها من فتنة وحكمة ربه، نفسا وما سواها ألهمها فجورها وتقواها، هداه السبيل إما شاكرا وإما كفورا، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها، فعرف أن من ضل إنما يضل عليها، وأن الضلالة إنما هي شهوات النفس، وشهوات الذات، وزلات العقل، حفت النار بالشهوات، يتساقط فيها أهل الشهوات، وحفت الجنة بالمكاره، يباعدها أهل العجلة، ويحظى بها أهل الصبر. عرف ذلك في أمر نفسه، وعرف أن النفس ما قامت على قطيعة، كان كل ما صدر عنها معيبا وباطلا، وإن كان منسكا وعبادة وعطاءً، فإن كان صوما فجلادة، وإن كان صلاة فعادة، فقال لا يدخل الجنة أحدكم بعمله، حتى أنت؟ حتى أنا إن لم يتغمدني الله برحمته، فيا قومي اعملوا.. كل ميسر لما خلق له، ويا قومي اعملوا.. فإنكم بعملكم تتعرضون لنفحات الله، وأخلصوا النية فإنما الأعمال بالنيات ونية المرء خير من عمله، وذرة من عمل القلوب خير من أمثال الجبال من عمل الجوارح، وإن لله في أيام دهركم لنفحات فلا تفوتوها، وتعرضوا لها بالبحث عن عباد الرحمن بينكم، فهم وجوهه، وهم أياديه، وهم أحواض رحمته، وهم أنوار طلعته، ولا تأبهوا للمناظر، ولا تباعدوا بينكم وبين الجواهر، فرب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره.

إن عباد الرحمن يمشون على الأرض هونا، وهم جذوة الحياة لكم به، وهم ماء السماء يتساقط على أرضكم منه. لا إله غيره ولا معبود سواه، فاستقبلوه عباد رحمته وحكماء كتابه، واعلموا أن ما قبلي قائم بينكم، أنتم اليوم بعثه، وهو عين ما بعدي، يقوم بينكم أنتم في غد بعثكم، واعلموا أن عيني من قائمي إنما هو مرادكم لعينكم من قادمكم، وهو منشود من قبلكم لأنفسهم فيما بعدهم يحققونه لأنفسهم اليوم متابعي ليقوموا به من خلالي فيما بعد قياما بي، وقياما لهم وجديدا منكم، وأنكم إن فاتكم قيامي في قيامكم في متابعتي، فلا سلام لكم إلا بتكاثر لي بكم، وسلام مني عليكم، هو سلام الله لكم يوم ينظر إليَّ في قيامكم، قائما بكم بجديد لكم مع جديد لي من أنفسكم، هو{الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}[1]. هذا قانون دائب دائم عامل فقم وهيئ السبيل لنفسك في جديدها، وانحر نفسك في قديمها في غفلتهم، وابعث نفسك بكوثرها في قادمهم وجديدهم، صلي لربك وانحر، امحُ غيريتهم عنك لعينيتهم بك، وقل جاء الحق وزهق الباطل والله أكبر، حتى يقولوا أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع.

إن ما قام به محمد مسفرا به ببلاغه، يوم كشف عنه غطاؤه له فعرف أنه كان في معاني الحق قائما به قبل أن يكشف له غطاؤه، قامت البشرى به من الله للناس مسفرا بها، فعرف أنه سيبقى مسفرا بالحق مدثرا بجلابيب الخلق بما ضاعف له من نوره نورا على نور على دوام في الله بدوام الخلق فيه، فقال: لا تزال طائفة من أمتي قائمون على الحق، لا يضرهم من خالفهم إلى أن تقوم الساعة، الخير في

وفي أمتي إلى قيام الساعة، يقوم ويتقلب في الساجدين بتكاثره بكوثره. لقد علمنا محمدا معنا في دوام، وأسفر بيننا بمعناه حقا من الله بسلام، أظهره على الدين كله وأظهر مظاهره على الدين كله، وأعمله في موقفه من حياته تلك وفي كل تجدد بحياة له ما كان، وما هو كائن، وما يكون، فكان عنده لما هو كائن مما كان بدء، وكان عنده لما هو كائن فيما يكون انتهاء، وكان ما كان من هذا البدء هو عين ما يكون لهذا الانتهاء، وإنهما لحاضره حدود ما كان وما يكون له مما كان به كائن. لقد كان ما كان بدؤه بجديد لقديم بالحق، وعرف أن ما سيكون يكن انتهاؤه بجديد بدء بالحق، معالم كائنه من قائمه بمعنى الحق، وعبده وإنسانه، وأنه في وحدة ذلك بأحدية ثالوثه كان على ما هو كائن قائما يتكاثر، ويكون على ما كان مما هو كائن قادما يتكاثر.

هكذا هو حق دائما يبدأه السفور وتنهيه الكنزية والغيب. يبدأه السفور يوم يستخلف الموجود من الأقدم، وتنهيه الكنزية والغيب يوم يستخلف الحاضر منه من الأحدث. بهذه المعرفة تحددت معالم إنسان الحق، وبها عرف معنى البدء للخلق، وعرف معنى السفور بالحق، لمن وصف بالخلق، وبذلك ظهر الدين كله بمن أظهره الله على الدين كله، وظهر الحق كله بمن أظهره الله على الحق كله فكان الإسلام دين القيمة، ودين الفطرة، وقيام العباد الحق لعالم الرشاد، فكان الله بطلعته لمطلقه بالأقدس هو إنسانه عالم الغيب والشهادة، العَلم على الأقدس بالله أكبر، والعلم للذات المقدس للوجود بلا إله إلا الله، فعَرف الإنسان أنانيته بالحياة لأنانيته بالقيوم عليها من الإنسان، بالله أكبر. عَرفَ الإنسان الله في معرفته بنفسه إنسانا لا يحيط بشيء من علمه إلا بما شاء ربه، إلا بما شاء الأكبر، إلا بما شاء من هو على صورته، إلا بما شاء من تجلى بجديد خلقه علما على قديم حقه، ومن أوجد بخلقه جديد خلق ليجعل من الخلق قديم حق على الخلق، وبذلك تعارف الله إلى الله، في فطرة الله، في دين الله، في قانون الله، في ناموس الحياة، فقالت البشرية الحمد لله، وشهدت لا إله إلا الله، وقامت محمدا رسول الله، فأشرقت الأرض بنور ربها، ووضع الكتاب، وجيء بالنبيين والشهداء، وقضى بينهم بالحق، وقيل الحمد لله رب العالمين.

اللهم يا من أشهدتنا وحدانيتك، بوحدانيتك، في وحدانية لا إله إلا الله، ندخل حصنها ونُدرك أمنها وسلامها. اللهم فأتمم علينا نعمتك بشهادة الله أكبر في شهادة محمد رسول الله، حقا من الله، وقائما من الله، في قيامنا، وأعلمنا أن فينا رسول الله، على ما أعلمتنا يقينا وحسا، وإيمانا ووجدا، وسلاما وحبا، وقياما ورحمة ورضوانا، لا إله إلا أنت، ولا إمام لنا إلا رسول رحمتك. اللهم خذ بنواصينا في معراج عطائك غير مجذوذ، فاعرج بنا في معراج لا إله إلا الله، وأعرج بنا فيها إلى محمد رسول الله في أنفسنا، وأعرج بنا فيه، بك إلى الله أكبر، والله أكبر، والله أكبر، ولا إله إلا الله.

اللهم اجعل من لا إله إلا الله بداية شهودنا، وبلا إله إلا الله نهاية وجودنا، واجعل فينا منا لنا الله أكبر والله أكبر والله أكبر، عطاءا غير مجذوذ، وشهودا غير منقطع، وتجليا غير متوقف. اللهم بدين الفطرة فأقمنا، وفي دين الفطرة فسر بنا، وقيام الفطرة فأقمنا، يا فاطر السموات والأرض، يا صبغة السموات والأرض، ومن أحسن منك فطرة، ومن أحسن منك صبغة.

لا إله إلا الله قلنا وقمنا، ولا إله إلا الله نطمع أن نقول ونقوم، ولا إله إلا الله شهدنا، ولا إله إلا الله نطمع أن نشهد، اللهم فأنطقنا نطقا منك حقا وصدقا، وأشهدنا شهودا بك حقا وصدقا، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله.

أضواء على الطريق

(هذه الحقائق التي نعلنها قد جاءت بالمعرفة والراحة والفرح لكثيرين لم يكونوا يعرفون أين يتجهون).

من هدي السيد (سلفربرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الشعراء – ٢١٨، ٢١٩

(١٣)

بالله
نعرف الرسول مجاهدين
وبالرسول
نذكر الله مرحومين

حديث الجمعة

١٢ شوال ١٣٨٢ هـ - ٨ مارس ١٩٦٣ م

لا إله إلا الله، الله أكبر، الحمد لله، الملك له، والعزة له، لا شريك له، لا حول ولا قوة إلا بالله، النصر منه، والانتصار به لمن نصر، وهو القاهر بعزته فيمن قهر، والمقهور بحكمته فيمن قهر.

على أساس من هذه الشعارات قامت رسالة العربي، القائم بحمده على ما أقامه، المحمود من المؤمنين حمدا منه على ما قدمه، عرا عنه بربه بجاء الحق وزهق الباطل، وتمت به لكلمة الله قيامتها على قيامها، فقامت قيامة لا إله إلا الله، وانتشرت معرفة الله أكبر، ورفع لواء حمده.

به رضي الخالق عن الخلق، فرضي الخلق عن الخالق، وتعارف العابد إلى المعبود، وقام الموجد بالموجود، فرضي الله عنهم ورضوا عنه، فكانت بذاته مرسلة بارقة من الغيب برقت في السماء الدنيا من الشهادة، أشرقت بها الأرض وسمواتها نورا، عرفته لربها، وآمنته لراعيها، وما لبثت أن تغلبت عليها ظلمات النفس، ظلمة بعد ظلمة، في جحافل من سحب النفوس المتصاعدة من الأرض بظلامها تكاثرت وتكاثرت، وردتها السماء ذات الرجع لمصدرها سماء له حتى عادت الأرض لظلامها، وعاد الناس لظلمهم لأنفسهم، وقد احتجبت عنهم سماء رحمتهم بسماء صنيعهم، قاموا في الأرض شيعا وأحزابا، وفرقا ومعالم وأسبابا، في صراع مميت على ما خلق لهم، غافلين متناسين لما خلقوا له، فلا الله في أنفسهم يرعون، ولا في قولهم يذكرون، ولا في أوليائهم يطلبون، ولا في الطغاة يكفرون، ولا في أعلام وجهه يستقبلون، فلا بقبلته يطوفون، ولا الصلاة بها يقيمون، ولا للحق أقرب إليهم من حبل الوريد يتقون فيَسجدون أو يُسجدون، ويعبدون أنفسهم فيعبدون، وإذا قيل لهم لا تفسدوا في أرض

أنفسكم وقلوبكم قالوا إنما نحن المصلحون، وهم المفسدون ولكن لا يشعرون، فبالجهل يقومون، وبالجهل يؤمنون، وحجاب الغفلة لا يرفعون ولا يجتهدون، ولا لرفعه من الرحمة يتعرضون، وكيف يفعلون وهم لا يعلمون؟ وكيف يعلمون وهم للحياة لا يطلبون؟ وكيف يطلبون وهم إلى قلوبهم لا يتجهون؟

ليس من العيب في شيء أن يكون الإنسان جاهلا، ضالا، حائرا، قلقا، ولكن العيب كل العيب أن يكون هذا حاله ولا يدرك، ولو أدرك لطلب مآله إلى غير ما هو فيه، فيحاول أن يخرج من الظلام إلى النور، ومن الجهل إلى العلم، ومن القطيعة إلى الوصلة. والأدهى والأمر أنه إذا ما نُبه إلى حاله ليصلح له مآله، وتتغير في حاضره أحواله، أبى ونفر، واستعلى واستكبر، راضيا بالجهل بوصف العلم، راضيا بالقطيعة بوصف الوصال، راضيا بالكفر بوصف الإيمان، راضيا بالمخالفة بوصف الإسلام، راضيا بالمعاندة بوصف الإيمان.

لقد أصبح هذا هو حال أهل هذه الأرض، أيا ما كان دينهم، أو نبيهم، أو كتابهم، أو إمامهم، أو أولهم، أو آدمهم. يجعلون من عرض الدنيا أهدافهم، والدنيا كما وصفها لهم إنسان فطرتهم، ورسول عقيدتهم، وإمام نهضتهم، وآدم حقهم، ووجه ربهم، ويد إلههم، وحوض محييهم، وشمس وجودهم، وعلم الغيب بينهم من أنفسهم.. (الدنيا قذرة قذر ما فيها، عدا ذكر الله وما والاه)[1]، (الدنيا جيفة وطلابها كلاب)[2]، فلاكت ألسنتهم باسم الله، وبين جوانحهم لا ذكر له، ولا قيام له، ولا وجود له، وهو الذي أعلمهم عنه في إعلامهم عنهم، قائما على كل نفس، من ورائها بإحاطته، أقرب إليها من حبل الوريد، معها أينما كانت، كانوا به وجوها له وقياما له، فمن يكون الله، ومن يكونوا هم، وما تكون وحدانية الله عندهم!

ينشدون عدلا، وينشدون حرية، وينشدون سلاما، وينشدون للبشرية اجتماعا وللقومية انقطاعا، وللعروبة وحدة، وينشدون في الحياة مشاركة، بألفاظ استوردوها، وما عن قلوب بإيمان نطقوها، وما استوردها الغرب إلا من الشرق يوما، وما حاولها إلا فيضا من رسول الفطرة دوما، وما عرفها الشرق أو الغرب حية قائمة إلا فيمن عرا بها، يوم قال لهم ربهم على لسان رسوله إليهم، وإمامهم إليه.. لا إكراه في الدين.. تبين الرشد من الغي.. من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.. وما أنت عليهم بوكيل.. إن الله قائم على كل نفس بما كسبت.. لا شرف لعربي على أعجمي إلا بالتقوى...

الناس جميعا أمتك يا سيدي يا رسول الله، {وما أرسلناك إلا كافة للناس}[3]، والأرض جميعا قبضتك يا حبيب الله، جعلت لك مسجدا وطهورا، زويت لك في حقيقة ملكك وفي حقيقة أمرك،

وفي حقيقة دولتك، يا أيها الناس أتى أمر الله فلا تستعجلون، اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون.

إن دولة الإسلام التي أقامها الله بمحمد.. إن دولة الإسلام التي جعل الله فيها الملك لمحمد قائما عليه، إنما هي دولة تشمل فيما تشمل الأرض وأهلها، أوطانها، وملوكها، وأممها، استقامت أو انحرفت، قامت بالحق أو قامت بالباطل، تصارع فيها الحق والباطل في نظر الناظرين، أو تواءما في حركتهما في نظر العارفين. فبادل صاحب الملك والأمر عبدا لربه الأيام بين الناس، متخلقا بأخلاق ربه ومولاه، فكان للباطل جولة فيها انتصر يوم توانى أهل الحق عن القيام بالحق، فكان الباطل صوت عذابهم، ونداء ربهم لاستقامتهم، فإذا ما استيقظوا ولو فئة قليلة لبت نداء الحق ولم تخدعها فتنة الشهوات، ولم تأبه لسياط الباطل، فتألفت القلوب منها تؤلفها يد قدرته محيطة منبسطة تجمعا على وجه طلعته في عباد الرحمن، يمشون على الأرض بعيدا عن الطغيان والطغاة، متحررين من الجهلاء والجهل، يتغابون أمام الأغبياء، ويتجاهلون أمام الجهلاء، ويظهرون بالحكمة عند العلماء، ويسألون ربهم الهداية للأمراء، فتتألف القلوب حولهم، ويطاف البيت في معناهم، ويستقبلون بالمحبة في الصلاة صلة بالرب من الإله، فيسجد الناس بحق لحق للحق لله، يعرفون قبلته، ويطوفون بيته، ويشهدون وجهه، بلطيفه في أبصارهم وبصائرهم، يلحقهم بنوره، فتشرق الأرض بنور ربها على ما هو قائم لا يغيب، متواجد من أزل، متجدد بوجهه في أبد، قائم في دوام، فتغلب الفئة القليلة الفئة الكبيرة بنورها يعم وينتشر، فتحيا القلوب وتزدهر، وتزكو النفوس وتزدجر.

هكذا جعل الله النور لعباده، يمشون به في الناس، فتشرق أرض القلوب بنور ربها، ويقدر الله حق قدره، ويدخل الناس في حصن لا إله إلا الله، قائما لا يغيب، أبوابه مفتحة لا تغلق، فيعرفون الله في أنفسهم، يعرفونهم وجه الله الذي يطلبون يوم تنعكس بصائرهم وأبصارهم إلى داخلهم ونفوسهم، فتتلاقى عقولهم مع مواجيدهم وحبهم في بيوته من قلوبهم، وفي وجوهه من رؤوسهم وذواتهم، وتحرر الرقاب بانطلاق عقولهم من عقالها، وينتهي أمر الجزاء والعقاب، وتعلم النفس ما قدمت وأخرت، تنطلق في دارها من السموات والأرض، تعرف حريتها، تعرف ديموقراطيتها إن شئتم إلا ديمقراطيتها، تعرف أن كل شيء خلق من أجلها، وخلق لها، تعرف اشتراكيتها إن صممتم على لفظ اشتراكيتها في ملكيتها لما خلق لها يوم تعرف مالكها ومن خلقت له.

إن هذه الألفاظ المستعملة منا للتعريف بالحقيقة قاصرة عن أداء المعنى الذي أشار الله إليه في كتابه، أو على لسان نبيه، إن كل شيء خلق من أجلك، لا تحرم من شيء منه.. إن كل شيء خلق لك لا يشاركك فيه مشارك.. إن الوجود ما تواجد إلا لكل موجود فيه، هو سيد فيه، مالك له، ما

عرف ربه، ما كبر مولاه، ما شهد أنه ما شهد نفسه لا إله إلا الله، والله أكبر، العدل وصفه، والدنيا ملكه، والآخرة حقه، والله مولاه، لا بل مولاه ونفسه وعبده، يسأله في ملح طعامه، ويفتقر إليه في كل قيامه، لا يعتز بغيره وإن كانت نفسه، فأعدى عدوه نفسه التي بين جنبيه، وأحب أحبابه ربه الذي هو أقرب إليه من حبل الوريد. فما تكون الأهداف عند العرب إلا أن يكون الله هو المقصود الأول في كل هدف؟ وأي هدف بعد الله؟ أمن القشور يجعل المؤمن هدفه؟ أمن المادة يجعل المؤمن شرفه؟ من قال لكم إن المادة ليست في ملككم، والمادة ليست في عدلكم؟ من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق؟ قل هي للذين آمنوا خالصة في الحياة الدنيا يوم القيامة، إنما هي خالصة للناس ما أقاموا الحق وشرفوا به، وما أقاموا الذكر فذُكروا به، فكان الذكر قيامهم، وإرادة الله بعدله ورحمته قوامهم، متحررين من مذلة الخدعة بشهوات دنياهم وهي ساعة في دار من دور رحلتهم، فاستقام في الدنيا والآخرة أمرهم، فليس في الدنيا استقامة ما انحرف أمر الأخرى في الناس، وليس في الآخرة كرامة إلا ما كرم أبناء الإنسان بالإنسان، وقد كرَّم الله بني آدم باليقظة إلى معيته لكل نفس بالرحمة والحياة، وقيامه على كل نفس بالحكمة والشهادة، وإلا كانت الدنيا وخيراتها اغتناما أو حرمانا بلاءً وابتلاءً لا عطاءً ولا جزاءً.

إذا لم نجعل من الله ومرضاته، ورضائه، ورضائنا عنه، ورضوان من الله أكبر أهدافنا، فكيف تستقيم الأهداف؟ وإذا لم نجعل منه علة ائتلافنا، فكيف يقوم الإيلاف؟ لن تكون للعرب وحدة، ولا في الدنيا سلامة، ولا في الآخرة كرامة، ما لم يرَ العرب في قديم أمرهم كيف كرموا وكيف شرفوا. هل شرفوا بأبي سفيان رأس الأمويين؟ هل شرفوا بالعباس بن عبد المطلب رأس العباسيين؟ هل شرفوا بعنتر عبس؟ هل شرفوا بأبي زيد الهلالي؟ هل شرفوا بمعدي كرب؟ هل شرفوا بخالد المخزومي؟ بمن شرفوا!!؟ بسيد الثقلين، بإمام الدارين، بملك المملكتين، بوجه الله للكونين، بالذات علما على الأقدس لذات الإنسان، لذات الرحمن، وبالروح علما على الأعظم، لروح الإحسان.

ها هو الروح بملئه والأرواح العظيمة بجمعها، والروح الأعظم في الميدان، يهز الأرض، ويرج البنيان، فهل استيقظ أدعياء الإسلام وعنوان الإسلام؟ هل استجاب.. هل استقبل من ينسبون أنفسهم لكتاب ما لمسوه ينسبونه لله ما عرفوه؟ وكيف يعرفونه أو يتلقونه من رسول الله، ينكرونه يتلوه في الناس على مكث وهم يجحدونه، وأصابعهم في آذانهم حذر الموت يحذرونه لكيلا يسمعونه، حتى لا يُذهب ظلام نفوسهم هم عليه يحرصون، وبنيان أجداث مواتهم بأجساد مقابرهم لها يتعشقون؟ فلا الله في أنفسهم يرعون، ولا النبي في ضمائرهم يشهدون، ولا قيامه في الناس يطلبون، والناس به يبدلون ويقلبون ويؤمنون. هو كوثر الحياة، به يتواجدون، وبه يبعثون، وبه يحيون، وهم بهم في غفلة

عن الحياة في أنفسهم يعمهون، تبدل جلودهم كلما نضجت ولا يستيقظون، ولا من غفلة يخرجون، فسبحان الله عما يصفون، وتعالى الله عما يشركون، وعز الله على الجاهلين به يحيون وإن كانوا به يقومون. هم حصب جهنم عليهم تحيا، وبهم تشعل، وتزدان أرضها التي يعبدون بالدنيا يعشقون، مبرزة بما يحذرون، وبالسنة لا وعي لها يحذرون، ويعبدون أنفسهم لها مرة ومرة، وطورا وطورا، فيملكها الله رقابهم وأوانيهم، ويجعل منهم زينة لها بذواتهم ومعانيهم، وليتهم لها بصدق يقدسون، ولها بإيمان يسجدون، ولكنهم عليها أيضا بأوهام يستعلون، وملكيتها يدعون، والقدرة عليها لأنفسهم يزعمون، وهم أبناؤها لها عابدون. ولو أنهم على عبادتها قاموا عاكفين، الله في جمالها ناظرين، ورحمته في خيراتها مستقبلين، ومن قسمتها في ابتلائهم مسترحمين، لكانوا من وراء حجاب عابدين، وفي حجاب لله قائمين، حتى يحررهم الله إلى عليين، بما استقاموا عليه من أمر أنفسهم فيها، وجه الله بها يرون، ورحمته منها ينشدون، ولكنهم عليها يستعلون ويستكبرون، وما صَنَعَت من زينتها لرحمتهم واختبارهم بأيديهم يخربون، وأرواح الخلق في استهتار ومجون يزهقون في سبيل أهداف من مادة لا قيمة لها، هم لها طالبون، وأمرها يعشقون. هذا أصبح حال الناس على ما ترون.

فإلى متى؟! إلى متى رسول الله؟ إلى متى وجه الله؟ إلى متى يد الله؟ أما آن لك أن تطأها!؟

سيدي طأها، ما أنزل عليك القرآن لتشقى ونفسك جماع أهلها، وقيام أرضها، ونور حقها، ونار خلقها. إلى متى سيدي رسول الله تترك الفئة القليلة تمسك بالجمار؟ ولا تأمن في الديار؟ ولا تمكن من المزار كأنها في حياة من قفار؟ أين الحضر والأمصار؟ إنك وعدت والحقُ ما وعدت، والأمر ما أقمت، والحياة لمن سويت، والحي من آويت، والعالي من في بيتك أعليت، وباسمك لاسمك دانيت.

سيدي رسول الله وبحار الحياة وسفن النجاة.. جار المستجيرين وأمان الخائفين، وسكينة العارفين، وقائد الطائفين، وإمام المصلين، وحق المستقبلين، أنت لنا كل شيء، على ما عرفنا فعرفناك، وعلى ما آمنا فآمناك.

ها هي نسائم النصر، ها هي أعلام الذكر، نشم ريحها ونستشعر أريجها، فنتخيل معالمها. ها هي الأحداث ترهص لمقدمك، فاجعل بحقك حقيقة، وبربك رسالة وطريقة، فجدد دينك، وبين كتابك، وارفع حجابك، وانشر في الناس قيامك، وأزل من عقولهم غيابك. يا من في النيام يطوف بكعبته، وفي القيام يقوم بقبلته. طأها سيدي ففي وطئك رحمتها وسعادتها...

يا عبد الله.. يا حق الله.. يا من هو الناس بربه ورب الناس، وملك الناس، وإله الناس، برفيقه الأعلى في الله الذي عَرِف وعرَّف.. يا من به ذكرنا الله، وبالله عرفناه رسول الله.. يا من له المرتقى.. يا من له المحيا.. يا من له الممات.. يا من له معانينا في الإنسان، بالإنسان، إلى الإنسان، قياما بالله، وطلبا لله، ولقاءً لله، وسبحا في الله. لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

يا من قام بيننا لا إله إلا الله، فما عرفناه، أقمنا لا إله إلا الله، بقيامك بلا إله إلا الله. يا من قام بيننا الله أكبر، فما قدرناه، قم علينا الله أكبر، حتى نرعاه، وحتى نراه. يا من قام بيننا كلمة الله، وروح الله، ووجه الله، والحق من الله فما تابعناه، أعد بيننا سافرا قيامك، وأسمعنا مرة أخرى كلامك، وادخلنا في كلمتك، لا دينونة، ولا قطيعة، فقد تذكرنا، وعرفنا، وندمنا على ما فعلنا، فلبي باسم الله نداءنا، واظهر بوجه الله لعيوننا وبصائرنا، وامدد يمين الله يمينك لنجدتنا ولبيعتنا. أنت اليوم عندنا أولى بنا من أنفسنا حقا وصدقا، لقد عرفنا ما عنه غفلنا، يا من جعلت للعرب شرفا بكتابك عربيا، وجعلت للعرب شرفا بقيامك عربيا، وجعلت للبشرية شرفا بوجودك إنسانا أبديا، وعبدا أزليا، ووعدتنا بعثا من أزل، في قيام في أبد عنا لا يغيب، تنشق عنك الأرض أول عابدين في دوام، بيتا دائما متجددا بالسلام، تتلو على مكث حكمتك، وتظهر في كل أمة لتُبين لها بلسان قومها فطري شرعتك.

أيها العربي الذي صرت غربيا وشرقيا، روسيا وصينيا، لاتينيا وطليانيا، فرنسيا وألمانيا، إنجليزيا وأمريكيا، في أي صورة ما شاء ركبك، وفي كل أمة بالحق أوجدك، وبكل لسان بالحكمة أنطقك، ما عُرِفَ للناس أنه لا إله إلا الله، على كمالها واستقامتها إلا في معرفتك لا إله إلا الله، وتعريفك لا إله إلا الله، يا لا إله إلا الله.

انتسب إليك فريق من أهل السوء باسم دينك فما أساءوك، ولكن أساؤوا إلى أنفسهم، وما أساؤوا إلى دينك حفظه الله لأهله في أهله، ولكن أساؤوا إلى آخرتهم. وهم يحاولون الإساءة إلى كتابك وما يسيئون إلا إلى حياتهم ومن يتابعهم على سنتهم. وهم يسيئون أو يحاولون الإساءة إلى معنى أمتك من الناس كافة مرسلا ومن المؤمنين بيتا وذاتا، والله راد كيدهم مبطل أمرهم كاشف سترهم.

يا أمة المؤمنين من كل جنس، يا أمة الخالصين من كل رجس، يا أمة المخلصين من كل بيئة، يا أمة العاملين في كل زمان، شرَفُ الأفراد في فردك أنت ما وصلوك، وشرف البيوت في بيتك أنت ما دخلوك، وشرف الجماعات في الاجتماع عليك على ما يجتمع مجتمع عليك يفنى عنه ويبقاك، وشرف الأمم في شرف أمتك، ما عُرِفت أمتك، وما أسفرت أمتك، وما قامت في الناس لك أمة، فكانت الأمم والناس جميعا أمتك.

يا فرد الأفراد، ويا أمة الأمم، ويا حق الحقائق، ويا بحر البحار، ويا نهر الأنهار، ويا ماء السحب، ويا عيون الأرض، ويا جذوة الحياة، ها أنت وربك تدانينا في حاضرنا، على ما أنت دائما به مدان في أزل، باقيا في أبد، ملبيا في قيام، ها هو لك وها هو معك على ما هو لك دائما، وعلى ما هو معك دائما، وعلى ما أنت له ومعه، ها أنت بجديد من أمرك تظهر، ها أنت في الحياة تسفر، ها أنت من الأرض تخرج، ها أنت من السماء إلى الأرض تداني وتعرج، ها أنت من الغيب إلى الشهادة فيها تقيم وفيها تظهر، ها أنت ركب السفن للخلاص والنجاة تعد وتقلع وتسفر، ها أنت في ثوبك الجديد، بل ثيابك تطهر، ها أنت بذاتك بل بأمة ذواتك تنتصر وتظفر، ها أنت مع جندك القديم والجديد، بل بحافلك تقدم وتقهر. من هذا الذي يقوى على صد غزوتك؟ ها أنت بركب رحمتك، وها نحن على ما نحن نظاهر ونصد، ولكن طلائع ركبك تتقدم وتغزو الأرض، تغزو أرض القلوب، إنهم ينشرون الحياة في قاحلها وعالمها، ها هي الحياة تتواجد على الأرض، ها هم الأحياء يتفجرون بالحياة، ها هو كوثرك بالأحياء ومعانيك بالحياة، إنها الحياة، إنها القيامة، هل ينظرون إلا أن يأتي ربك، ها هو ربك، وها هو ركبك، فهل من مستيقظ؟

اللهم اجعلنا من محبيك، ولا تجعلنا من المنكرين عليك في أنفسنا وفيما حولنا، وقد علمتنا وأعلمتنا أينما نولي فثم وجه الله في أنفسنا ولينا، فثم وجه الله وفيما حولنا نظرنا، فثم وجه الله لا تنقطع في أنفسنا آياته، ولا حولنا معجزاته، لا إله غيره ولا معبود سواه.

اللهم أنزل سكينتك على قلوبنا، والسلم والسلام على أرضنا، وأحيِ موات قلوبنا بروحك، وأنر عقولنا بنورك، وزكي نفوسنا بجذوة الحياة منك، وقوم جوارحنا بحكمتك، وأصلح نفوسنا ومجتمعاتنا برحمتك، وأقم بيننا منا فينا عدلك حتى لا يطغى بعضنا على البعض فيذهب ديننا، وترهق وتزهق أرواحنا، بالطغاة منا متخلفين عن ركب الحياة وإرادة الناس إرادة لك كما علمنا، لا إله غيرك ولا معبود سواك. اللهم ولِ أمورنا خيارنا ولا تولِ أمورنا شرارنا، وخذ بنواصينا إلى الخير حكاما ومحكومين روادا ومرودين، لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

أضواء على الطريق

(لقد كافحت لكي أجمعكم ولأجعلكم معا أكثر قربا في حلقات الحب. لقد حاولت لأعلمكم قوانين مملكة أعلى وحياة أعظم. أنا لم أشجع أبدا إدانة أي فرد أو أحض عليها. لقد حاولت أن أفسر الحب في أعلى درجة له. وخاطبت دائما منطقكم وذكاءكم قصرا على أن الحقائق التي نعلمكم إياها قادرة على الامتحان العسير والتمحيص العقلي).

من هدي السيد (سيلفربرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ حديث شريف: "إنَّ الدُّنيا ملعونةٌ ملعونٌ ما فيها إلَّا ذكرُ اللهِ، وما والاه، وعالمٌ أو مُتعلِّمٌ". رواه الترمذي وابن ماجه..

٢ من حديث شريف ذكره السيوطي بلفظ: "الدنيا جيفة، والناس كلابها". وأخرج الديلمي عن عليّ مرفوعاً: أوحى الله إلى داود: يا داود، مثل الدنيا كمثل جيفة جمعت عليها الكلاب يجرونها، أفتحب أن تكون مثلهم فتجرها معهم"؟ أيضا: "قال علي بن أبي طالب الدنيا جيفة، فمن أرادها فليصبر على مخالطة الكلاب." المصدر: الموضوعات للصغاني. وعند أبي نعيم عن يوسف ابن أسباط.

٣ سورة سبأ - ٢٨

(١٤)

عَربي
من كان وجها لي
قل جاء الحق

حديث الجمعة

١٩ شوال ١٣٨٢ هـ - ١٥ مارس ١٩٦٣ م

الحمد لله، لا تحصى نعمه، ولا تنقضي آلاؤه.

الحمد لله، لا تغيب صلته، ولا ينقضي قربه.

الحمد لله، الذي لا جديد فيه، ولا شريك له.

الحمد لله، الذي لا يغيب حقه، ولا ينقضي عن التواجد في الأرض عبده.

الحمد لله، الذي تتواصل رسالته، ولا ينقضي عن عباده هديه، ولا تغيب عن عاقل حكمته.

الحمد لله، الذي هو لا إله إلا الله، والله أكبر.

الحمد لله، الذي تتمثل في ذات الحياة ذاته، وفي استقامة الحياة صفاته.

الحمد لله، الذي هو روح الحياة، وروح القيومية على الحياة، وروح لانهائي الحياة. يظهر للروح بالروح الأعظم، ويظهر للذات بالذات الأقدس والأقوم والأكرم.

الحمد لله، الذي جعل من الإنسان مظهره، وحمل الإنسان إلى الإنسان خبره، وجعل من الإنسان للإنسان ذكره، وأقام بالإنسان على الإنسان أمره.

الحمد لله، الذي هو قوام العبد، قبل أن يكون قوام الرب، وقبل أن يعرف لهما بهما بالإله.

الحمد لله، الذي هو العبادة، والعبد والمعبود، والذي هو الشهادة، والمشاهد، والمشهود.

الحمد لله، الذي هو كل شيء لمن عناه والذي هو كل شيء لمن تولاه.

الحمد لله، محمودا من نفسه، لنفسه، بنفسه، في نفسه، في الإنسان.

نشهد أن لا إله إلا الله، على ما شهدها عبده ورسوله، ونشهد أن الله أكبر على ما عرفها كل عارف به، وكل حق منه، وكل أمر له.

عباد الله.. كونوا عبادا لله بتجديد سفينة أنفسكم بالصلاة، وكونوا من المصلين بصلتكم بالمصلين، وكونوا من العابدين بوصلتكم بالعابدين، وكونوا من الأحياء بقيامكم بالأحياء في الحي القيوم، في المنفرد بالحياة، ومفيضها على الأحياء ممن استحيوه، وقد طلبوه على ما طلبهم، ونادوه وقد ناداهم، فوجدوه فيما أوجدهم، فعرفوه بمعرفتهم لأنفسهم منه، له وجوه، وبه عباد، وبخدمتهم وإيثارهم، لبيوتهم أرباب عرفوهم قلوبهم حية به فعرفوه، حياتهم اهتدوه واقتدوه، عقولهم نوره، فأشعلوا جذوة الحياة شموسا لها، ومصابيح وجود.

نفوسهم شرفوه عبادا له يوم عرفوهم مكانه وزمانه، وعينه وعنوانه.

وحدوه فتوحدهم، وعشقوه فأشهدهم، وشهوده كانوه فأشهدوه، فكانوا به الإنسان، العنوان، العالم، المكان، الدهر والزمان.

ينشغل الإنسان بدنياه من نفسه في دناه عن دينه ومعناه، يتوهم الإحسان وهو الغافل عن العنوان، في معناه، في مبناه، في مسراه، في أطواره ومرتقاه. كيف يبدأ الإصلاح ممن لم يصلح؟ وكيف يبدأ فلاح ممن لم يُفلح؟ وكيف تبدأ حياة ممن لم يحيا؟

إن أول العابدين، إن أول الحق، إن أول الخالق في صوره الخلق، إن أول الخلق من دائم الخالق، في معناه الأزلي وجديده الأبدي، كان لنا فيما نعلم العبد العربي، كان النبي العربي، كان الرسول العربي، كان الأمين العربي، أنانية من عرا به عبدا له، وقائم الحق فيه وجها له، كان للناس به رسولا منه وقدوة لهم أول عنوان لأزلي عنوان للإنسان قام للناس، وكان أبدي عنوان لمن أحسن ووعى ما تلقى من البيان. كان أشرف بنيان لمظهر إنسان. كان نُصب الإيمان، وذات الإحسان، آدم أوادمه، وأصل معالمه، وأول مرائيه، وبداية مبانيه، وبدء تكاثره، وجماع تناثره. كان الأصل للظلال والأرض للجبال، وكان البحر للأنهار، وكان النهر للجداول، وكان الحوض للكؤوس. كان الدين، كان عنوان الحق وعنوان اليقين، وُعِدنا به لا يغيب، وعُرِّفنا به لا ينقطع، عرفناه المعاد ممن فرض عليه الكتاب، عرفناه المكلف ليتلوه على مكث، عرفناه المجاهِد لا عوج له ليبينه في دوام قيام. لسانه عن البيان لا يتوقف بحار كلامه، ويده للناس تمتد أمة إعلامه، ووجهه عنهم لا يغرب شمس قيامه. يصبر نفسه متكاثرا، متجددا في نفوس قومه، وما قومه إلا الناس جميعا، لا تعدو عيناه عن من يطلب وجه الله،

ينزل الروح من أمره على من يشاء من نفسه عبادا لمولاه وربه عين ذاته ومعناه، ربا لا يدين وعبدا لا يتعالى، ويد نجدة لا تحجم، ونظرة رحمة لا تضيق ولا تبخل، وماء حياة متدفق لا يتوقف. ذلك من عرفناه ابن عبد الله، وهو عين عبد الله وابن عبد الله حقا، وعبد عباد الله، ورب عباد الله، من شرفت العبودية لله بشرفه، بوصف العبد له، من شرفت الربوبية برحمة الله في شرفه رحمة للعالمين. جعل السيادة للإنسان يوم يسود الإنسانُ الإنسان على نفسه، ويوم يجعله في خدمة الناس من الإنسان، وقد خفض جناح الذل لهم وهو العزيز بعزة ربه، وبعزة عطائه، وبعزة المؤمنين به لتتسع رحمة الله لهم، ولتعم رحمة الله به وبهم.

إن كان للعرب شرف، فبمن عرا بالحق عربيا، ومن نطق بالهدي هديا عربيا، ومن جمع لبنات الحق من الإنسان أمة عربية، ومن أبرز أمر الله فائتمر الناس بأمر الله، أمة بدأها أمة عربية...

فشرف العربي فردا بشرفه، وشرفت الأمة العربية جمعا بالاجتماع عليه، والصلة به، والذكر له، والتواصي بالحق معه، وشرفت البشرية يوم امتد فيها شرف متابعته، وشرف مصاحبته، لا شرف لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، فتكشف أمر الله فيمن جانبه، وقضاؤه فيمن عاتبه...

فَعَلَت كلمة الله به، وعلا أمر الله بكلمته، وانتشرت رحمة الله بشعبه المختار بأمته، وزويت له الأرض فعمت رحمته، واجتمعت على الحكمة أمته فكان هو الناس جميعا، بحقيته احترقت شمس ذاته لتشعل مصابيح قلوبهم في مشكاة صدورهم، باخعا نفسه على آثارهم، مستعينا بربه وبهدي السابقين عليه من إنسان قديمه، به وبهم اقتدى، وباقتدائه أبرز نفسه قدوة للعالمين، وشرفا لدين القيمة من المؤمنين ممن يقيم الله، وممن يهدي بهم الله، وممن يفعل بهم الله، فكان عباد الرحمن يمشون على الأرض هونا، وفي كل مكان لا مكان لهم، وفي كل زمان لا زمان لهم، بدور تناثره، وعناوين تكاثره، ومعايير نوره، وأحواض سكينة بشريته.

بنور الله له أُنزل معه أصبح الناس جميعا وقد تجددت الحياة به رحمة للعالمين، وأصبح الناس به شموس الدلالة عليه من كانت لهم دلالة بشمسه على شمس سبقه في إنسانية حقه، عنوان ربه، وعبد إلهه، ورفيق نوره، وأخوة روحه، ومظهر الأعظم من روح الله له، علما على لانهائي روح الحياة، من جعل من الإنسان بما أقامه ربه، وبما شرَّفه إلهه، وبما عنونه من روح الحياة المطلق بوصف الوجه له، كائنا يعتز بوصف العبد له عن وصف الرب لمعناه، وعن وصف الإله لحكمته وكنزيته إنكارا لذاته وقياما لصفاته.

جعله الله للناس ورضيه للناس يوم ارتضاه لنفسه، وارتضى به الناس لنفسه، يقوم ويتقلب في الساجدين.

منه تبدأ الحياة، ومنه يبدأ الصلاح، ومنه يبدأ الخير، ومنه يبدأ الروح، ومنه يبدأ الفلاح، {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم}[1]، لا يتوقف فعله بجديد، ولا يتوقف جديده عن الظهور بمزيد، ولا يتوقف مزيده عن البشرى بمرجو مأمول. كان سنة الحياة، وقانون الحياة، ومظهر الحياة، وقائم الحياة، وقيوم الحياة، قل جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا. إن الباطل في دوام يزهق ويُزهق، وإن الحق في دوام يقوم، ويتجدد، ويأتي. يأتي بقيامه، ويظهر بسلامه، ويعرف في أعلامه.

ها هو الرسول على ما وعد، وها هي السماء على ما بشرت ودعت، ها هي السماء برجعها، وها هي الأرض بصدعها، ها هي السماء تنشق بجديد، وها هي الأرض تنشق من الجنس بوليد، ها هي الأرض في المخاض، وها هم الناس يتخلون عن العناد، ويتجمعون في طلب الوداد استنهاضا للإيمان، وبعثا للإحسان، وإعدادا للجهاد، وقياما للرشاد، وذكرا لله بأمسهم ما أَمنوه، وفي يومهم ما ذكروه، ولغدهم ما رجوه، ولكنه لأمسهم قام غفورا وغفر، ولحاضرهم قيوما رعى وذكر، ولقابلهم عزيزا حكيما تولى، ولنفسه شكر، وقد اعتزم بهم أمرا، وأراد بهم إرادة. وجعلهم عنده أحرارا وأهل سيادة بمن عرا بينهم بالحق عربيا، حرا ربانيا، رسولا رحيما رحمانيا، جعل الله قدرته في قدرته شديد القوى، وجعل قيادته في حكمته مسدد الخطى، وجعل تطوير خلقه في متابعته رحمة للعالمين، وجعل إبراز حكمته في إظهاره برشاده، وسلامه في قياده.

رسول الله.. ها نحن نرى، ها نحن نشهد، ها نحن نقر أن كل ما ينالنا من الخير، إنما هو من فيض يديك، وأن كل ما ينالنا من الحياة، إنما هو من فيض عينيك، وأن كل ما نوفق إليه إلى اجتماع واستلال لسخيمة، إنما هو من فعل نفسك بيننا، ومن قيامك علينا، ومن رضائك بنا على عيوبنا، لا تدين ولا تسأل، ولا تعتب ولا تسأم، لا تخاصم ولا تقصم، تحب ولا تكره، عن الفعل لا تتوقف، تجمعنا بيديك، وتحيينا بإرادتك، وتستل من قلوبنا سخائمها بقدرتك...

عبد الله وشرف العبد له، رسول الله وبيان القيام به، نور الله للسموات والأرض، قبضة نوره من مطلقه لا يحد، بك قدرناه، وبك وحدناه، وبك عرفناه، وبك في أنفسنا شهدناه، وبك ذكرناه، وبك عبدناه فكفاه بلا إله إلا الله.

رسول الله.. إن مزيدا ننتظر، وإن كبيرا من الأمل لنا نراه يتحقق، في واسع من الرجاء نترقب، وأنت لذلك رسول الله أهل وعليه قادر بوصلتك بربك، وبمحبة إلهك...

إنا إذ نذكرك إنما نذكر الله، لا يتعدد. إنا إذ نذكرك نذكر ربنا قديما قائمًا في جديدنا وقديمنا لا يتجدد. إنا إذ نذكرك نذكر عبوديتنا بقيام معناك عبدا لمولاك، لا نتعدد معك، ولا نتعدد مع ربك، ولا يتعدد ربك مع ربه، ومهما طالت بنا العنعنة فلا تعدد للأرباب مع الله، ولا للآلهة مع الإله. إنهم حقائقه وأقداسه ووجوهه. إنهم أياديه ورسله. إنهم رحمته وعباده. إنهم روحه، ونوره، ووجوده، وعلمه، وعوالمه، ورشاده.

بك عرفنا أنفسنا، فعرفنا الله لا إله إلا الله، وبالله عرفنا أنفسنا، فعرفناك ربا لنا، وعرفنا الله أكبر، يجمعنا عبادا له، يا شرف عبوديتنا وشرف العبودية لله، يا آلاء الله على اجتماع وعلى غير انقضاء، يا رحمة الله تعم البقاع، وتملأ الأسماع، وتصل بلطيفها الأنظار، وتمتد في الذوات، وتقوم الجوارح، وتحيي القلوب، وتحرر العقول، وتزكي النفوس، يا من هو كل شيء لنا، ويا من جعل منا كل شيء له...

اللهم حقق له فينا ما يرجو، وحقق لنا به ما نرجو، فأشهدنا به أن لا إله إلا الله، وأشهدنا بك محمدا رسول الله.

عباد الله.. اتقوا الله، واعلموه معكم، فانعكسوا في نفوسكم لتلاقوه، فينعكس وجهه منكم على كل ما تشهدوه، وعلى كل ما تسمعوه، وعلى كل ما تلمسوه، وعلى كل ما تشموه، وعلى كل ما تعقلوه.

عباد الله.. إن جديدا لقديم من الرحمة، وجديدا لقديم من الحكمة، وجديدا لقديم من الأمر، وجديدا لقديم من رسالة الله، وجديدا لقديم من رسول الله، يوشك أن يبزغ شمس شهوده، وطلعة وجوده، ويد قدرته. ها هي الأحداث ترهص له، ها هي الأرض توشك أن تتمتع بسلام، وها هو الإنسان عليها يوشك أن يتواجد بقيام، فيشهد الإنسان فيه الحق في نفسه، ويجد من أوجده في وجوده. ها هو دين الفطرة يتجدد بكم على أرضكم مرة أخرى، وقد كان غريبا عليكم. ها هو يتواجد حبيبا إليكم، فهلا في الله هممتم، ولقبلة الصلاة استقبلتم، ولصفاء القلوب والنفوس أعيانكم هيأتم، ولتحرر العقول في انطلاقة إلى المعقول، بقيام العقول، استعددتم! ها نحن في ليل من قيام، قارب فجرا لسلام، نحلم فيه بضحى يوم مشمس، وشمس مشرقة، وحق أبلج مبلج، برسول الله، بعبد الله، بوجه الحق من الله.

تهيؤوا لهذا اليوم راغبين، من الفصل فيه واجفين، يوم تأتي آيات ربك لا ينفع نفس إيمانها، لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيرا. توادوا، تحابوا، اجعلوا من وجوه المؤمنين بينكم مرايا لوجوهكم، اطلبوا الحكمة من أي مصدر ظهرت، ومن أي نبع قامت، من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال، يحكم الناس فيه على أنفسهم بالكفر أو بالرشاد، بالإيمان أو بالعناد، ثم يُنظَرون، ولا حق لهم في التخلص مما تكشف لهم عنهم إلا في جولة أخرى، بعيد ميعادها، مديد يومها، قاس ليلها. ها أنتم والحق أبلج بروح الله بينكم فما حرصتم على الحرص عليه، وما تكنزتم بالإيمان في أنفسكم عن امتداد يد البطش إليكم، إن بطش ربك لشديد، إنه هو الذي يبدئ ويعيد، وكم بدأ وكم أعاد بالحكمة وبالرشاد، والناس في غفلة بعناد. ها هو يجدد أمره، وتجدد السماء خبره، ولكن ما زال الناس في عنادهم، وما زالت عقولهم في قصورها، وما زالت نفوسهم في التوائها. نسأل الله الرحمة لنا ولهم، والعفو لنا ولهم، والمغفرة لنا ولهم، والهداية لنا ولهم، والرشاد لنا ولهم، والرحمة لنا ولهم، إنه بذلك جدير وعليه قدير، وله يرتضي، ولنا مجيب بوسيلتنا إليه بعبده ورسوله، من عرفناه محمدا، وآمناه الحق رشادا وحكمة، لا إله إلا الله، ولا معبود سواه.

أضواء على الطريق

(نحن أمام وقفة وسوف نمسك بالخيوط حالا، وسوف أنظر للأمام بشغف زائد للوقت الذي نتقابل فيه كلنا مرة أخرى، وإن كانت روحي لا تفارقكم أبدا. إذا اعترضت طريقكم الظلال أو وقعت عليكم المتاعب، إذا تحرك الشك في عقولكم، ووجدت الحيرة مسكنا في داخلكم تذكروا أن هذه ليست حقائق، أعطوها أجنحة وأطلقوها بسرعة لتطير).

من هدي السيد (سلفربرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الفتح - ٢٩

(١٥)

كلمة الله الأزلية
لبشرية الأرض والسماء ولبشرية السماء والأرض
تنشق عنها الأرض للسماء والأرض وتنشق عنها السماء للأرض والسماء

حديث الجمعة

٢٦ شوال ١٣٨٢ هـ - ٢٢ مارس ١٩٦٣ م

أعوذ بالله من ظلام نفسي، ومن ظلام النفوس من حولي، وأستعينه بروح الحياة أقرب إلي وإلى من حولي من حبل الوريد، وأسترحمه بذات رحمته رسولا للعالمين، منه إليه في نفسه فينا وبيننا، به لنا هو الراحم، وبه لنا هو المحيي برحمته، وهو الذي به أحيا أشياءنا وقد جعل كل شيء حيا من فيض رحمته.

أُوحده وهو الواحد، وأستعينه وهو المعين، وأسترحمه وهو الرحيم، وأشهد أنه لا إله إلا هو، وهو المعروف، وأنزهه عن كل شيء، وهو في كل شيء الموصوف. إليه من كان منه، ومنه من كان بوجوده عنه...

ترددت فيه كلمة الله الأزلية بين السماء والأرض في وحدة موجوده من مطلق وجوده، كلمت في السماء فعادت إلى الأرض، وكلمت من الأرض فعادت إلى السماء. لها في الأرض كمالها، ولها في السماء كمالها، ولها إلى ما فوق السماء وما دون الثرى مآلها، فإلى الأرض رجوعها ورجعها تصاعدا مما دون الثرى، أو تدانيا من السماء ذات الرجع إلى الأرض ذات الصدع، فمن الأرض تصاعدها ومن السماء تدانيها، فهو في الأرض إله بكلماته، وهو في السماء إله بكلماته، ولله غيب السماوات والأرض، وله ملك السماوات والأرض.

هو في الأرض موصوف الإنسان، وهو في السماء معروف الإنسان. إن ناشئة الليل أشد وطأً وأقوم قيلا فيها الخلافة عن شديد القوى والنبوة للتعريف عنه. إن ناشئة النهار لناشئة الليل تفريعًا عنها، ولها في النهار سبح طويل، ومن امتداد للسبيل تأتي ناشئة النهار إلى الأرض فتنقصها من أطرافها مخلصة لأهلها من ظلام أنفسهم، لا يتثاقلون إلى الأرض، يتراحمون لا يتظالمون، وصفات أهل الأرض يفارقون فيرحمهم أهل السماء، ويتخذون منهم وجوها لهم فيصطفيهم الملأ الأعلى وجوها فيه، ويختارهم لنفسه، ثم يردهم من سمائهم ذات الرجع، ليستخلصوا من الأرض من يرحم الله من أهل الصدع نُموًّا لشجرتهم، واستكمالا لحضرتهم، وانتشارا لرحمتهم.

هكذا دواليك، تواجد محمد في عالم النور، ثم أرجعته السماء إلى عالم الأرض. تواجد في عالم النور صعودا من عالم الأرض أوادم خلق الله، وأرجعته السماء إلى عالم الأرض، مدانيا، حقا رحيما راحما، أُوتي كتابه بيمينه، علم ما قدمت نفسه وأخرت، علم ما به اتصفت، وفي أي العوالم تواجدت، ومن أي العوالم تخلصت، وبأي العوالم التصقت، مغفورا ذنبه، مقبولا فعله، مرضية ذاته، مقبولة صفاته، تماما لكلمات الله بيوتا يذكر فيها اسم كمل به الدين كلما تواجد، وتواجد به اليقين كلما بعث في مبعوث به، ونصب به المعراج، واستقامت به الطريق، وتوفر به لطالبه الرفيق. به عَرَفَ الإنسان معنى الرب له، ومعنى الإله عليه، كما عرف شرَفَ العبد لمعناه، وشرف الانتساب لمولاه.

نشأ الناس من الأرض، فنشأ معهم في ظاهره من أنفسهم، وفي باطنهم من نفسه على كمال فيه، وتجدد معهم رحمة الله في كل تجدد لهم، رفيق من رحمته لكلي معناهم بقيام معناه، آدم كل زمان، ولبنات كل بيت مرفوع أو موضوع للبنيان، ومصابيح كل ظلام للبيان والعنوان، وأوتاد كل عصر، ووجه كل ذكر، ويد كل أمر، وحوض كل ورود، وظلل الغمام تساق إلى أرض ميت فتحيي الأرض وتنبت الزرع، بستان الحياة للناس كافة، وجنة المأوى للمؤمنين بالله ورسله عامة، عرش الله المظل وكرسيه المقل، وماء الفلاة، وسفن الخلاص والنجاة، كلما تقلب بالسجود في ساجد قامت رسالة، وكلما تقلب بالوجود في موجود قامت حياة.

إن عبد الله ورسوله شهيدا لله علينا ورحمته لنا، هو لنا من الله وملائكته ورسله كل شيء منهم ظاهرا لباطن، إنسانية كاملة كلما تجمع الناس حول إنسانهم وجها مشهودا، وبيتا مقصودا لرب معبود، ولمدانٍ من الحق مستوٍ إلى الأرض من كلمة تمت لله، أرجعتها السماء من الآباء فانشقت عنها الأرض من الأمهات رسولا من أنفسهم، ملكوت الأرض، حضرة القدس بالأرض، حق الله في أرض الله، ظاهر لباطن لملكوت الملأ الأعلى، تجمع فيه عباد لله حول قبلة منهم لبيت مرفوع بهم من قديم تواجدهم، هم لبناته هو لهم مصاحب، وفيهم متواجد، ولهم معروف، وبمعناهم عندهم

موصوف، ملكوتا أعلى انشق عن بيت موضوع، هو الحق من الملكوت الأدنى هو له ظاهر لباطن، كان بذلك الحق من الله لأهل الأرض، هو لهم فيهم وبينهم وجودا، وهو لهم بينهم غيبا مقصودا، فكان لأهل السماء به أمرا جديدا في أنفسهم، وجوها له لوجه بينهم موجودا هو في الوقت نفسه غيبا منشودا، فطلبوا من الله في أنفسهم مزيدا، وبذلك طلبه الملأ الأعلى، في معانيهم تترقى، وبه تتوفى، ومنه تقوم، وإليه في الأدنى تداني، وله إلى الأعلى تعرج.

بذلك استقام في الملأ الأعلى أمره إذ في أنفسهم عرفوه، واتصفوه، وعرَّفوه، كما أنهم بجديد لأنفسهم طلبوه بمزيد منه يقوموه، وبجديد لهم يعرفهم ويُعرف عندهم يستزيدوه. وكذلك الملأ الأدنى، ما عرفه، وما قامه، وما وحده، إلا يوم تخلق بأخلاق ربه من الملأ الأعلى، فطلبه فيمن دونه قبل أن يطلبه فيمن يعلوه، ووصفه فيمن حوله قبل أن يصفه متواجدا به، ومتواجدا فيه.

بذلك استقام أمر الملأ الأعلى يوم عرفوهم في وحدانيتهم مع وجه وحدانيته بينهم. وكذلك استقام أمر الملأ الأدنى يوم عرفوه بوحدانيته وجوها له يشهدونه في وجهه الخاص الجامع لهم وجوها له. عرفوه الرسول في أنفسهم بعد أن عرفوهم القائم على كل نفس بما كسبت. آمنوه بوحدانيته في وحدانيتهم به ووحدانيتهم فيه ثم ازدادوا علما عنه، وعلموه الأكبر المنشود يوم علموهم في أنفسهم الحمد الموعود، والرسول المعروف، والوجه الموصوف، والحق المتصف. علموه القائم على كل نفس ومن ورائها محيط، ثم علموا الرسول أولى بالمؤمنين به وبربه من أنفسهم، وعلموا أن الذي فيهم مرحومين إنما هو رسول رحمته الأمين، فطلبوه في مقامه الأكبر يوم قالوا الله أكبر، وعَلموُهم منه وفيه يوم قالوا معه لا إله إلا الله فقدروا نعمة الله وآلاءه عليهم به، فشهدوه محمدا رسول الله، فلبوا نداءه وتلقوا جزاءه كفلين من رحمته، فقالوا لبيك اللهم لبيك، فرد تلبيتهم على ما علَّمهم وعَلِمَهم فقال لهم لبيك اللهم لبيك، فلباهم كما لبوه، وأجابهم كما أجابوه، وقال لهم كما قيل له من ربه لا فرق بيني وبينكم، ما أعطيته فلكم، أنا أمتي، وأمتي أنا، أمتي لي كل ما لي من ربي، وأنا لها كل ما لها من ربي وربها، فعلم الناس أنهم إن كانوا في الملأ الأعلى أو إن كانوا في الملأ الأدنى، إن كانوا في السموات وما فوقها أو كانوا في الأرض وما تحتها وما دونها، فإنما يتعارف العباد بجمعهم للعباد بفردهم عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، والذين يعرفون في الملأ الأعلى لأهله دوما حيث لا لاغيةً ولا كذابا، ولكن جزاءً حسابا، ووفاءً ومآبا.

عباد الرحمن، في الأرض ونارها أو في السماوات وجنانها، هم عباد الرحمن، وهم وجوه الإحسان، وهم حقائق الحق الديان. إذا أدرك الناس ذلك أدركوا قول الرحمن: إن كل من في السماوات، وإن كل من في الأرض، إلا آتي الرحمن، رسولا من أنفسهم، عبدا من بينهم، إليه يتعارفون، وفيه

يتواجدون، وإليه ينسبون، وجودا في الله، وتعارفا إلى الله، وانتسابا إلى الله، وقياما في الله، يوم يكشف عنهم الغطاء ويرتد بصرهم إليهم فيعلموهم، ويعلموهم أن فيهم رسول الله يوم تنالهم رحمة الرحمن الرحيم، ويوم يرجمون بإدراكهم وعقولهم مادي أوزارهم من وجودهم في جلباب أرضهم، فيرجمون الشيطان الرجيم، ويقتلون أنفسهم فيحيونها بقتلها، ويمتطونها بوصفها مطايا معانيهم ظهرا يركبون، به في الطريق يسيرون، وأشواطا يقطعون، وقائم الحق عليهم يقومون، ولمعانيهم من الحق له يعبِّدون، فهو مُلكهم يوم يملكون، وأنفسهم به يطورون، فبربهم وقد صاروا وجوها له بوصف الرب والعبد يسعدون، وإلى عليين بيوتا يذكر فيها اسمه يتصاعدون، ثم بعلياء معانيهم إلى الأرض رسلا يرجعون، وبيوتا يذكر فيها اسمه يوضعون، وبما علموا ينبئون، فكتبهم بأيديهم بين الناس يقرأون وينشرون، وهم برحمة الله يعلمون ويعملون، ففردوس أنفسهم يتواجدون، يجزون الغرفة بما كانوا يصبرون، ويقودون القطيع من بهيمة الأنعام إلى ساحة الحياة، وأحواض الحياة لدواب الأرض يوردون، كما وردوا وأوردوا في سبق قديم له يتذكرون، لا يمنون، ولا يستعلون، وعلى أنفسهم وذواتهم وجودا ينكرون، وإلى ربهم مسحاء ينسبون، وكلمات لله يدعون، فإذا ظهروا ظهورا عبادا له يذكرون، وأمورا منه يقومون، ووجوها له يعرفون.

بهذا جاء محمد، وكم به من قبل جاء، وبهذا جاء محمد، وكم من بعده في القوم جاء، فهل عرفه الناس وجعلوا منه لأنفسهم من عذاب الله الوجاء؟ به جاء الحق كلما جاء الحق، وبه زهق الباطل كلما أزهق في الناس باطل، وبه رُحم الناس كلما رُحم الناس، وعلى صخرته آمن الناس كلما آمن الناس، وله كفر الناس كلما به كفر الناس.

عبد الله.. رسول الله.. وجه الله.. حوض الله.. حق الله.. بحر الحياة.. طريق النجاة.. هذا من عرفناه رسول الله، وذكرناه محمد الله، واتصفناه عبد الله، وحييناه وحيياناه نور الله، وتابعناه روح الله، ونتبعنا أثره سبيل الله، وشهدناه في لا إله إلا الله، وفي محمد رسول الله.

اللهم يا من بمحمد أحييتنا أتمم لنا نورنا، وأتمم لنا حياتنا، وأتمم لنا خلاصنا، وأتمم لنا رحمتنا، وأتمم لنا معرفتنا، وأتمم لنا حكمتنا.

اللهم يا من أرسلت محمدا في العالمين رحمة للعالمين، اللهم قلبنا إليه ساجدين، وأوصلنا به عابدين، وحققنا به ذاكرين، وقومنا به راجعين يا أرحم الراحمين، اللهم خذ بنواصينا به إلى الخير، قوم به جوارحنا، وزكي به نفوسنا، وحرر به عقولنا، وأعتق به رقابنا من النار، واحملنا على سفين ركبه، وعلى جناح رحمته، واجعل اللهم به خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقائك، وولِ به اللهم أمورنا خيارنا، ولا تولِ بغفلتنا عنه أمورنا شرارنا، وعاملنا به بعفوك ورحمتك، وأقلنا به من عدلك وغضبتك.

اللهم أنزل سكينتك منه على قلوبنا، والسلم به والسلام على أرضنا، وبه ارحمنا، وبه تولَنا، وعنه أرضنا، وعنا فارضه، وكن به لنا رضوانا منك أكبر، منا عليه، ومنك إليه، ومنه علينا. لا إله إلا الله لا شريك له محمد رسول الله عبده، وأمة عباده، واحد لا تعدد له.

أضواء على الطريق

(ولو أننا نتوقف فترة قصيرة عن الحديث إلا أننا سنكون معكم صامتين، ومنكم قريبين، لنعطيكم الإلهام والقوة والإرشاد الذي في مقدورنا، إذا ما دخلت نفوسكم في ذاتها، وتركتم خلفكم الذبذبات غير المتوافقة من العالم المادي. ونفوسكم هي منازلكم الحقيقية التي لا تدخلونها في الواقع وللأسف إلا لفترات قصيرة فيها نلتقي لنتذوق سويا بعض المباهج التي ستصبح في يوم ما تجربتكم الدائمة.

أترككم الآن بقلب مثقل قليلا وبعقل يداعبه الرجاء. سوف أذهب لإنعاش نفسي من ينبوع كل الطاقة الروحية ولأحصل على إلهام جديد من علٍ، حتى إذا امتلأت بالقوة الحيوية عدت لأكون أقدر على الخدمة، وآتي بمزيد لكم من فيض الروح الأعظم اللانهائي. إني آخذ معي كل حب قلوبكم، وكل رغباتكم الصالحة التي أعرفها. تذرعوا دائما بالأمل والشجاعة ففي أحلك الليالي ما زال ينشق طريق لبهاء الفجر الذي يبشر بالشمس المشرقة.

وليباركم الروح الأعظم وينعم عليكم بالشآبيب الغزيرة من حبه اللانهائي، ولتشع روحه خلال كل أرواحكم، ولتشرق منتصرة في حياتكم التي تحيون. إني أترك ظلام عالمكم وأحيا ضوء الملأ الأعلى).

من هدي السيد (سلفربرش)

(١٦)

ال لا هو
من أنا من أنت من هو

حديث الجمعة

٤ ذو القعدة ١٣٨٢ هـ - ٢٩ مارس ١٩٦٣ م

أنا، أنت، هو.

أنا من أنا، أنت من أنت، هو من هو.

أنا، أنت، ال لا هو. أنت، أنا، ال لا هو.

فأنت لأنا ال هو، وأنا لأنت ال هو يوم تكون أنت أنا وأنا أنت في ال لا هو.

إذن هو، ال لا هو، وال لا هو، هو ال هو. الظاهر مرآة الباطن، والظاهر والباطن ال لا هو.

ينشد الإنسان من الأزل الفهم في حقيقته، ويطرق إلى هذه الغاية كل سبيل، فتستقيم معه الطريق فترة ما، وتتعثر قدمه في أوحال الطريق فترة ما. يسير في الطريق ميسرة ممهدة مسافة ما، مع عامل ما، ثم يراها غير ممهدة كثيرة القلاقل والمرتفعات والمنخفضات والأوحال مسافة ما، يوم يسير منفردا وبلا دليل ولكنه بهمته وبصفائه وبصدق رغبته لا يعوقه شيء مما يرى من هذه العقبات عن مواصلة المسير في طريقه إلى غايته، سواء بمصادقة الدليل من عالمه أو من عالم غير منظور له، حتى إذا ما سلست معه واجتاز هذه العقبات ظن أنه وصل إلى الغاية، وأن الطريق ستبقى على ما يرى من يسر، فيضاعف الهمة، ويتعجل الخطى، فإذا به يرى في الطريق مرحلة أخرى شبيهة بما سبق أن رأى واجتاز. {أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون}[1]، فيعاود الكرة، ويعقد العزيمة، ويواصل المسير. إن الطريق إلى الحقيقة في الواقع تبدأ من واقع النفس، وواقع النفس متجدد متطور، ولكنها تبدو أنها تبدأ من الغير، ولكن الذي يصح أن يقال إنها تبدأ بالوعي عنها من الغير، أو من العامل فيها سواء كان هذا العامل من الشهادة، أو من عالم ال لا هو، أو من الغيب أو عالم ال هو.

إذا انعكس الإنسان إلى نفسه، وبدأ في التأمل فيها والتحليل لها وصدق في طلبه، وبذل من همته صافي القلب، يقظ العقل، زكي النفس، تكشف له في نفسه أن الهو، ليس غير أناه القائم على إنائه، وأن ما يطلب من معرفة عن الحقيقة لحياته، وللوجود من حوله، ليس أمرا مباعدا بنفسه عن عين معناه، في أعماق نفسه وكبير نفسه من حوله، فإذا تكشف له الدثار أو الغطاء عن نفسه لرأى نفسه في حقيقتها منعكسة على كل ما يرى ويسمع ويلمس ويشم ويعقل، ورأي أنها وجها لمن ينشد وأنها ما كان ينشد، {فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد}[٢]، {ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير}[٣]. إن الذي تطلب النفس ويتوق إلى معرفته العقل قائم على كل نفس، وأقرب إلى كل نفس من حبل الوريد، فلا يطلبه عقلك بعيدا عن نفسك، فإذا رأى الطالب نفسه عين مطلوبه، ووقف عند هذا الحد، كان هذا عثرة من عثرات الطريق، وبدأت متاعبها، لأنه بهذا النظر يفرض نفسه على الآخرين، ويحاول فرض سلطانه بجديد وعيه، ويحاول بسط أمره عليهم بفعله، فيصطدم مع الآخرين، وبذلك يعتدي على شجرة الجنس المقدسة لأنه فاته أمر بسيط لا يستعصي على العاقل، ولا يبتعد إدراكه عن المتأمل، إن هذا الذي رأى في نفسه لنفسه، يستطيع كل من حوله أن يصل إليه.. لا.. بل الكل فيه، تكشف له أو لم يتكشف، وأنه لا بد يوما هو له متكشف.

فلو أنه أدرك ذلك عقب كشف أمره له في نفسه، يوم قال مدركا مؤمنا (أنا هو) وأنا.. ال لا هو وهو ال هو، وقدر وأدرك ذلك لمن حوله فتخلص من وهم انفراده بما تكشف له، وباعد بينه وبين أن يعلن أنه، هو، أو أنه ال لا هُو، بل حرص على أن يكون لمن حوله ما هو له، وأحب لإنسانيته ممن حوله أن يتكشف لها ما تكشف له، فقال لكل من يحب، ولكل من يعول، (أنت هُو، أنت ال لا هو)، فإن صدق في تعليمه بما علم، وإيقاظه بما به استيقظ، وهديه بما به هُدي فاهتدى رائيا الله هاديا به، لاهتدى به مهتدي بتيسير الله فقال له المهتدي به (وأنت يا سيدي هُو، وأنت يا سيدي ال لا هو) فتواصيا بالحق، وعرفا أن (أنا وأنت)، إنما هما ال لا هو وأنهما ظاهر ال هُو فأدركا، وقد قاما وانتشرا أمة من ال لا هو، أن المؤمن مرآة المؤمن، فأصبحا وجهين لله ناضرين بالله وجوها ناضرة لربها ناظرة. تنظر الله في كل ما تراه، وتواصوا (أنا، نعم هو، وأنت نعم هو، وأنا وأنت واحد في الهو)، بنا هذا الواحد ونحن به تعارف لنا وإلينا ال لا هو، فدخلنا في حصن (لا إلى هو إلا ال لا هو)، وطلبنا الأكبر، من الهو ل ال لا هو، لأنا عرفنا أن كل هو ل ال لا هو، وراءه هو، وال لا هو، وأن أنا وأنت ما نحن إلا هذا الهو وذاك ال ال لا هو في معارج الحقيقة المطلقة اللانهائية. فإذا ارتد إلينا بصرنا في بصيرتنا، فرأينانا ما حولنا، وتراءينا هُو، وال لا هو في معراج للهو ول ال لا هو طلبنا الأكبر لمعنانا فقلنا: وإن كنا هو، إلا أن لنا هُو، وإن كنا ال لا هو، فإن لنا أكبر من ال لا هو، فعرفنا الله ذي المعارج في معراج أنفسنا، وعرفناه منعما معطيا، وعطاؤه غير

مجذوذ، وعرفنانا في عقيدتنا عنا بأنا لا نهاية لتواجدنا بوصف الخلق، ولا نهاية لتجددنا من تواجدنا بوصف الخلق، إلى تواجد فيه يوما بوصف الحق نظهره، كشفناه في أنفسنا لأنفسنا يوم نظهر بحقي أنفسنا لخلقي أنفسنا، وبذلك قدرنا الله حق قدره، وقدرنا أنفسنا فيمن قدرناه مثالا مرضيا لأنفسنا حق قدره، نفوسا فيه ضعيفة صغيرة بعزلتها وقطيعتها، ولكنها به في ذاتها عظيمة كبيرة في صلتها وصلاتها ووصلتها، وجوها له بجلالها وبهجتها هو لنا وجه الكبير المتعال ربا لنا.

فإذا شغلتنا أنفسنا، بمعناها، من معناه، صدقنا أن لا إله إلا الله وشهدنا لا إله إلا الله. فإذا أحببناه رسوله الذي هدانا لهذا، قلنا له وقد أدركانا (أنت عين معنانا، وأنت سيدنا ومولانا، وأنت هُو لنا، وأنت ال لا هو عندنا).. فرد تحيتنا بخير منها، وقال (من كان مني وقد عرف، فسأكون منه وقد شرف، ولهذا يوما سيعرف)، فإذا عرفناه لنا ومنا الهو وال لا هو، أكبرنا الله عنا، إليه ربا لنا منه لعباد له منا. فلما قال لنا أنا منكم ما رأيتم أنكم مني، وحقق لنا ذلك منا به، أكبرنا الله علينا وعليه، فقلنا يا رسول الله.. إنا معك رفاق، أنت لنا الرفيق الأعلى، أنت لنا الهو، وال لا هو، والله أكبر في تعاليه، والله أكبر في تدانيه، لا تفارقنا في معراجنا تعاليا وتدانيا، ولا تدعنا نفارقك في معراجك تعاليا وتدانيا، أنت لنا وجه ربك، فاجعل منا بك وجوها له هي وجوه لك انتشارا لحقه بك.

بذلك عرفنانا عندما أنا بالله بدأنانا، مدركين أن الله هو الحياة في معنانا، وأن الله برسوله نحن منه، هو منه مولانا، وأن الله بعد ذلك لنا هو منا، وفوق ذلك لنا نحن منه، فعرفنا الله في الأكبر لنا منا، وعرفنا الله في أنفسنا بالأكبر فيما أبدع لنفسه منا، وعرفنا الله في أنفسنا إكبارا وتقديرا معجزا لنا يوم عرفناه الأكبر مما صنع منا ومن خلالنا بعثا منا لما كان قبلنا وفوقنا...

عرفنا أن ابن آدم شُرف بأبيه يوم اجتمع عليه، وشُرف برب أبيه يوم هو لمعنى أبيه مصطفيه، خلق فسوى ثم أقرأه كتاب نفسه يوم بعث منه أباه مرة أخرى أباه الذي أكبر وقدر، ولم تفارقه صفة الإكبار له كلمة لله منه أو كلمة لله عليه فعرفه دون أبيه قديما وقادما، ما رآه لله عبدا ورأى في كلمته له ربا، فإذا تواصل البعث منه لأبٍ لأبيه فتواجد منه فصار هو أبا لأبيه وأبوته فعرف أن الله فيه، وأن الله في أبيه، وآبائه كلمات له يداول الأيام بينها بوظائف لها، ويعطي كلا منها وصف الآخر، فيكون الولد مصطفىً أبا لأبيه يوم يكون الأب منه مبعوثا ابنا لبنيه، يتجدد إنسانا في سرمدي معناه وقائم شجرة إنسانه لفردوس ذاته وحق حقيقته، لا بدء للإنسان في الله، ولا انتهاء للإنسان في الله، خلقا أو حقا. وبذلك كان السعيد من عرف الله في قيام الحياة بمعناها في معناه فكان للأكبر لمعناه، قبلا أو بعدا، عبدا ومولى لا تفارقه صفة العبد له، فحرص على وصف العبد لنفسه لا يفارقه، يوم عرف أن العبد حق كما أن الرب حق، وأن العبد رب كما أن الرب عبد، وأن الغيب حق غاب عن شهوده

ولم يغب عن وجوده، وأن الظاهر مرآة الباطن حقيقة، وقياما وحسا، فعرف أن الدين واقع الوجود، وهو في واقع الحياة وأحداث الحياة ونظم وقوانين الحياة على ما هو واقع الحياة، وعرف أن محمدا جاء بدين الفطرة حقا، وأن من تابعه كان في دين القيمة ممن جعل الله منهم مصابيح للطريق، وسفنا للنجاة، عبادا للرحمن يمشون على الأرض هونا، لا يستكبرون، وللطغيان بنفوسهم زكية لا يستشرفون، ولها بالكبرياء لا يرضون، وعن الطغاة يبتعدون، ودولتهم لأنفسهم يحذرون، وعلى أنفسهم بالحياة وعن أن تهلك بشهوات الدنيا يحرصون، والنار وقد حفت بالشهوات يحذرون، لا يأبهون لما يعترض طريقهم من عقبات لأن الجنة حفت بالمكاره...

والجنة عندهم هي الصلاة، والصلاة عندهم هي الصلة، والصلة عندهم هي كشف القناع عن أنفسهم، وجهنم عندهم هي احتجابهم عن المحبوب، عن المنشود، عن المطلوب، عن المعروف، عن الموجود، عن الحي القيوم، في قيام الحياة بذواتهم وبأنفسهم. جهنم عندهم هي احتجابهم عن أنفسهم بالحياة للحي بهم.

هذه هي الطريق، وهذا هو المسلك إليها والسلوك فيها، وهذا هو الإيمان بها، والإيمان بها هو الدين، والبحث عنها هو المجاهدة، والسير فيها هو الجهاد الأكبر، وهذا هو فقه طلبها، وضرورة المجاهدة للسير إليها، وطرق أبوابها، ما عرفنا أننا في دين الإسلام، في دين الفطرة، في دين الصلة، في دين القيام بالله، يوم نقول قامت الصلاة، فإذا ما قامت الصلاة في قيام الإنسان بالله، قامت متصلة غير منقطعة، دائمة غير موقوتة {واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين}[٤].

أما صلاة المواعين، صلاة المرائين، صلاة المكذبين، صلاة القوالب من الطين، فويل للمصلين الذين لا يزدادون بصلاتهم من الله إلا بعدا، إذ هم يراءُون، إذ يتلون الكتاب وهم لا يعقلون، ولا ما به يعملون ليكونوا بحب عباد الرحمن ومتابعتهم ربانيين، ينسون أنفسهم والناس يذكِّرون، وعلى الله باسم الله يستعلون، أنبياء كذبة يقومون، وخطباء فسقة يحشرون، وفقهاء ضللة يسمون، إلا من تاب فرحم، وقليل ما هم.

هذا هو الحق من ربكم بقسط الحياة فيكم، رفعكم فوق بعض درجات في الدنيا والآخرة، قائما على أنفسكم بنفس في وحدانيته لا يفارقكم، ولو فارقكم لفارقتكم الحياة، فهو الحياة، وهو أنانيتكم بالحياة، فلا تغيبوا الله عن معانيكم، ولا تطلبوه بعيدا عن أوانيكم، واذكروا الله كثيرا يذكركم، واسترحموه يرحمكم، وهو التواب الرحيم.

اللهم أنا في أنفسنا طلبناك على ما أمرتنا، وأكبرنا رسولك على ما هديتنا، فعرفنانا به منك نقوم مؤمنين، وعرفناك به علينا تقوم به مرحومين، فجددتنا به برحمتك وجددته منا بكرمك في نظام فطرتك، فعرفناك به لنا الأكبر والأكبر من قبلنا، والأكبر والأكبر من بعدنا، والأكبر والأكبر من فوقنا، فعبَّدنا أنفسنا لك على دوام موحدين، ودخلنا بك في الحصن الأمين، في حصن لا إله إلا الله بك مغفورين، ودخلنا في الله أكبر، برسولك مرحومين، فقمنا في وحدانيتك عارفين غير منكرين، ولعظمتك ذاكرين، ولرحمتك شاكرين، وبحقي عبوديتك قائمين، وللرفيق الأعلى متابعين، ومزيدا من الحقائق طالبين، ولتجديد أثوابنا بالعبودية عاملين غير وانين، لنورك بك ناشرين، بك نقوم ونتقلب في الساجدين، لك ذاكرين وبك شاكرين. اللهم أحينا لك مساكين، وابعثنا فيك مساكين، واحشرنا إليك في زمرة المساكين.

اللهم لا تحرمنا دوام معاني العبد لك عارفين، دراكين، مقدرين، مكبرين، داعين عاملين، يقظين موقظين، مغمورين برحمتك يا أرحم الراحمين.

وولِ اللهم أمورنا خيارنا، في الدنيا والدين، في الأولى والآخرة، واليقين، ولا تولِ أمورنا شرارنا، ردًّا لأعمالنا علينا، وجزاءً وفاقا بما كسبنا، اللهم عاملنا برحمتك مقبولين، وبعفوك مغفورين، وعافنا من عدلك مكرَمين، مصطفين.

واجعل اللهم وسيلتنا إليك عبدك ورسولك، من جعلته في خدمة الأولين والآخرين، لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.. فلا تزغ قلوبنا عن الطريق المستقيم، ولا تردنا إلى الضالين الغاوين برحمتك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

أضواء على الطريق

(أريدكم أن تعلموا جميعا أنني أشعر بدَيني للروح الأعظم كلما مضت السنون واستوثقت بيننا أواصر الحب الأخوي، إذ أعطاني شرف خدمتكم وساعدني على كسب مودة قلوب المحبين الذين يعرفوني، لا كما أكون، وإنما يستمعون إليَّ وأنا أحدثهم في كل أسبوع، هؤلاء الذين يحترمونني لأنهم يعتقدون ويثقون فيّ.

إني فخور بحبكم وثقتكم. أجاهد دائما لكي لا أقول شيئا أو أعمل شيئا قد يفسد بأي حال مودتكم العظيمة لي التي أعرف أنها تنبع من قلوبكم.

إني أبتهج لأن أعمالكم قد جاءت بثمر كثير. إني أبتهج لأن كثيرين جدا قد وجدوا ضوء الحق بناء على العمل القليل الذي أنجزناه. إني أُسر لأن الجهل قد غُلب على أمره، واضطرت الخرافة للاندحار. إني

أُسر إذ أصبحت لكم قلوب قوية في المعركة العظيمة التي راهنا عليها دائما، ولأنكم لم تفشلوا. وقد أصبحتم في وضع الاحترام عند من تفتحت آذانهم لسماعكم، وآمل أن أتمكن بمساعدتكم من نشر الرسالة وأداء عمل الذين أرسلوني. لقد لعبتم دوركم في ولاء، ولم تخونوا الأمانة العظيمة التي ألقيت عليكم. إنا نسير للنصر قدما. إني أُسر لخدمتكم فإني أرى بعين التواضع نجاح مهمتي معكوسا في أعمالكم).

من هدي السيد (سلفربرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة العنكبوت - ٢
٢ سورة ق - ٢٢
٣ سورة الملك - ٤
٤ سورة الأعراف - ٢٠٥

(١٧)

الإسلام
دين ودولة
دين إنسان الفطرة ودولة إنسان الوجود

حديث الجمعة
١١ ذو القعدة ١٣٨٢ هـ - ٥ أبريل ١٩٦٣ م

أعوذ برب الناس، الرحمن الرحيم، وأستعينه على قيام الصراط المستقيم، وأشهد أن لا إله إلا الله، أعطى كل شيء خلقه وكل نفس هداها، وأجابها إلى طريق ابتلائها أو طريق تقواها. وأشهد أن محمدا رسول الله، رحمة الله وهداه، وقدوته لمن ارتضاه، ورضوانه الأكبر لمن اصطفاه، رضوان العبد والرب والإله.

عباد الله.. اتقوا الله، واعلموا أن الإسلام، كما عرفه معروف رسوله إليكم ومؤسسه لديكم، ومظهره بينكم حقا من ربكم، إنما هو دين إنسان الفطرة. تواجد قرين تواجد الناس في الوجود، عقائد ومناسك في حدود طاقتهم لتصوير الأمور للعقل، وفي حدود إدراكهم لافتقارهم للأمر، وتطور مع نشأتهم، كلما تقدموا في النمو العقلي، وكلما مكنوا من التدبير النفسي، وكلما نمت فيهم الطاقة، وكلما قام فيهم شيء من الحكمة تكشفت لهم عن أنفسهم من الله غلالة، وترددت بينهم عن الله مقالة، فاستقاموا، فذهبت من أحوالهم بجهدهم ظلمة وضلالة، وهكذا بين ارتداد لظلام وبين تخلص منه، وبين استمداد لنور الحياة نورا على نور، وبين تقلص له بين ليلهم ونهارهم في تخلفهم وتقدمهم قرونا بعد قرون، ما زالوا ولن يزالوا تقطعهم لا يقطعونها، وتقومهم لا يقومونها. فالإسلام يوم عرفه أهله دينا ودولة عرفوه دينا حرفوه، وعرفوه دولة ابتدعوها. فالإسلام دين، هو الخلق القويم وهو الطريق المستقيم، وهو أمر الله المقيم في نفس وما سواها على ما ألهمها من فجورها وتقواها. وهو دولة، هو الدولة الأزلية القائمة كما هو الرسالة الأبدية الدائمة، هو دولة الحق للوجود، هو قانون الحياة في الوجود، هو قانون الرحمة للمؤمنين، وقانون العدل للظالمين، هو دولة الله، {وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون}[١]. هو حزب السلطان والحكم في الكون لله ورسوله والمؤمنين، شعبهم العاصون

والغافلون، والمبتدئون والساهون، والضالون والمضلون، والجريئون والمتقون، والصالحون والمصلحون والمفسدون. إنها دولة لا يفلت من حكم القانون سكانها، ولا يغرب عن مكان سلطانها، مشرق في أزل الآزال، وقائم في دائم القيام، ومسفر في أبد الوجود وقوانينه عنوانها، يقومها الله ورسوله وملؤه من المؤمنين، ويظهرها بأمر الله الرسول، والشهداء والصديقون، ظاهرا لباطن علما عليه ورسوله وملئه. الله قائمها، والرسول في الحق شهيدها، والرسول في الناس مشهودها، والله المُشاهَد والمشاهِد فيها، والناس به في الحياة والقيام في النجاة والسلام، وبالغفلة عنه في المجانبة والشرك والخصام. الله، ورسول الله، وعباد الله، يتناجون في الله، ويتناجون في الحقيقة. الحقيقة جامعهم وجماعهم. إن العَلَمَ على الله للإنسان هو الإنسان، والمعلوم عند الإنسان من الله إنما هو الإنسان، والعالم عن الله الطالب للمعرفة عنه من الناس هو الإنسان، فالإنسان لله عنوان في رسالته، بألوهيته وربوبيته، وحق عبوديته. الإنسان إله يوم يخدم الإنسان إنسانًا هو مجهول عليه وغيبٌ عنه، ورب يوم يمثل رحمة الله ونظرته لمن دونه من الإنسان معروفا عنده. وهو عبد يوم ينظر لما يعلوه من الإنسان ربا وإلها له...

والإنسان يوم يحمل من الإنسان ظاهر ربه به إلى الإنسان معلوم ربه عنده فهو رسول الله، وهذه أشرف وأعرف وأقوم زاوية من زوايا الإنسان، وصفة من صفاته.

إذا عرف الإنسان أنه لا بدء للإنسان في وجود الله، كما علم رسول الله، لو ظللت تسألني إلى ما شاء الله لقلت آدم، (قبل آدم مائة ألف آدم)[٢]، فالإنسان إذا نظر إلى الماضي، لا بداية لخلقه، ولا بداية لوجوده، ولا بداية لتواجده، ولا بداية لأطواره، ولا بداية لتطوره، ومن كان لا بداية له، فلا نهاية له. فالإنسان لا نهاية لتجدداته، ولا نهاية لبداياته، ولا نهاية لتواجداته، إن يشأ يذهبكم ويأتي بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز، هو الذي بدأكم، هو الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالا ونساءً كثيرون. من قتل نفسا مؤمنة بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعا. وإذ أخذنا من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدتهم على أنفسهم، يُشهد الآباء الأبناء بالحق، ويُشهد الأبناء الآباء بالحق، فأشهد الأبناء بما فيهم من الخلق للآباء بما فيهم من الحق، كما أشهد الآباء بما فيهم من الخلق للأبناء بما فيهم من الحق، فتداولت الأيام بينهم، فأصبح الأبناء آباءً وأربابا للآباء يوما بما قام بهم من الحق فاقرة إليه قلوب الآباء، وأصبح الآباء أربابا للأبناء يوما بما قام بهم من الحق فاقرة إليه قلوب الأبناء. فالأمر الذي يعني كل إنسان بشري أن يبدأ بخلقيته معاني حقيته ما تواجد بوصف البشر على أرض البدء من هذا الكوكب. وعلى هذا قامت جميع الأديان، وعليه بنيت كل حكمة، وفيه استقامت كل طريق لهدي. فالآباء في أزلية الخلق بينهم من توفى إلى أحسن تقويم

وأمسكته بتمامه يد الله عن البعث، ولم تمسكه عن تجديده لنفسه بجديد بدء بآدم على صورة بدئه، والأبناء في قادم من قائم يبعث بهم من لم يتوفَ من الآباء حتى تمام توفي إلى أحسن تقويم تمسكه يد الله عن مواصلة بعثه وإن لم تمسكه عن تجديد بدئه.

وهذا ما كشف عنه رسول الله أبا وولدا يوم قال: من كان مني ورآني في معاني الأب والأصل له، كنت منه يوما، فرآني في معاني الابن له. من رأى فيَّ معاني الحق عليه يقوم سأشهد فيه يوما معاني الحق فيه، عليّ يقوم ومنه يقام. أنا سيد ولد آدم ولا فخر، فهذا هو الحق ولا يفرقني عنه سابق من أب، وأنا مع أبي على ما أنا معكم يوم تكونون معي على ما أنا معه. آدم أبو روحانيتي وابن جسمانيتي، وما أعطيته فلأمتي، إذا كنتم اليوم أبناء لآباء فيهم تشهدون حقا فتتحققون فالآباء من خلالكم على الأرض يوما يتواجدون، وأنتم في السماء مكانهم تحتلون يوم تتصاعدون، وإلى الأرض لا تتثاقلون، وقبلة الدعاء لهم تكونون، وإليكم أيديهم بالدعاء يرفعون ويتضرعون، على ما أنتم اليوم تفعلون وإلى الملأ الأعلى لكم تتجهون، فإن ربًّا لكم غير أصولكم أو فروعكم لن يكون، فالأيام يداولها بينكم القانون فيوما تعلون ويوما تخفضون. لا الانخفاض مضيع مكانتكم من الله ولا الارتفاع مخرجكم من وصف الإنسان في الله والعبد له. فالإنسان في أحسن تقويم، والإنسان في أسفل سافلين هو الإنسان. وهذا ما عناه رسول الله يوم قال: لو ألقينا بحبل على الأرض السفلى لوقع على الله، ولو قذف أحدكم بحجر فوق السموات لتلقفته يد الله. فمن يكون فيما تكونون؟ أغيره كائن أو يكون؟ وما تشاؤون إلا أن يشاء الله، والله خلقكم وما تعملون، فما عملكم إلا عمل الله، وما خلقتم ما خلقتم وإن تشابه الخلق عليكم إلا بقدرة خالقكم وهو الله. فإذا تدبرتم أمركم فيه لعرفتم أن الإسلام دينا لكم يوم تدينوه دين رحمة وسلام.. دين سكينة وقيام.. دين فعل واستسلام.. دين حق في حاضر قيام وفي كل قيام.. دين القيمة.. دين العزة يوم تكون العزة لله.. دين السلام يوم يسالم الناس بعضهم بعضا سلاما مع الله.. دين السكينة يوم تسكن العقول والنفوس بآلاء الله.. دين الحياة فلا ترى شيئا فوق الله، ولا ترى وجودا دون الله، ولا ترى موجودا غير الله.. دين الفناء في الله والبقاء بالله، والتحرر من سلطان مادة الدنيا بالافتقار إلى الله. أهله يملكون الدنيا، لا يأبهون لها، يبذلونها ظاهرا وباطنا يستجلبون بها نفوسا إلى الله، ويستقيمون الدين، لا يأبهون لأنفسهم وما تعطي وما تملك، بل يرون الأمر كله لله، والأمر كله من الله، يشهدون لا إله إلا الله، ويقومون لا إله إلا الله، ويعرجون لا إله إلا الله، ويشهدون الله أكبر، ويقومون الله أكبر. العبد والرب حقان في الله، ووجهان لله، هما للإنسان في الله...

يعلمون أنهم لله ورسوله كلمات هم منهم للناس آيات، وأن الناس لديهم منهم لهم كلمات، والناس لديهم منهم لهم آيات، فيعلمون ويعلِّمون ويتعلمون في دوام، فيعلمون أنهم في بيت ربهم ورسوله

والمؤمنين يقيمون، دارا عرضها السموات والأرض، فيها يسبحون ومنها يوما يسرحون، هم في نهارها من اليوم يتجولون، وفي ليلها يسكنون، وبالله ورسوله، لعقولهم وقلوبهم، في حياتهم ومضاعفة الحياة لهم يعيشون، وبهم يعرجون، ومنها بهم يوما يتطلعون، وبهم في دوام رسلا يدانون. قلوبهم بيوت قدس عقولهم، وعقولهم نور قدس وجودهم، الله موجودهم، وبيته قلوبهم، ورسوله نور عقولهم، ومعراج رقيهم، وفيه صحو ضمائرهم، لا يغيبون الله عن حياة من حيواتهم، ولا يغيبون الله عن شهود، ولا يغيبون الله عن قيام. هو قيامهم وقيام من حولهم. هو كل شيء لهم. وهم ضئيل الشيء فيه وإن اتسعت قلوبهم للسموات والأرض، وهو المالك لكل شيء، فيه لا يخرج عن ملكيته، ولا يعزب عن علمه، ولا يبتعد عن معانيه. عظمته ظاهرة في كل مثقال حبة من خردل في السموات أو في الأرض...

يسعد به المؤمنون به وبرسوله بقيامه على أنفسهم. يستغفرونه حاضرا إن أساؤوا فيغفر لهم وينجيهم من الغم والقلق والحيرة، ويشكرونه موفِّقا إن أحسنوا فيجزيهم جنة الدنيا يقومونها، وجنة الآخرة يشهدونها، يناجونه بين الجوانح فيلبيهم بحكمته، ويستعينونه في استقامة الجوارح فيقومَهم برحمته، ويصدقونه أقرب إليهم من حبل الوريد فيمنحهم دوام الحياة به، ويسألونه كشف الغطاء ليشهدوا السعادة وتحقيق الرجاء فيكشف للناس عنهم، ويشرق بهم شموس الدلالة عليه...

مسحاءه يطلبون، ومسحاءه يؤمنون، وكلماته يسمعون ويقرأون، وأوادمه الناس أجمعين يقومون يوم يستقيمون، ويوم أغلفتهم عن حق معانيهم يُسقطون، أوراق خريف يخلعون، لشجرة حياة بها يقومون، وهذا هو فطري الدين يبلغون، وباستقامتهم عليه في دولة الحق يجندون، وفي دار الحق هم المواطنون، وعلى الغافلين في عوالم الوجود برحمة هم الأعلون، وبحنان هم السائدون، وبعلم وباستقامة هم السائقون. دواب الأرض وبهائم الأنعام رسلا يدانون، ومن أنفسهم يبعثون، وفي صورهم يظهرون، فالحراف الضالة بعيدا عن طريق الذئاب العاتية والآساد الطاغية يقودون، وطريق النجاة بهم يسلكون. أمة يدعون، وفردا يتواجدون. إن إبراهيم كان أمة على ما تعلمون، والله يدعو كل أناس بإمامهم على ما تقومون، طُغاة كانوا أو هداة يكونون. فرعون يقدم قومه يوم القيامة، كما أنكم مع كل طاغ تبلسون. المرء على دين خليله فلينظر أيكم من يخالل، والمؤمن مرآة المؤمن، فابحث لك عن مرآة لك من حاضرك، من مجتمعك، من بشريتك، من عصرك، اسأل به خبيرا، اتبع عظته، قم معه لله مثنى، تعلم منه ومعه الإيثار على نفسك، تعلم الغيرية مع أخيك، ومن لنفسه يرتضيك، ولنفسك ارتضيت. صاحبه، لا لتكون أنت أنت، وهو هو، ولكن صاحبه لتكون أنت هو، وهو أنت، يوم تكونا واحدا لا تعدد له، فتعرفون أن الإنسان المحدث في جمعه على صورة الإنسان القديم في اجتماعه،

فتعرفون عن الله مع الإنسان بالإنسان في أزلي الإنسان، وتعرفون عن الله مع الإنسان بالإنسان في أبدي الإنسان، فتعلمون ما قدمت أنفسكم بآبائكم، وما أخرت أنفسكم لأبنائكم، فتقومون القديم إلى ما تعلمون من الحق، يصلح بكم على ما صلحتم بما فيه من صلاحية لكم، وتُعدُون الجديد على ما تعلمون بالحق لينشأ صالحا بصلاحكم ما صلح لاقتدائكم بصلاحه لكم، وبذلك إلى معراج الكمال في الله تتجهون، وأحسن تقويم تنشدون، وسلم المعراج تصعدون، أو برسالة عليه تهبطون. فإن الله ما فوق معراجكم بعظمته وسعته، وهو ما تحت مهبطكم برحمته وقربه، هو يد الله من تحتكم لكم مقلة بعوالمه دونكم، ويد الله من فوقكم عليكم مظلة بعوالمه فوقكم، وأمر الله فيكم وبكم يقوم، وعليكم منكم قائم، بعوالمه بكم تتواجد والحق بها يقوم.

إن الأحداث في عالمكم تسير في خطها المرسوم، اعملوا كل ميسر لما خلق له، وإنما الأعمال في داركم بمولدكم الفطري بدءا لوجود لا يعرف أهلها ما لهم من قبل من سابقة تواجد، سواء على هذه الأرض، أو على غيرها من سيارات هذا الوجود الشمسي. كل مولود في عالمكم هذا يولد على الفطرة، لا يسأل عن سوءات قديمه، ولا يتأثر بزلات قادمه، فالله لجديده يكفل، والله لقديمه يغفر، ما استقام هو في قائمه بحاضره مع ربه، وبدأ في إقامة علاقة بينه وبين ربه قائما على كل نفس فكسب الحياة، وفاض على أصله وفرعه وعينه بالحياة.

إن فرصة الحياة.. إن لمحة الحياة في أبديها وأزليها، إنما هي لمحة الحياة في قيامكم في هذه الحياة البدئية، الفطرية، الموقوتة، الضئيلة، المحدودة المعالم، بين مولد وموت، وبين موت ومولد. هذه اللمحة الزمنية القصيرة الأمد، هذه الساعة الوقتية في سرمدي الحياة، يوم تحيا بها النفس من قلب حي هي فرصة متاحة لكل من أتيحت له، وهيئت له أسبابها بأن يغير بها قديمه، من حيث لا بيت ولا أسرة له، وأن يكتب بها جديده متخلصا من قديم تجربته، متعلقا بقائم علمه لبيت لله وأسرة حية بالله، {نون والقلم وما يسطرون}[٣]، (من صلح أصلحنا له من صلح من آبائه وأزواجه وذرياته)[٤]، {ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل}[٥].

إن عبارات الكتاب الآن عند أهله من كل أمة أصبحت رنينا لا معنى له، ونغما لا وعي له، وحروفا لا روح لها، وأوراقا وألواحا لا حياة فيها من يوم أن تركوا الكتاب الحي بإغفالهم عترة الرسول بينهم، بهم يبعث ويتكاثر. إن الله يريد أن يذهب بهذه الأمم الزائفة للكتاب والرسول أو للكتب والرسل على ما يريدون أن يتصفوا لأنفسهم، ويأتي بخلق جديد.. يأتي بنور جديد.. يأتي برسول جديد.. يأتي بأمة من الرسل في رسول.. يأتي بدين جديد هو حق كل قديم.. يأتي بكتاب جديد هو جماع كل الكتب.. يأتي بأمة جديدة.. يأتي ببشرية جديدة.. يأتي بإنسانية جديدة، يجدد بها صالح

القديم إلى كمال، ويحكم بها على الفاسد المقيم إلى زوال، يحكم بها على فاسد الناس المقيمين في هذه الحياة الأرضية، رواسب الماضي وأتربة العصور. إن الناس في جهل من أمرهم لأنهم في غفلة عن أمرهم، فمن استيقظ سلك بنفسه بعيدا عن القوارع، فإن قوارع الله قاربت بمزيد، وبأس الله وهو قائم قارب بشديد، ووطأة الله ونحن تحتها دائما، مصحوبة برحمته، توشك أن تتكشف بعدله وسطوته. ها هي السماء انشقت وأذنت لربها وحقت، وها هي الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت وأذنت لربها وحقت. ها هي الرسالة الروحية تفرض وجودها، وتقيم في الناس شهودها، وتقدم من الآيات للناس في الآفاق وفي أنفسهم ما يبين لهم معاني الحق فيهم وفي الوجود. وها هي إرهاصاتها لإجابة ندائها طوعا وكرها في حس المتأمل، بعيدة عن نظر الغافل، والله بها بالغ أمره.

إن الناس في غفلة عن هذا إلا من كشف عنه غطاؤه، فلا تكونوا من الناس على ما هم الناس في غفلتهم لا يتحركون عن ظلام أنفسهم. وإن لله في أيام دهركم لنفحات فتعرضوا لها، وها أنتم هنا متعرضون لها، وهي متكشفة لكم، فصدقوا الصادقين وقد صدقوكم، وجانبوا الغافلين مرادهم أن يستغفلوكم، ولا تكونوا من الهالكين ومرادهم أن يهلكوكم. ومن يؤمن بالله ويجعل منه حسبه، ويكفر بالطاغوت ويجعل منه خصمه، فإنه يستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، يصل الله ورسوله، ويصله الله ورسوله. نسأل الله أن يرحمنا، وأن يرحم بنا، وأن يغفر لنا، وأن يغفر بنا، وأن يهدِنا، وأن يهدي بنا، وأن تمتد يده إلينا برحمته، ونجدته، وأن يجعل منا أيدي له تمتد برحمته ونجدته. إنه على كل شيء قدير، وبذلك وبأكثر منه جدير.

اللهم يا من أرسلت رسولك في دوام رحمة لنا، وجددته في تجددنا عونا لنا، وأخفيته وأشهرته بيننا اختبارا لنا، ورحمة منك بنا، وعدلا منك فينا، اللهم عليه فاجمعنا، وبه فارحمنا. اللهم اجعلنا منه لك عبادا لك، واجعله منا لك عبادا لك، لا معبود سواك، ولا هادي إلا إياك، نشهدك فيما نشهد موجودا لا يغيب، وكبيرا لا يحاط به، وعاليا لا يعلى عليه، ومدانيا في مداناته لا يسبق. يا من أعلمتنا عنك بإعلامنا عنا يوم قلت لنا أنك القائم على كل نفس بما كسبت، وأقرب إليها من حبل الوريد ومن ورائها محيط، اللهم اجعلنا الناس بك وجوها ناضرة لربها منظورة ناظرة. اللهم أتبعنا لدين القيمة علينا منك قائما علينا بهم برحمتك وبكرمك، وبآلائك، وبهديك، وبعلمك وبكتابك وحكمتك. اللهم إنا إليك نجأر، ومن ذنوبنا نستغفر، وإليك نفتقر. أنت تعلم عنا ما لا نعلم، وما نعلم. وأنت الأعلم بنا مما نعلم، ومما لا نعلم. أنت تعرف ضعفنا ونحن نشهده ونقره. اللهم فعافنا من إقامة عدلك على ما وعدت من غلبة رحمتك، واشملنا برحمتك على ما بشرت بهديك، وقنا شر غضبتك على ما حذرت ببلاغك، وكن لنا في الصغير والكبير من شأننا، وخذ بنواصينا إلى الخير، واجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير

أيامنا يوم لقائك، وانصرنا على أنفسنا حكاما ومحكومين، وولِ اللهم أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا، برحمتك يا أرحم الراحمين.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة التوبة - ١٠٥

٢ إشارة إلى حديث شريف ذات صلة ذكره ابن العربي الحاتمي عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: "إن الله خلق مائة ألف آدم". وجاء في بحار الأنوار، من المكتبة الشيعية، عن السيد محمد الباقر: "بلى والله لقد خلق الله تبارك وتعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم."

٣ سورة القلم - ١

٤ استلهاما من {جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ.} سورة الرعد – ٢٣. و{رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُم وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.} سورة غافر - ٨

٥ سورة فاطر - ٣٧

(١٨)

أُعلُ هبل !؟
الله أعلى وأجل
الله مولانا ولا مولى لكم

حديث الجمعة

١٨ ذو القعدة ١٣٨٢ هـ - ١٢ أبريل ١٩٦٣ م

(أُعلُ هبل)[١] ... شعار تصايحت به أفواه أهله، يوم تخاذل أهل الحق عن متابعة أوامر الحق لهم بينهم، فكانت الغلبة لشعار الباطل في ظاهر الأمر، والهزيمة لشعار الحق في ظاهره كذلك، ولكن قد طوى النصر هزيمةً، كما طوت الهزيمة نصرا، وكان في ذلك للفريقين عبرة وحكمة. فأمر الحق أهله ألا ييأسوا من الحق، نصره فتصايحوا، (الله أعلى وأجل، الله مولانا ولا مولى لكم)[٢].

ودارت الأيام، وظهر ما بطن في الهزيمة من النصر، فدخلها عليهم الحق، وحل بالبلد، ووالد وما ولد. ما ظنكم أني فاعل بكم؟ فكان أن شهدوا نحن أهلكم ولأنتم في داركم، فكان العفو عند المقدرة، (اذهبوا فأنتم الطلقاء)[٣]، لم يعلُ هبل، وظهر الله أعلى وأجل، وقام عباد بمولاهم، وذهب من لا مولى لهم، لا جديد تحت الشمس، ولا جديد في الله. الأيام والليالي من خلقه، والأزمان والعصور من تدبيره وأمره، يداول الأيام بين الناس، فلا أهل الحق في حقهم مُؤبدين، ولا أهل الباطل في باطلهم مُأزلين. يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، يخرج أهل التقوى من أهل الفجور، وأهل الحياة من أهل القبور، ويخرج أهل الشقاء من أهل النقاء، لا سلطان يحكم سلطانه، ولا أمر يعلو أمره. هذا هو الدين في دولته آمن بها الإسلام وقامت بها الفطرة. له في كل شيء حكمة، وله في كل شأن آية، وله في كل أمر هداية، يَفرح أهل الباطل بباطلهم يوما، ويشقون به يوما، ويشقى أهل الحق بحقهم يوما، ويسعدون به يوما.

إن الأيام المداولة بين الناس، وإن الناس المتقلبين فيما يقلبهم فيه خالقهم لا سعادة لهم ولا وقاية من الشقاء عندهم، إلا أن يرجعوا إلى الحق ليكونوه، وأن يتخلصوا من وصف الخلق فيفارقوه، خلقهم

الخالق لنفسه، ويصطفيهم الحق لنفسه، فيسويهم يوم يسوي الله الحق الخالق بالحق المخلوق يوم يسوي المخلوق بالخالق، فيجعل منهما وجهين لله من ناظر ومنظور، أبناؤهم عين الآباء، وآباؤهم عين الأبناء. إن مثل الابن عند الله مثل أبيه، ومثل الأب عند الله مثل بنيه. ففي دورة الحياة المتصلة لا تتوقف يولد الآباء من الأبناء أحفادا بجديد لقديم، ويصعد الأحفاد إلى حيث الآباء عودا من راحل لمقيم ما بين أجساد لأرواح وأرواح لأجساد.

الإنسان فيه لا يأخذ شرف الوصف له بالإنسان منه والحق له، ما لم يتخلَ عن قيامه الخلقي بظاهره إلى قائمه في قيامه الحقي بباطنه. إن الذي ينظر بظاهره لظاهره ينشغل عن الحق فيه، وهو الأمر الواجب النظر إليه بباطنه إلى باطنه، بعين الداخل ناظرة لوجه الداخل وداخل الداخل حتى يتحرر وجه الله المغلف لحقي معناه من غلافه لخلقي مبناه، فينعكس على أغلفة الوجود مرايا له فيرى الرائي بعين الرائي الذي يرى كل شيء، ولا يعزب عن علمه شيء في السموات والأرض، يرى في مرآة الوجود وجه الله فيه يوم تتفتح عيون القلوب، وعيون العقول فيشهد العقل العاقل وجه الرب المعقول منعكسا على أرض القلب الحي بيتا له، ثم يمتد نظر الناظر في مرآة الوجود ليراه وجودا له، وليرى بعيون حقه في مرايا الأشياء وجوها لله بوجه له، فيفنى القابل للفناء فيه، ويظهر ليبقى موجود البقاء له.

إن الخالق الذي يخلقه خالق، لخالق مخلوق أمر قائم بقانون دائب، من طين لازب، في نار مسعرة، من شجرة خضرة، وهو أمر دائم ثابت القيام أزليه أبديه. {أفرأيتم النار التي تورون، أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون}[٤]، {كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعُها في السماء تؤتي أكلها كل حين}[٥]، شجرة من ثمار قديم شجرة، هي من ثمار قديم شجرة، لا بدء لشجرتها، ولا انتهاء لجدتها، شجرة الخلق المعنونة في صفة السبق بالخالق، أما في الحق فلا خالق ولا خلق، إنما هو الحق فيهما ولهما، يوم نعرف القانون الدائب، والدورة الخالدة للحياة الأزلية، ومشروعها الأبدي للحياة، وتجديدها للتعارف من الأزلي إلى الأبدي بقيام معناه، أزليا في أبده بجديد قديمه في دائم معناه بسرمده، أو أبديا في أزله بظهوره بعينه في قائم معناه بأبده لأزله.

إن الإنسان قديم أزلي بخلقه وحقه، وجديد أبدي بحقه وخلقه. إذا عرف الإنسان أمره في أمر مرشده من الإنسان مع رائد من نفسه من الإنسان، فطلب لنفسه وخلقه شرف الإنسان وشرف حقه، فسلك به الطريق إلى قلبه، يومئذ اجتمع العبد على ربه، مع رسول ربه، في أمر نفسه، وتكشف له أمر نفسه بحقه وخلقه في دائم أمره من لحاقه وسبقه في قائمه.

إن الروح المرشد لمسترشديه، ولراشديه من القائمين فيه، إنما هو الحق الأحد والرب الراعي والرفيق الأعلى وإنسان الله وحضرته بأسمائه وصفاته بعبده، وعباده من المسترشدين به، وبدائرته ووسطائه من الناس عين معناه لمعناه، ظاهر مبناه لذاته بالظهور ولروحه بالوجود، إذا حمد الله الناس ربا للعالمين، وغيبا عليهم بشرا ظاهرين، وما هو في الأعلى إلا عبده، وما هو للأدنى إلا ربه، وما هو من الوجود إلا حقه، وما هو في الشهود إلا خلقه.

فإذا قام الناس في دين الفطرة لله ذاكرين، وعنه في أنفسهم باحثين، وبالرسول لمعانيهم في معانيهم مسترحمين، وجاهدوا أنفسهم في أنفسهم محاربين مقاتلين، ولخلاياهم مجددين من مخاصمين لمسالمين، فهداهم من هو أقرب إليهم من حبل الوريد ومن هو على كل نفس قائم وشهيد، هداهم إلى كشف الغطاء عنهم مجابين منتصرين، لما في أنفسهم مغيرين فغير ما بهم مخاصمين، فتكشف لهم الحق في أنفسهم قائمين، فعرفوهم في دين القيمة عاملين، عبادًا لرب العالمين، ووجوها لرب الناس، ملك الناس، إله الناس، برسوله فيهم يرحمون، وبه يَشهدون ويُشهدون، وله في أنفسهم يذكرون، وربه ربا لهم يعبدون وله به يسجدون، فخصن الله يدخلون، ووحدانية الله يقومون ويوقنون، فوجوها لله يظهرون، ونصبا له يقامون، وغرفا للناس يُستقبلون ويستقبلون ببيوت قبلة للصلاة يرفعون، الناس حولهم يطوفون، ولأهل الله في بيت ذكره ينادون فيلبونهم ولندائهم يجيبون، وبالسكينة على قلوبهم ينزلون، وبالرحمة لهم يصلون وعليهم يصلّون، فعل رسوله الكريم وقيامه القويم يفعلون ويقومون. أولئك هم المؤمنون، علماء عن الله، وخبراء يدعون، ومنابر للحق يظهرون، وكتبا وصحفا ينشرون، وأمرا لله في الناس ينتشرون. أولئك هم المصلحون، أرض القلوب بماء الحياة يسقون، وأحواض الحياة للناس يوردون، ومشعل الحياة في مشكاة الصدور يوقدون، فتنير الحياة في الصدور المظلمة بمعاني الكتاب أهله له يقرأون، وبما علموا يُعلمون، وجديدا دائما ما يتلقون، وبما عرفوا من الحق يقومون ويعرفون، فكانوا للناس بوجوههم لقلوبهم زينة السماء لدنياهم مصابيح لها تشهدون، وجعلوا بينهم سراجا وهاجا عنه تتحدثون وله في أنفسكم وبينكم تعمهون، وقد جعل لكم من أنفسكم رواسي أرضكم حتى لا تميد بكم فتهلكون، ولكنكم إليهم لا تركنون، وعنهم لا تبحثون، وبهم وبوجوههم لا تؤمنون.

إن الذي ظهر بالإنسان أشرف ما ظهر، وإن الذي عنون بالإنسان أشرف ما عنون، وإن الذي علا بالإنسان أعلى ما يعلي، جعل الخير في الناس إنسانا، وجعل الخلافة في الأرض عنه عنوانا، وجعل شجرة الحياة في عالم البدء بجذورها وأقدامها على أرضها أبدية. وجعل في السموات معارج فروعها ومنها رجع ثمارها، وفيها طريق سيرها وتعالي أمرها، وخلاص ذاتها من ترابها، وتعاليها بوجه إنسانها

لحياة سرمدية. إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله.

إن الذي فعل ذلك للأرض قد فعل لأهلها أكبر من ذلك إذ جعل من السموات والأرض زوجان، وجعل من آدم وحواء لهما ولدان، وداول الأيام بينهما فجعل من السماء قبلة دعاء في ليل الأرض ونهار السماء، وجعل من الأرض قبلة صلاة ولقاء لأهل السماء، يوم أغطش ليل الأرض وأخرج ضحاها، وستر نهار السماء بليل الأرض فسواها، فقال لأهلها ملأ أعلى له يطلبون في الملأ الأدنى وجهي تشهدون، إني جاعل في الأرض خليفة على ما علمتم وتعلمون، فكلما سويته ونفخت فيه من روحي قعوا له ساجدين.

ها هي الأرض تشرق بنور ربها للعالمين، وتظهر بشجرة قدسها للطالبين لأبنائها، في قديمها لها يعرفون وإليها يعودون، ولقدسها يسجدون، وعن أزلي الآباء يعلمون، وإلى الرفيق الأعلى ينتسبون، في ركب للروح يُشهدون، وبوسطاء من أبنائها منابر لهم يظهرون، وعن قدس الإنسان وروح الإنسان ولانهائي الإنسان ولانهائي الروح في الأقدس والأعظم واللانهائي لله يعلمون.

أين تطلبون الله أيها المؤمنون؟ ومتى الله عندكم على ما تتوهمون؟ هل لله متى فتتساءلون متى يكون الله فتلاقوه؟ متى هو الله، متى لنا الله، حتى تشهدوا أن الله لا أين ولا متى له؟ أنتم الأين والمتى له إن كنتم مؤمنين. إنه معكم في الأرض تولجون، أو في السماء تَصعدون، أو من ذات الرجع تردون، أو من ذات الصدع تقومون، هو معكم أينما كنتم إن كنتم له طالبين، فلا تيأسوا منه أيها المؤمنون. إن الله يغفر الذنوب جميعا للمذنبين. يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تكونوا مني قانطين. إن الله لا يغفر أن يشرك به. يا عبادي وأنا معكم لا تكونوا لي مظاهرين، انقلبوا إليَّ معكم أقرب إليكم من حبل الوريد لتشهدوا كيف أنكم فيَّ وأنا فيكم وأنتم معي وأنا معكم، وأنتم لي تجهلون وتتجاهلون، إنما هو الغطاء منكم عنكم، يكشف لكم بكم يوم تبصرون، لا جديد فيكم ولكن الجديد ما تعلمون يوم لا تملك نفس لنفس شيئا على ما تتوهمون. إنكم في غفلة عنكم تقومون، وكل يقظة تباعدون، وكل موقظ تخاصمون. إن القيامة من صنعكم يوم أنكم لله تقومون، وإن الساعة من إرادتكم يوم أنكم لملكوت الله بين جوانحكم تكشفون، وقد كنتم له تطلبون، وإليه تسعون، والباب تطرقون، وفي الله تجاهدون، فعن النار تزحزحون وما أنتم عنها بغائبين، والجنة قطوفها دانية تدخلون لم تخرج منها أرضه على ما تزعمون. إن الحشر إنما هو رد أعمالكم إليكم، يوم أنكم ما قدمتم في قديم إلى ما قدمتم في حاضر في أنفسكم تجمعون. علمت نفس ما قدمت وأخرت يوم تبصرون، يوم يتكشف عنكم حجابكم فتشهدون لكل منكم ساعة ولكل منكم قيامة كما أخبرتم وتخبرون، أفرادا كنتم، أو بيوتا قمتم، أو جماعات تجمعتم. إن الفرد في أفراد

الله، وإن البيت في بيوت الله، وإن الجمع في جماعات الله، وإن الأمة في أمم الله، وإن البشرية في بشريات الله، وإن الإنسانية في إنسانيات الله أمرها واحد، شأن الفرد فيه شأن الجنس فيه، للفرد ساعته وقيامته وحشره، وحسابه وأمره، منه وإليه، كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا، وجد الله عنده. كذلك البيت، بيوتا ترفع أو توضع، وكذلك الجمع أمة في فرد وفرد في أمة. إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا. النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم. وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها. إن الله يريد ليذهب عنكم الرجس أهل البيت. وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين. اتبعوني يحببكم الله. وما أعطيته فلأمتي. إن يوم الفصل كان ميقاتا في تداول الأيام بين الناس، من أهل السماء وأهل الأرض في السماء وفي الأرض، في تبادل التواجد بين السماء والأرض والأرض والسماء.

إن هذه العبارات من إنسان الغيب قرآنا يتلى أو إنجيلا يقوم أو صحفا تنشر، أو من إنسان الشهادة حديثا يؤثر وسنة تقبل وإمامة ترتضى مع كل رسول، وفي كل عصر، ومع أي إمام أو شهيد، إنما هو هدي واحد، وأمر واحد، وشأن واحد، وقيام واحد، وحق واحد، وإنسان واحد.

إذا عرف الإنسان عن الله في نفسه منكرا على نفسه بالوجود، مسيحا فيه، متابعا رسول الله على ما هداه حقا فيه طلبه فلاقاه، فعرف عن رسول الله في نفسه على ما عرف عن الله في نفسه بالإنكار على نفسه بوصف الوجود مع الواحد الموجود، لعرف الله أكبر يوم عرف رسول الله ربا له مربوبا مرعيا من رفيق أعلى، ولعرف عن لا نهائي الله يوم عرف في رب رسول الله رفيقا له ولرب أعلى، استمهل عبده يوم جاءه ليلاقيه حتى يصلي لربه حمدا له لجديده يدانيه، ليتواجد في دوام به، وليتواجد بمزيد فيه فيتعالى الرب بالعبد بما يتواجد به منه فيه، متخليا معه عن معناه بالرب لمعنى الأعلى باسم مولاه، فيتخلى العبد له فيه عن مبناه، كما يتخلى لجديد منه به عن معناه ليظهر حقا باسم مولاه، وعبدا بعينه لعين معناه بوصف مولاه رفيقا أعلى.

بهذا جاء دين محمد مجددا القديم من الفطرة للوجود، بالتواجد على صورته مشهرا بدء الجديد من الوجود في الفطرة على عين وبدء ومثال قديمه، لتسكن القلوب إلى الله بيوتا له، ولتسكن العقول إلى الله رسلا له، ولتسكن النفوس إلى الله نصبا له، ولتسكن الجوارح إلى الله قدرة له، مثالا به يرتضى ويرضى في شمول وعموم ودوام، بكسب ووهب في حدود ما يكسب وبلا حد فيما يوهب.

بذلك أظهر الله محمدا على الدين كله، وأظهره الدين كله، ثم أظهره على من أظهره ليظهر به على الدين كله، ويظهر به الدين كله. وبذلك كانت الصلة بمحمد أو بمن تابعه على بصيرة هي الصلاة عليه وهي الدين. وبذلك قام الإسلام فطرة مجددا القديم من الحق، كاشفا القائم من الحق، مبشرا بالقادم من الحق، فرضي الله الإسلام لأهل الحق دينا هو دين القيمة ممن يصلحون للقيام على خدمة الناس، فيه

حاجة الناس، فيه كفاية العقول من المعرفة، وفيه حاجة القلوب للحياة، وفيه مطالب النفس للزكاة، وفيه تجدد الحياة للذوات، وفيه الاستقامة بالقدرة للجوارح.، وفيه تفصيل كل شيء في الوجود، وفيه تعليل قيام كل أمر في القيام.

يُعلي الناس هبل على أنفسهم في كل زمان، مجافين عقولهم أصلا للدين بهبلهم، ويقصم الله هبل في كل زمان، وفي كل مكان، وفي كل إنسان أعلى السفياني أبا لكل سفيه هبل على نفسه وقومه، فكان أبا وأصلا لكل سفياني، وابنا وجديدا لكل قديم من سفيان، عنوانا للباطل والشيطان. ودار الزمان، وكُسرت الأوثان، ودُخل البيت، وتكشف الحي والميت، فماذا كان من أمر الناس؟ عادوا إلى جاهليتهم، أبقوا أبا سفيان وأبناءه من كل سفياني وأجلسوهم على عروش الزمان والمكان من أنفسهم طاغوتا باسم اللاهوت، وغيبوا عن أنفسهم وجه الرحمن، وأشاحوا عنه بوجوههم كلما جددت الرحمة وجها في الإنسان، بإنسان، وإنسان، وإنسان قياما للإحسان، وتعديدا للعنوان، ورفعا للبنيان، وظهورا للرحمن، فقامت المعركة مرة أخرى بين العنوان والعنوان، للشيطان والرحمن، فعُلي هبل وأهله، وتكنز الرحمن وأهله، وها هو الزمان يدور، وإرهاصات القيام ترهص لجولة للرحمن على جولة للشيطان، ولكن أبا سفيان وأبناء أبي سفيان يكزِون على عنوان هبل عاليا في أنفسهم، ويضعون أصابعهم في آذانهم حذر الموت، والله محيط بالكافرين، وسيداول الله الأيام، ويَظهر الله أعلى وأجل، ويظهر الله في دوام مولى من كان مولى له، عبدا لله، ووجها له، ويظهر أبو سفيان وأبناؤه من كل سفياني هلكى لا قيام لهم، ولا حياة فيهم، أموات وما يشعرون، والأحياء بينهم ومعهم لهم يخاصمون، ولهم لا يقدرون، والطريق معهم لا يسلكون. ويوم يتكشف الأمر لا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا، فإذا تكشف عنهم غطاؤهم فإذا هم مبلسون، يقولون يا ويلتنا لو كنا نعقل أو نسمع ما كنا في أصحاب السعير، مبرزة لهم في نفوسهم.

هذه الدار أول أبوابها. ها نحن بقيامنا فيها وتعلقنا بها نلجها، والجنة دانية قطوفها مفتحة في الحياة أبوابها نعزف عنها ما أدركناها، وقد اختفت علينا محفوفة بالمكاره، وخدعتنا أنفسنا بأبواب النار نتزاحم عليها حفت بالشهوات. يوم يتكشف لنا ذلك في علوم دارنا نقول، "ربنا أعد لنا كرتنا، وجدد لنا فرصتنا"، فيقول لنا "نعم رحمتي غلبت عذابي"، لكم ما طلبتم إنكم من المنظرين، فرصتكم مجددة، وأثوابكم مجددة، وعقولكم مجددة، وقلوبكم مجددة، في الفطرة وعلى الفطرة تولدون، فانظروا ماذا أنتم في يومكم وغدكم فاعلون، إني منظركم إلى اليوم الذي أصبح لكم مشهودا، والذي يجب أن يكون لكم معلوما وعندكم مرتقبا. إنكم منظرين إلى اليوم المعلوم على ما علمتم عن دورة الحياة والأيام، وها أنا معينكم ما استعنتم، هاديكم ما استهديتم، كلما نضجت جلودكم بدلناكم جلودا غيرها لعلكم تجأرون. يا أيها الناس

كلكم إلى الله فقير، إلا من أغنى ولا جز لعطائه، وكلكم في الله ضال إلا من هدى ولا آخرة لهديه، استهدوا الله ليهديكم، وافتقروا إليه يغنيكم، لا إله غيره ولا معبود سواه.

اللهم يا من جعلت منا لمحمد منبرا يعتليه، وجددتنا به يوم جددتنا له نفسا نستهديه.. اللهم بمحمد فارحمنا، وبمحمد فاهدنا، وإلى محمد ألحقنا، وبمحمد فقومنا، وفي محمد اجعل عطاءك لنا غير مجذوذ، وحقنا منك غير منقوص، وحياتنا منك نامية غير متعطلة. اللهم يا من جعلت من محمد نورا نهتديه، وإماما نرتضيه، ووجها وبيتا لك نطوفه ونستقبله ونأويه، وبأهله نكون من أهله. اللهم به فأنزل سكينتك على قلوبنا، والسلم والسلام على أرضنا. اللهم إنا شهدنا معه لا إله إلا أنت، عبدا لك عرفناه، وعبادا لك طلبناه، وربا لنا منك يرعانا استشفعناه، به إليك توسلنا، وبك إليه رجونا. اللهم لا تجعل لنا تعددا معه، واكشفه لنا على ما هو لا تعدد معك، هو الحق منك إلينا، ونحن الخلق به إليك. اللهم به فحققنا، اللهم بك فخلقنا، اللهم كن لنا وجدد فينا خلقنا، أنت لنا ولما عملنا خالق، ولنا ولما خلقنا صانع. اللهم أدخلنا في حصن لا إله إلا الله، وأعرج بنا في الله أكبر، وولِ به برحمتك أمورنا خيارنا في الدين والدنيا والآخرة، ولا ترد علينا أعمالنا، فتولي علينا شرارنا بما كسبنا، وعافنا من عدلك فينا، وعاملنا بعفوك ورحمتك على ما أقمت وبشرت، وعلى ما وعدت، وعلى ما في دوام فعلت. لا إله غيرك ولا معبود سواك.

أضواء على الطريق

(نحن لا ننتمي إلى ضعفة الأمس المنبوذة، ولا إلى مشوهي الوجوه القلائل الذين اختفوا في الأركان، بل لنا المثل العظيمة في الذين يرون أن الحق معهم وقد برهنوا على صدقه ولا يتزحزحون عن مكانتهم في الحياة.

من هدي السيد (سلفربرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ من شعر ألقاه أبو سفيان في معركة أحد، بعد أن قالَ: يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ، والحَرْبُ سِجَالٌ، إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ في القَوْمِ مُثْلَةً، لَمْ آمُرْ بِهَا، ولَمْ تَسُؤْنِي، ثُمَّ أَخَذَ يَرْتَجِزُ: أُعْلُ هُبَلْ، أُعْلُ هُبَلْ. صحيح البخاري.

٢ الدعاء الذي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين في معركة أحد، حين قال أبو سفيان: " أُعْلُ هُبَلْ، أُعْلُ هُبَلْ". ف قالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أَلَا تُجِيبُوا له؟ قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ، ما نَقُولُ؟ قالَ: قُولوا: اللَّهُ أَعْلَى وأَجَلُّ، قالَ: إنَّ لَنَا العُزَّى ولَا عُزَّى لَكُمْ. فَقالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أَلَا تُجِيبُوا له؟ قالَ: قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ، ما نَقُولُ؟ قالَ: قُولوا: اللَّهُ مَوْلَانَا، ولَا مَوْلَى لَكُمْ. صحيح البخاري.

٣ من حديث شريف، رواه ابن إسحاق، كما في "سيرة ابن هشام": أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يوم فتح مكة، قَامَ عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ ... إلى أن قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تُرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، قَالَ: اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ.

٤ سورة الواقعة – ٧١، ٧٢

٥ سورة إبراهيم – ٢٤، ٢٥

(١٩)

اليوم الوليد
والإنسان الجديد والكلمة الحفيد
لحقائق السماوات والأرض

حديث الجمعة

٢٥ ذو القعدة ١٣٨٢ هـ - ١٩ أبريل ١٩٦٣ م

ها هي السماء ذات الرجع تنشق بجديد، وها هي الأرض ذات الصدع يأتيها المخاض لوليد، تلد به الأمة سيدها. ها هي السماء أذنت لربها وحقت. وها هي الأرض من السماء بماء منهمر مُدت في ظلل من الغمام تدانى بأمان وسلام. وها هي الأرض تهتز لتحدِّث أخبارها، وتتفتح عن عيون مائها، اكتنزته، وامتلأته لأمر قد قدر، حملته ووضعته به تتفجر في قلوب الفقراء، سفن مراكب النجاة، وأحواض ماء الحياة.

ها هي السماء بآياتها في الآفاق، وها هي الأرض بآياتها في جميع الأرجاء، وها هي البشرية بآياتها في نفوس المواعين من الأشياء، ها هي بآيات الله ناطقة، محدّثة، ولحديث من الله ناقلة ناطقة مبينة صادقة. ها هي العقول الشاردة ترجع عن شرودها، وها هي النفوس المعاندة تخرج عن عنادها فتتأمل في الله، وتتذاكر في الله، وتتواصى بالحق في الله. ها هي الأرض للقلوب مدت، وأذنت لربها وحقت، وألقت ما فيها وتخلت. ها هو الحق يوشك أن يبين، وها هو اليقين يوشك أن ينتصر ليُبين. ها هي أغلفة النفوس تتكشف عما بها من نور الحق، أو ترق لتكشف عما بها من حديث الحق، أو تخلع دثارها ليتكشف قيامها من قائم الحق. ها هو الصدق في الصادقين يأخذ جولة عنيفة مع الكذب في الكاذبين، وها هي معركة الباطل مع الحق يتداول فريقاها الهزيمة والنصر. وها هي تباشير النصر لأعلام الحق. وها هي إرهاصات الهزيمة لأهل الباطل.

تأملوا صدق إنباء رسول الله يوم قال لرجل من نجد عن نجد (من هنا ينبت قرن الشيطان)[1]، قرين قوله لرجل من أهل اليمن عن اليمن (الإيمان يماني)[2]. ها هي معركة الشيطان مع عباد الرحمن تضع أوزارها، وتُرفع أعلام النصر لعباد الرحمن، وتُزال أعلام الشيطان عن أرض الإيمان.

ها هو الشيطان يسفر عن وجهه بلا خفاء ولا رياء، فيتصارع جنوده على المال والنساء، ويتقاتل وجوهه على الدنيا والمتعة والثراء. وها هو الإيمان يستشهد رجاله لنصرة الحق في سبيل حرية الناس.. في سبيل كرامة الناس.. في سبيل أَمان الناس.... في سبيل سلام الناس. ها هي معركة الفرقة والخصام مع جنود الجماعة والالتئام يشتد وطيسها، ويتبادل طرفاها الكر والفر بين الغلبة والقهر. ها هو للعيان المكر جميعا للرحمن يهزم الشيطان بالشيطان. وها هي أعلام النصر تعقد لأهل الرتق. وها هي إرهاصات الهزيمة توشك أن تقع بأهل الفتق.

ها هي الأيام يداولها بين الناس إنسان الناس من إنسان الله، رب الناس، ملك الناس، إله الناس. وها هو يوم الجمعة بإنسانه من الناس يتهيأ للإقامة لصلاة نداءً بآذان، ويتكشف للقيام بصلة بإحسان، صلة تعقبها صلاة، وآيات يعقبها آيات في جماعات تتجمع في جماعة لجماعات، تذوب عنها الفرقة بعد الفرقة، حتى لا فرقة في جمعها بمسخ سعود الشيطان على مكانتهم، وكشف ونصر سعود الرحمن على رفعتهم.

ها هي السماء تداني الأرض تعتنقها برحمة من الرحيم الرحمن بدعوة للسلم، فترفرف عليها أعلام السلام. ها هي يدها تمتد إلى أعماق الأرض لترفع الماء من أعماق جوفها إلى سطحها، فيلتقي ماء السماء المنهمر بالأرواح بماء العيون المدكر بالأشباح، مستجيبا للصوت المذكر من الصحراء، فيستقي الناس في الأمصار، يستقي حيوان الناس، تستقي بهائم الأنعام من الناس، تستقي ناقة الله بالناس، تستقي دواب الأرض من الناس بماء الحياة من رب الناس، معية رسول الله أنفسهم، معية رسول ربهم لمعيتهم تقوم قيامته بعثا فيهم، وبعثا بهم، وبعثا منهم، قياما لهم، وقياما لله، فتقوم قيامة الآباء في الأبناء، ويظهر الرسول بنعمة الله إليهم قد جحدوها، وبرحمة الله لهم قد ظاهروها، وبنصرة الله لهم على أنفسهم كم خاصموها، وبوجهه بالحقيقة لهم أنكروها. أُعلموا أنه فيهم فكرهوه، وأنه بناؤهم فهدموه، وأنه حقهم فكفروه، وأنه رشادهم فقلوه، وأنه عقولهم فسجنوه وأنه نفوسهم فما زكوه، وأنه قيامهم فما جددوه، وأنه الحق من ربهم فما عبدوه، وما عبَّدوا أنفسهم له ليكونوه، وأنه حقيقة الإله لهم فما طافوه، وأنه بيت الصلاة لقبلة الصلاة فما صلوه، ولا في وهم الصلاة استقبلوه، وبيت الحجيج للساعين لعرفات الله المجاهدين في طلب المعرفة عن الله، فما في منسك استقبلوه، ولا في عَلَمٍ عليه طافوه، ولا نصبا في أنفسهم كشفوه، فلا في مجاهدة استعانوه، ولا في طريق متكشفة سلكوه، ولا في باب

رحب ظهر لهم طرقوه، في كل إمام صادق أنكروه، وفي كل شيطان مارد زعموه، وهم بعد ذلك كله وصلوه، والمتفضلون عليه بالصلاة لينجوه، والداعين الله له ليرحموه.

سبحان الله!! أهكذا يكون أمر رسول الله! أهكذا يكون أمر أمر الله عند من أرسله إليهم الله! أمنهم منه أمينا صادقا رسول رحمة مهداة للعالمين، وطلب له الأمان منهم به مؤمنين، ووعده النصر يوم يخاصمه منهم مخاصمون، وأنذرهم الهزيمة يوم أنهم لرسالته يقاومون. نصره كلما استنصره، وهزمهم كلما قاوموا أمره. خلصه من الذين كفروا وجعل الذين آمنوا فيه به الأعلون، ونصرهم ببدرهم أذلة وما كان بينهم إلا بدرهم. وهزمتهم كثرتهم يوم حنين - وهم بكثرتهم الأعزة - حتى يستيقظوا أن النصر من عند الله، وأنه كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بعزة الله، وبنصرة الله. حذَّرهم أن يعودوا على أعقابهم إن مات أو قتل، وما هو بالميت، فكيف يموت من لم يولد ولا هو بالقتيل؟ فكيف تقتل الحياة، وكيف يموت الموت، وهو الموت لمن وحد الله فعرف الله الحي القيوم لا شريك له؟ وكيف يموت من استشهد في معركة الحياة فحيا فكان الحياة؟ لم ينظر لما أودع الله به من العزة ضعفا مع عزة الله فجعل فيه عزته، فكيف تهزم عزة الله؟ وكان القدرة ولكنهم نظروه ميتا في أكفان سجنوه، وشهيدا في قبر دفنوه، وإنسانا من بينهم فقدوه، وكان لهم حقا ما عرفوه، وحياة ما قاموه، ومبعوثا في الصدور ما بُعثوه، ومصباح قلوبهم ما أشعلوه، وماء حياتهم ما وردوه، ونور عقولهم ما أضاءوه، وظهيرهم بالقدرة ما استعانوه، ولا وجها له قاموه، أقرب إليهم من حبل الوريد قرب ربهم إليهم ما شاهدوه، يدا لله دائمة عندهم ما بايعوه، ونفس الله لنفوسهم بينهم ما تابعوه، ووجه الله لعاشقه يوم يريده ويريده ما تخلقوه، وما بعثوه، وما جددوه. من أحبه في محبة الله تكشف له في حبه، فيراه بوجهه الناضر بعين لطيفه في قيامه الظاهر وجه الله يشاهد وجه الله، في قائم وجوه ناضرة لربها ناظرة.

هل في نفوسهم تفقدوه فما بعثوه، وبعينه لعيونهم وجه ربه وربهم شهدوه، ووجها لهما ظهروه فوحدوه، فبدين قاموه، وفي أكبر برحمة طلبوه، فعبادا لله في عبوديتهم له وجدوهم، فحقا لهم من ربهم وجدوه؟

سبحان الله!! محمدا ذكروه، وما بمحامد خلق تخلقوه، أو بتصديق تابعوه، أو بتفريق بين الحق والباطل قلدوه، أو بمتعة بدراسة تعلموه. لا ولا بشوق في طلب طلبوه فوجدوه فعلموه. أحبهم حبا لله فما أحبوه، ورآهم وجها لله فما لله وجها رأوه، وطلبهم ليتلاقى معهم في قلوبهم فما أجابوه، وناداهم من ضمائرهم فما لبوه، ثم هم بعد ذلك للناس يتصفوه، وبوهم من خيال أنفسهم يذكروه، كتابا حرفوه، وفي غير مواضعه لآياته باسمه وضعوه وعبثوه، وبظلام أنفسهم وبأقلام الظلام لعقولهم كتبوه، وفي

ألواحهم من تراب خطوهم باسمهم اسما لله نشروه، فألواحا لله زعموهم وباسمهم زعموه، وصحفا لله قرأوهم لذكره نسبوه، وما هم إلا ألواح الشيطان، وصحف الشيطان، وأعلام البهتان.

يجادلون بغير علم، ويسيرون بغير هدى، وينتشرون بغير نور، مُقَدَمين، ومتابعين، في الدرك الأسفل محشورين، وإلى أسفل سافلين هاوين، وأبواب الرجيم طارقين، وإلى ثلة السلف الصالح أدعياء دجالين ينتسبون، وما اختاروا من السلف إلا الطالحين، وما ذكروا منهم من صالحين، فالصالحون عندهم في جفاء، والطالحون عندهم لهم الولاء. ما تأملوا في أولين وكيف جُمعوا وكيف فرقوا، كيف جمعوا على الدين يوم لا أمة ولا متدينين، يوم قام بينهم اليتيم أبوة الحياة للمؤمنين، وكيف فرقوا من الدين بعد الذي جاءهم من العلم يوم وسدوا أمر الله بينهم لغير أهله ففرقوا من الدين، والدين عالية منصوبة بنوده، في عزة من الله جنوده، في أمة بجديدها كانت ثلة الأولين المخلصين، من الحكماء والأئمة والنبيين مبعوثين في جمع على إمام لليقين مع أول العابدين، هزتهم يد الله مختبرين مبتلين على ناموس الله في جماع الأولين، فإذا هم من شجرة الحق أوراق خريف يتساقطون، ومع الريح يتناثرون، وطعاما لأنعام الأرض يؤكلون، إلا قليلا من المخلصين، فإذا الأمم تتداعى جياعا عليهم قصاعا يؤكلون، للكتاب محرفين، وللحق مخاصمين، وللرسول مباعدين، والأدهى أنهم يأتون ذلك باسم الحقيقة والدين.

فهل أنتم بعد ذلك على دين الآباء تسيرون بوهمكم أنهم على أمة كانوا أنتم لآثارهم مقتفون؟ ها هو خادم الحرمين على ما تنظرون، أهذا جديد السلف الصالح على ما ترون؟ هل أنتم لعقولكم معملون ولضمائركم مُستفتون، ولما يهديكم به الله في أنفسكم وهو هاديكم تعملون؟ وإلى الله في أنفسكم تتجهون، وبيته بقلوبكم تستقبلون، ورسول الله بينكم حقا بكم يقوم من الله يجمع على الحق به تتواصون وله تُجددون حتى يكشف الله غطاء المادة عنكم فيه أرواحا تقومون، وعن جذوة الحياة في نفوسكم تقدرون، وعن نور السموات والأرض لعقولكم تنشرون، وعن قبلة الحياة لقلوبكم وعن نبع الحياة في عيون صدوركم تعلَمون وتعلِّمون؟

ها هي السماء تجدد دينها بينكم معروف دينكم، وتجدد وجودها بينكم برجال منكم، فهل من ملبٍ لنداء الحق، حتى يلبي الحق نداءه يوم يجأر فيناديه؟ إذا سألك عبادي عني فإني أقرب لعبادي من حبل الوريد وأنا القريب، ألبي نداءهم يوم أكشف عنهم غطاءهم وقد طلبوا كشف الضر عنهم، فيبين لهم الحق في أنفسهم ومن حولهم وفي الآفاق.

هذا هو الدين، وها هو قريب المنال، يسير المثال، قائم الحال، سيد المجال، دين القيمة لم يجعل لرسوله ومن يقوم به عوجا، قيما في السموات والأرض، إن كل من في السموات والأرض يوم يأتي الحق

إنما هو آتيه يوم يأتي عبدا للرحمن يطويه، وهو فيه مزوية له الأرض أو مزوي له أمر السماء له. أبوه الإنسان في علوي الإنسان فوق السموات والأرض، وأمومته الإنسان في حقيقة الروح للإنسان ظاهر السماوات والأرض، وبنوته الإنسان للإنسان بعوالم وحقائق الوجود. الإنسان إنما هو الثلاثة والواحد. إنه الاثنين والواحد. إنه الواحد المتعدد. إنه الوتر المتجدد، باطنه له الشفع لظاهره له. إنه الشفع في قيامه في قائم الوتر. من أراده شفعا معه أراد الله، ومن كانه وترا فيه كان الله، ومن عرفه عينا له مسيحا به عرف الله، ومن تخلقه عبدا تحقق الله ربا.

لقد كان محمد في كل هذا راية لا إله إلا الله وعلمها، ورسول وشعار الله أكبر وعنوانها، عبد الله بلا أسماء، واسم الله بلا عوالم، وعباد الله لله في وجود الله. هذا من عرفناه وما عرفناه. وهذا من رأيناه وما شهدناه. وهذا من ذكرناه عبدا وما قمناه. وهذا من طلبناه حقا وما لأنفسنا حققناه. هذا هو محمد الله، وعبد الله، ورسول الله، والحق من الله، ووجه الله، ويد الله، ونور الله، وروح الله، وعين الله، وسر ذات الله، لمن طلب الله فوالاه، ومن عبد الله فداناه، ومن تابعه فتولاه، ومن أحبه فتبناه، ومن وجده فكان عين معناه. هذا هو محمد الله ورسول الله الذي حمل إلينا باسم الله في السابقين لا إله إلا الله، وعلمنا باسم الله في اللاحقين لا إله إلا الله، وحققنا في قائم قيامنا بيننا لا إله إلا الله، فعرج بنا في سبيله سبيلا لربه بالله أكبر، والله أكبر، والله أكبر، ولا إله إلا الله الرسول بين الناس، إذا أوجده الناس بحقائقهم في اجتماعهم بالحق على الحق في أنفسهم أظهره لهم الله بقانون معيته لهم برحمته، فكانت نفسه جماع نفوسهم، وعقله نور عقولهم، وروحه جمع أرواحهم، وقلبه قبلة قلوبهم، وحياته عين حياتهم، وحياتهم عين حياته، أحديته أحديتهم في أحدية الحق به وبهم بين آحاد للحق في أحدية الله، لا تعدد لها ولا حصر لآحادها، ولا زمن لوجودها، ثلة من الأولين كلما بدأت أولية، وثلة من الآخرين كلما كشفت للإنسان قضية. وها هي السماء تأتي بقضية الأولين، وها هي الأرض ترهص بقضية الآخرين، والحمد لله رب العالمين.

اللهم يا من بك آمنا موحدين، ولك تأدبنا مكبرين، وطريقك سلكنا مفتقرين، وأحواضك وردنا عطشين، ومن موائدك طعمنا جائعين، وفي ظلك نمونا مجاهدين، وعن الأرض نبتنا شاكرين، والسمو في سماوات معانيك طلبنا عاجزين، لا إلى الأرض من ذواتنا متثاقلين، ولا بانطلاق عقولنا مستكبرين، ولا بجذوة الحياة في نفوسنا طاغين. اللهم قومنا فيك مرحومين، ولا تحرمنا من الافتقار إليك عالمين، ولا تخرجنا بقدرة منك لنا وبعزة لك بنا من دائرة المساكين، وألحقنا بمحمد في الأولين، وبمحمد في الآخرين، وبمحمد في القائمين، وبمحمد في يوم الدين، رضيناه لنا حقا منك متابعين، ووجها لك مستقبلين، نحن به إليك ناظرين، فاحفظنا على الملة والدين، ولا تخرجنا من الحق واليقين.. وولِ

اللهم أمورنا خيارنا في الدنيا والدين، وفي أنفسنا، حتى لا نكون من الظالمين، واختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين، حكاما ومحكومين غافلين ويقظين.

أضواء على الطريق

(لماذا يوجد كثيرون يرفضون كل هذا الجمال.. كل هذه البساطة.. مفتاح الفهم للحياة نفسها؟ لماذا يفضلون الظلام في حين أنهم يمكنهم أن يحوزوا الضياء؟ لماذا يفضلون القيود في حين أنهم يمكنهم امتلاك الحرية؟)

من هدي السيد (سلفربرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ حديث شريف: "رَأَيْتُ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يُشِيرُ إلى المَشْرِقِ فَقالَ: هَا إنَّ الفِتْنَةَ هَا هُنَا، إنَّ الفِتْنَةَ هَا هُنَا مِن حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ." صحيح البخاري. وأخرجه مسلم باختلاف يسير.

٢ حديث شريف: "أتاكم أهلُ اليَمَنِ هم أرَقُّ أفئدةً الإيمانُ يَمَانٍ والفقهُ يَمَانٍ والحِكمَةُ يَمَانِيَةٌ والفخرُ والخُيَلاءُ في أصحابِ الإبلِ والوَقارُ في أصحابِ الغَنَمِ" أخرجه البخاري، ومسلم باختلاف يسير.

(٢٠)

باسمك الله - هم
نَصرك على عوالم الجن والإنس والملك
من أنفسنا لقيام ذكرك بنا لنا

حديث الجمعة

٢ ذو الحجة ١٣٨٢ هـ - ٢٦ أبريل ١٩٦٣ م

بسمك الله - هم، رب الناس. الله - هم، أَيدني بك لك، على عوالم الجن والإنس والملك.

بسمك الله - هم، رب الناس، انشلني من أوحال التوحيد إلى فضاء التفريد، المنزه عن الإطلاق وعن التقييد، فأنت القائم على كل نفس بما كسبت.

بسمك الرحمن الرحيم، الله هم، رب الناس، أدخلني في رحمتك، وأخرجني من سلطان نفسي، إلى سلطان طاعتك، بتقواك، وبوحدانية معناك، بإرادتك، قياما لها بمحو إرادتي عني إليها.

بسمك الله هم، اجعلني مِن هم، مَن هم، أهل تقواك، وأهل معناك، وأهل الإحسان معك، وأهل الإحسان منك، يا من اصطفيت من البشرية من اصطفيت، وعبَّدت من البشرية من عبدت لنفسك، ولوجهك، ولمعرفتك، لإظهار معروفك، وكشف الوجود عند كل موجود بواجب وجودك، بعين معناك، لمشاهدك ومشهودك، من ورائهما بإحاطتك، ولهما، فيهما، بهما فيك بوحدانيتك، قياما لتدريك أحديتك، أزهقت باطل النفس وأغطشت ليلها إلى حقي نورك وروح معناك، يا من جعلت العِلم بلا إله إلا الله حصنا للعالم من غلبة نفسه، بقيام سلطانها بوصف غيريتك، إلى غلبة نفسه بوصفها نفسا معبدة لك لقيام سلطان وحدانيتك، وكشف معاني أحديتك.

لا إليك، من رآه غيرك، ولا منك، إلا من عرفه وجهك، ولا حياة إلا لمعناك، ولا قيام إلا لذاتك، ولا موجود بحق إلا وجودك، ما عداك سراب وخيال. جهلك فناء وغُرم. ومعرفتك غنى وغنم، ووحدانيتك حياة، وتجاهلها ظلام وعدم.

في كل شيء أنت بإرادتك وبحكمتك. وكل شيء لك بسعتك، وسلطانك، وقدرتك. بكل شيء أنت ظاهر بذكرك، وكل شيء فيك بوحدانيتك. أيدني بك لك على ما أردت من تواجدي لكينونة العبد لك. ها أنا بك آمنت، ورسولك تابعت، في شهادة قيامه في قائم شهادتك، وفي غيب قيامه في قائم غيبك، يا من جعلته منك لنا عندنا إنسانا بوصف الحق لك. يا من جعلت شهادته بوصفك شهادة منك لنا قائما في الشهادة، {واعلموا أن فيكم رسول الله}[1]، ويا من جعلت لك الغيب في غيوب قيامك بشهادتك، فجعلته في غيبك غيبا ما عرفه في كماله غير ربه، وجعلته لعين شهادتك شهادة لنشهدك في مشهوده لشهودنا، فجعلتنا به غيبا في غيبك، ومعراج غيب له في معارج غيوبك، فتابعناه من شهادتك بشهادته إلى غيوبه في غيوبك، مثلا لنا ولكافتنا، فعلمناه فينا لغيب معاينا، بشهادتنا في مباينا، وعلمنا ما هديت..{إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله}[2]، {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني}[3]، فطلبناك، كلما طلبناه، وطلبناه، كلما طلبناك، {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا}[4]، كلما أسلمنا أنفسنا لكل معنى فيك بحضراته كما أسلمنا معناه بنا لمعناك معنى فيك لنا بحضراتك. وكلما أسلمنا أنفسنا لمعناك، معنىً له، وعين معناه، أسلمنا لمعناه بك معنا لنكون في معراج الرقي بمعناه، للأرقى رفيقا أعلى في معناك، يوم عرفناه رفيقا أعلى لمعاينا، في قديمنا وجديدنا وحاضرنا، يوم أدركنا حكمة يحيى في قوله (إن الذي هو بعدي رأيته أمامي)[5] وقول عيسى (الرسول الذي يأتي من بعدي هو الذي يبقى معكم هو أعرف به مني)[6]. لم نشرك به بك، ولم ننكر عليك به، وبكما عرفنانا. فبكما ولكما، عبادا لمطلق الله، ولغيب رسول الله فيه، شهدنا لا إله إلا الله، يوم شهدنانا لكما، وبكما، وبمعناكما، ومنكما وإليكما في لا إله إلا الله، دخلنا حصنها يوم صدقنا بلاغك، ويوم سمعنا لتبليغك، ويوم قبلنا هديك، ويوم اتقيناك في ثياب عظمتك، وعشقناك في وجوه رحمتك، وعرفنا الرسول فيك، إنسانا منك، لعين إنسانك فيك، فعرفنا شرف الإنسان بوحدانيتك، وعرفنا شرف الرسول برحمتك، وعرفنانا، بآلائك، لا تجز، وبعطائك لا يمتنع على طالب، وبيدك بعباد رشادك لكل يمين تمتد لمصافحتك، تصافحها انتشالا، وتفيض عليها رحمة وجلالا، وتوحدها عبدا، وتمسحها عنها كلمة لك، فلا وجود إلا لك، يوم تظهر بجلالك، ولا رحمة إلا منك، يوم ترحم بجمالك، عبادك وجوهك، في جلالك وجمالك، تابعوا رسولك، وتخلقوا بخلقه، تخلقا بخلقك، فيمن تخلق بخلقه خلقا لك، ومن عرف له ربا، فعرفه عبدا، وعرفه وربه وجوه إطلاقك، بوجه جلالك، لوجه جمالك، فطلبنا وجه جمالك ورحمتك، في إنسان عبوديتك، ورسول رحمتك، وبيت تدانيك، لكشف بيت تعاليك، ظاهرا لباطن، شهادة لغيب، وحاضرا لمطلق، فسعدنا بقيام جمالك وخشعنا لوجه جلالك.

طفنا به فحججنا، واستقبلناه قبلتنا فصلينا، ودخلناه بيت الله فأيقنا، وقمناه عبادا فآمنا، فلك أسلمنا، وقد بدأنا بالإسلام له، وانتهينا إلى الإسلام لك، فعرفنا كيف يحيا الفرد فينا يوم يتفانى في خدمة الجماعة له إيمانا بك، ومشاهدة له من وراء الكل بإحاطتك، ومن وراء العبد بتأييدك ونجدتك ونصرتك.

عرفناه العباد، في اجتماع عبادك، على مراد هديك، على قلب عبد منهم، يتوسمون فيه الخير، ويعقدون به الجمع، فيفنى فيهم، فناءً عنه، ويفنون فيه فناءً عنهم، فيحيون بفرده، فردا في الله، وعبدا له، تعددت وجوهه ومرائيه يوم اجتمع على قلب قلبه، بقلوب جمعه، فعلم الناس ما أراد الهدي في قوله بقانونه، (لو اجتمع إنسكم وجنكم على أتقى قلب رجل منكم وأعطيت كلا منكم مسألته ما نقص من ملكي شيئا)[٧]. نعم صدق الله، وصدق بلاغه، وصدق هديه. وهل في وجوده من يستطيع أن ينقص من ملكه شيئا، بقطيعة بعيدا عنه، وبعيدا عن ملكه أو خارجا عن سلطان ملكوته؟

سبحان الله! إن العطاء فيه أن لا يعطي، وإن الملك فيه لمن يملك أن لا يملك. إن العطاء فيه إنما هو عن طريق الإمحاء عن وصف الغيرية معه، إلى مسح الوجود المغاير عن وصف وجوده، إلى عين موجوده فلا تغاير، ولا مشاركة، ولا نقص من ملكه بشيء فلا شريك له ولا شرك به، {إن الله لا يغفر أن يشرك به}[٨]. ما زال عبده يتقرب إليه بالنوافل (بعد الفرائض) حتى يُحبه، فإن أحبه كانه، فإنه لا ينقص من ملكه شيء أن يكونه، فإن كانه، كان له وجه، لم ينقص من ملكه شيء، ولم يتغير في أمره أمر، ولكن به يملأ فراغ الوجود بالحياة، وهو ملء فراغ الوجود، فلا فراغ في معنى وجوده، ولكنها العوالم، كُتب علمه، ونُصب شهادته، وبيوت آلائه، وقوائم عروشه، وكراسي سلطانه، ووجوه طلعته.

خلق الإنسان لنفسه، وحققه بنفسه، فمحاه عن وصف خلقيته إلى وصف حقيته بحقي معناه، وأيده به له على عوالم الجن والإنس والملك، فما تعارف في نفسه، عَلما على نفسه، إلا في الإنسان، معلوما للإنسان بعلم الإنسان عن نفسه، ظهورا به إنسانا لإنسان، في الإنسان، فهو ظاهره وباطنه، وهو شهادته وغيبه، وهو قيامه وكنزيته، وهو إطلاقه وتقييده، نزهه مطلقا عن التقييد، ونزهه مقيدا عن الإطلاق، ونزه به عنه له عن الإطلاق وعن التقييد، وعلمه كيف يصلي له، على ما يُصلى لنفسه، بنفسه، في إنسان نفسه، بوحدانية ذاته وإطلاق وحدانيته، فتعلم كيف يدعوه أن ينتشله من أوحال التوحيد، إلى فضاء التفريد، المنزه عن الإطلاق، وعن التقييد، وما طلب منه إلا ما أحب أن يعرف عنه بعد أن حار فيه وقد حار في أمر نفسه بعد الذي جاءه من العلم، فعلم، وبعد أن رده وضعا في عالم الجهل، فجهل فهداه بكشف الغطاء عنه فميز بين العلم والجهل، وعرف نفسه في الجهلاء، فقدره

الجاهل، نائما يطوف بالكعبة في الناس نيام، عين معناه، وعين بدئه، وعين وصف ظاهره في انتهائه، يعلم ثم لا يعلم، ويجهل ثم لا يجهل، فما عَرَفَه عالما إلا وهو يراه يخرج من الجهل والجهلاء، وما عرفه محدود العلم لم يفارقه وصف الجهل، إلا وهو يراه ممتدا فيمن يجهل، فيعلمه ما زال الجاهل، { ومنكم من يرد إلى أرذل العمر، لكي لا يعلم من بعد علم شيئا}[٩]...

خلقه في أحسن تقويم ليعطيه الحق في أحسن تقويم، ليكون له، ويكون وصفه، ويكون قيامه يوم يكشف عنه غطاؤه. ثم رده أسفل سافلين، ليأخذ ما كان له، وما أصبح له، وما أصبح حقه، بيده وفعله وسعيه وكسبه. قدر فهدى، يستعين بالله فيعينه عطاءً غير ممنون، وما يعينه إلا ما هو من أحسن تقويم، ويطلب الله فما يطلب إلا قديمه في أحسن تقويم، ويجاهد في سبيل الله، بوصفه الغيب عنه بوهم الغيرية معه فيقاوم ويتجاوز ما يزعمهم أغيارا بوصفهم الغيوب، بغيريتهم لكمال مرتقاه جهادا في سبيله، في تخلق بخلق الله، من رحمته طورا، ومن سلطانه بحكمته أطوارا، فيتقلب بين يدي رحمته، بالرعاية والحكمة، وبالحنان والرحمة، حتى يصبح في ذاته لذاته، في معناه، عين الحنان والرحمة، وعين السلطان والحكمة، فيتواجد من جمعه رسولا من أنفسهم، ويتواجد الجمع من فرده، هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}[١٠]، {وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها}[١١]، {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم}[١٢]، فيعرف الإنسان الله يوم يدخل في حصن لا إله إلا الله، ويعرف الله أكبر يوم يعرف الرسول منه أكبر، رفيقا أعلى، من رفيق أعلى، رسولا وعبدا، وربا وحقا، وآلها وإلها، وآلهٍ وآلهْ ، وإلهٍ ومألوهه، فلا يفرق بين العبد وربه، ولا بين الوجود وموجده، فيؤمن بالله في موجوده، حتى يراه بعينه في شهوده لمشهوده، يوم يؤيده به له على عوالم الجن والإنس والملك، ثم يأخذ بيده وقد خرج من غيبه إلى قيامه فيه، وقيامه عليه، وقيامه معه، فينتشله من أوحال التوحيد إلى فضاء التفريد المنزه عن الإطلاق وعن التقييد، فيخرج من الفناء في الله مسيحا عنه، إليه، إلى البقاء بالله، عبدا له فيه، ووجها له منه إليه وعين الوجود، كشفا لمعانيه، {ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى}[١٣]، {ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير}[١٤]، {هل تعلم له سميا}[١٥]، {قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون}[١٦].

إن أمة التوحيد، إن أمة الوحدانية، إن أمة رسول الوحدانية، ورسول الأحدية، ورسول الإطلاق، العبد في ذاته، الرب في رحمته، الإله في علمه، المطلق في وجوده، إنسان الله رسولا، لإنسان الله مرسلا، لإنسان الله غيبا. إن أمة الوحدانية بهذا الرسول، حُمِّلَت، وحملت من الله ما جعلها الله به صالحة لتحمله من رحمته وحكمته. ورفع عنها من الرجز، ومن أوزارها، ما لا طاقة لها على رفعه عنها. أعفاها الله مما طلب من الأمم، وقيدها الله بما أراد لنفسه من رحمته بخلقه من الجن والإنس

والملك، بإرادته أن يتبع الجن والإنس والملك لحقه بحقائقه بعباده، وبيوت العلم عنه، وكتب البلاغ منه، عباد إنسانه، ووجوه عنوانه، ليكونوا في طريقه لمعرفته في عارفيه في أنفسهم، فإذا طلب المسلم المتابع لرسول الله أن يؤيده الله به، وبما فيه من الحق منه على عوالم الجن والإنس والملك، فإنما يطلب ذلك لنفسه، كما يطلبه لقومه، ولإخوانه لدينه، (لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[١٧]، (ولا يؤمن أحدكم حتى يكون رسول الله له وعنده، أحب إليه من ماله وولده ونفسه التي بين جنبيه)[١٨]. أعلمنا رسول الله أن أعدى عدو الإنسان إنما هو نفسه التي بين جنبيه، وأن أصدق صديق للإنسان يوم يقوم حقا للرحمن، إنما هو نفسه التي بين جنبيه، زكاها ما دساها، وحقق لها معناها ما خيب رجاها، ولا أضاع مثواها، إنها هي مسيح الله، يوم يصبح بها هو ذكر الله، واسم الله، وحق الله، وإنسان الله، يبعثها الحق بمعناه، من فنائها عنها في حق معناها لمعناه، فهي التي تفنى وهي التي تبقى، هي التي تفنى عنها مسيحا لربها، وإنسان إدراكها وقيامها، وتبقى بربها، عبدا له، فيصبح الإنسان ربانيا بها هي عبد له. إن الله في عظمته وإن الله في قيامه، لا تعدد لوحدانيته، وإن تعددت فيه الآحاد بحقائقه، وتجمعت حقائقه بآحادها، في حقيقة لها، بحقيقة له عين جماعها، وتجمعت هذه الحقائق بجمعها، في أكبر وأكبر من حقه المطلق، في الله ذي المعارج. هذا ما جاء به أحد عبوديته عبدا، وأحد حقائقه حقا، وأحد حقيقته جماع حقائق، ومجتمع عباد، أمة في معناه، لفرد في معناها، فكان حقيقة بفرده وجمعه، بظاهره وباطنه، بخلقه وحقيقته، وبحقيقته وحقائقه، في معراج رقيه، قدوة وأسوة، رضيها الله، في قانون وجوده، وفي حق قيامه.

ما تابعه متابع إلا سلم، وما تنكب عن ركبه متنكب إلا ندم، (يأكل الذئب من الغنم القاصية)[١٩]. تجمعوا على التواصي بالحق، والتواصي بالصبر، حتى يوحد الله جمعكم، فتكن منكم أمة تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله، يجمع الله قلوبها على قلب منها، فيصبح وجهها الخاص لقائم الله عليها لجماعتها، وتصبح هي عنده له وجه الله الخاص كذلك، فهو لها وجه الله الخاص، وهي له وجه الله الخاص، يشهدون وجه الله العام، في عموم الناس، في قديم الناس، في قادم الناس، في قائم الناس، فتقوم رسالتهم كأمة مؤمنة بالله على بصيرة بأئمتها في متابعة أول العابدين، يحل الله عقدة ألسنتهم ليبينوا، ويشرح الله صدورهم ليَعلموا ويُعلموا، ويقوم الله عليهم برحمته ويصلهم بروحه ويؤيدهم بملائكته من النور وملائكته من النار حتى يصبروا ويصابروا. هذه هي أمتكم، يوم تعرفون لكم أمة، وتعرفونكم أمة، وتعرفونكم من أمة، {هذه أمتكم أمة واحدة، وأنا ربكم فاعبدوني}[٢٠]، يوم تشهدونكم عبدي ورسولي، فيه تقومون، ومنه تمتدون، وبنوره تسجدون، ولله به تُعبَّدون، فمحمد رسول الله والذين معه تبعثون، وهم بكم يعودون.

به، فيه، له، ينصركم الله على عوالم الجن والإنس والملك، يوم تشهدون أن لا إله إلا الله، حق وجودكم، وحق قيامكم، فتشهدون أن محمدا رسول الله، ظهير قيامكم وقبلة صلاتكم ومطاف حجيجكم، وعون رحمة الله لطالبه، ورحمة الله لكم، لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

اللهم يا من يسرت لنا لا إله إلا الله، فبها علمنا الله أكبر. اللهم يا من يسرت لنا لا إله إلا الله قولا وفعلا، ويقينا، فقمنا بها في الله أكبر، بيانا وعلما ويقينا عبادا لك. اللهم لا تقطعنا عن لا إله إلا الله، ولا توقفنا عن الله أكبر، واجعل عطاءنا منك على ما هديت وعلى ما وعدت غير مجذوذ، واجعل خلقنا فيك، بك، لك، غير منقوص، وانصرنا اللهم بك لك على عوالم الجن والإنس والملك، قولا وعلما وفعلا. اللهم لا تخرجنا من حصن وحدانيتك، باختيار العدم منا لنا، في جهل أنفسنا عنك، قياما منك، ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا، واعفُ عنا، واغفر لنا، وارحمنا، وعافنا من إقامة عدلك فينا، إلى قيام رحمتك بنا وقيام مغفرتك لنا. اللهم لا تجعل لنا ذنبا إلا غفرته، ولا نقصا إلا أكملته، ولا عملا صالحا إلا أتممته، ولا قياما طيبا إلا قبلته، لا إله إلا أنت إليك المصير، وولِ اللهم برحمتك أمورنا خيارنا، ولا تولِ بغضبتك أمورنا شرارنا، وارفع مقتك وغضبك عنا، وبرسولك فعافنا واعفُ عنا، واغفر لنا وارحمنا، وأشهدنا لا إله إلا الله، وأقمنا محمدا رسول الله، برحمتك يا أرحم الراحمين، وبمغفرتك وكرمك، وأنت الغفور الرحيم، ولا يغفر الذنوب إلا أنت.

أضواء على الطريق

(على ممر التاريخ كانت دائما قوة الروح هي التي أنتجت الثورات العظمى. رجال متواضعون ونساء متواضعات برسائل متواضعة ألهموها من عليّ، تكلموا عن إيمان وسمعهم عامة الناس مسرورين.

وهكذا تنزل قوة الروح مرة أخرى إلى محيطكم مصحوبة بتلك الحوادث نفسها التي كانت تظهر معها دائما عندما كانت تنزل في الأزمنة القديمة. العمي يبصرون، الصم يسمعون، الصحة تعطى للمريض، الأرواح الشريرة تطرد، والممسوس يتحرر وتجفف دموع النائحين.

إن عيون الروح مفتوحة والمضيفون الملائكيون يمكنهم أن يكشفوا عن أنفسهم في جلالهم. إنهم يطردون الخوف من الموت، يبينون أن الحب يستمر، يعرف أهله ويدافع عنهم. إنهم يبينون أن الإلهام ما زال يهبط، وأن قلوب الناس يمكن أن تتغير وعقولهم ممكن أن تتحرر، وأن القوة الدافعة يمكن أن تتشكل لتبحث على أداء خدمة أكبر. إن النفوس إذا خلت من التفكير في جزاء أو ثروة دنياوية تصبح مستعدة مرة أخرى عندما تلامسها هذه القوة لتشق طرائق عليا وشعبا شتى وتبشر بالأنباء الحسنى).

السيد (سلفربرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الحجرات - ٧

٢ سورة الفتح - ١٠

٣ سورة يوسف - ١٠٨

٤ سورة العنكبوت - ٦٩

٥ "هذَا هُوَ الَّذِي قُلْتُ عَنْهُ: يَأْتِي بَعْدِي، رَجُلٌ صَارَ قُدَّامِي، لأَنَّهُ كَانَ قَبْلِي." (إنجيل يوحنا ١: ٣٠).

٦ استلهاما من: "وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لاَ يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ وَلاَ يَعْرِفُهُ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ. لاَ أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى. إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ" (إنجيل يوحنا ١٤:١٦-١٨)

٧ حديث قدسي طويل: قال الله تعالى: "يا عبادي إنَّكم تخطئونَ باللَّيلِ والنَّهارِ وأنا أغفرُ الذَّنوبَ جميعًا ولا أبالي فاستغفروني أغفرْ لكم ... يا عبادي لو أنَّ أوَّلَكم وآخِرَكم وإنسَكم وجنَّكم كانوا على أتقى قلبِ رجلٍ واحدٍ منْكم ما زادَ ذلِكَ في مُلْكي شيئًا". صحيح مسلم.

٨ سورة النساء - ٤٨ , سورة النساء - ١١٦

٩ سورة الحج - ٥

١٠ سورة الشعراء - ٢١٨-٢١٩

١١ سورة طه - ١٣٢

١٢ سورة الأحزاب - ٦

١٣ سورة الإسراء - ١١٠

١٤ سورة الملك - ٤

١٥ سورة مريم - ٦٥

١٦ سورة الأنعام - ٩١

١٧ حديث شريف. صحيح البخاري. جاء أيضا: " والذي نفسُ مُحَمَّدٍ بيدِهِ لا يُؤْمِنُ أحدُكُم حتى يُحِبَّ لِأَخِيهِ ما يُحِبُّ لنفسِهِ من الخيرِ." أخرجه النسائي ومسلم.

١٨ إشارة إلى الحديث الشريف: "كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلا نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ، قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ الآنَ، وَاللَّهِ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الآنَ يَا عُمَرُ." صحيح البخاري. "والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين. "متفق عليه.

١٩ حديث شريف: "ما من ثلاثةٍ في قريةٍ ولا بَدْو لا تُقَام فيهِم الصلاةُ إلا قد استحوذَ عليهم الشيطانُ، عليكَ بالجماعةِ فإنّما يأكلُ الذئبُ من الغنمَ القاصيةَ". أخرجه أبو داود، والنسائي، واللفظ لهما، وأحمد باختلاف يسير.

٢٠ سورة الأنبياء - ٩٢

(٢١)

الإسلام والمسلمون
كتابا وقياما
في المسلم ومن أسلم له سلاما وتسليما لله

حديث الجمعة

٩ ذو الحجة ١٣٨٢ هـ - ٣ مايو ١٩٦٣ م

اللهم إنا بك آمنا، ولرسولك أسلمنا، وبه إليك توسلنا، وإليه أمرنا وكلنا، وعليك به توكلنا، وبه لك سجدنا فبكم قمنا، وبكم حيينا، وعبادا لكم أنفسنا أحييناً، اللهم لأنفسنا لا تكلنا، طرفة عين ولا أدنى من ذلك.

سبحانك اللهم، وسبحانك الله أكبر، وسبحانك فيما نعلم، وسبحانك فيما لا نعلم، لا إله إلا أنت، على ما نعلم، ولا إله إلا الله، على ما نؤمن، ولا إله غيرك، على ما تعلم، وعلى ما بك نعلم.

عباد الله.. خلق الله.. حقائق الله.. وجوه الله.. خلائق الله.. ذكر الله.. بيوت الله.. عوالم الله: أما آن لكم أن تُسلموا لله، على ما يليق بالإسلام لله! أما آن لكم أن تتقوا الله، على ما يليق بتقوى الله! أما آن لكم أن تعرفوا الله في أنفسكم، على ما يليق بالعرفان بالله، وعلى ما يكون العرفان بالله!

{إن الدين عند الله الإسلام}[١]، صدق الله، وصدق المسلم يوم قال {أسلمت وجهي لله}[٢]، إن الإسلام لله، مطلقا في وجوده، بغير حد لنعمته وجوده: إنما يكون لإنسانية الرشاد، يوم يسلم العقل للقلب ليكون عبدا، ويوم يسلم القلب للعقل ليكون ربا ممن وهبهم الله الحكمة، فاتصفوا عند الناس بالأنبياء، أو وُصفوا بينهم بالرسل الأبرياء، أو وصفهم الكتاب بالأئمة فالأولياء، والكل عباد للرحمن، والكل أعداء للشيطان، فياضة قلوبهم بماء الحياة، رحبة نفوسهم لعوالم الحياة، مشرقة عقولهم بنور الحياة، بالغة مرادها أياديهم بقدرة الحياة، غير مقيدة أرجلهم في ساحة الوجود بالحياة، يسيرون في فضاء الوجود بأحواض الحياة، فيملأون فراغ الوجود بالحياة.

إن من استمتع بالحياة فكان الحياة في بيئة الأحياء والحياة، فهو فرد في ذاته، لفرد أحياه، لفرد غاب عليه، فكان الإله، الأله له وربا لمن أحياه. بذلك كان العبد والرب في الله يدا الإنسان الإله وقدماه، وعيناه وأُذناه، ولسانه وشفتاه، آدما على صورته بناه، وفي معراج الرقي عبدا ارتقاه، ثم به حققه وعنه خلفه، فظهر وتعالى الله. غاب وتكنز إنسان الله، وتجلى فتواجد آدم الله، ثم تعالى وتجلى بعين معناه، ثم دانى وتجلى ذكرا لله، وتكنز ثم تكنز إلى ما شاء الله فكان بذلك الإنسان، بظاهره من البنيان، عَلَما على الإنسان، في تكنزه بالرحمة والإحسان، فظهر عبدا للرحمن، يمشي على الأرض هونا. وما كان غير ما تكنز، ممن له تَعبد، مستويا على عرشه، وما كان عرشه إلا الوجود وما شمل، فكان الرحمن غيب عبد الرحمن، يوم تُطلب الرحمة، ويعرف اسم الرحمن معية عبد الإحسان، فكان عبد الرحمن وجه الرحمن، يوم يرتقي الإنسان بالإنسان، في الإنسان إلى الإنسان.

هذا فرد الإنسان، وإن كان في ذاته ومعناه وجودا ومعناه، وعلى مثاله يكون بيت الإنسان بيتا لله، بيوتا تتعالى وتتكنز، فتتسامى، وترتقي وترشد، ببيوت لها تتدانى وتوضع. تتجدد وتتعدد، وتتكاثر، وتتوالد، تتجمع فتتوحد، وتتناثر فتتكاثر، وتتجدد، فتتعدد في تدان متجدد، لا توقف له، وفي تعالٍ متوحد، لا بدء، ولا انتهاء له. ذلكم الحق، على ما عَلَّمَه رسول الفطرة حقا، وعلى ما قدمه عبد الفطرة كتابا، وعلى ما قامه رب الفطرة ذكرا، وعلى ما عنونه إله الفطرة قدسا ووجودا، وعلى ما هداه إنسان الفطرة طريقا، وعلى ما أظهره حق الفطرة دينا، وعلى ما قامته حقيقة الفطرة روحا وحياة.

بعث الرسول بيننا، قديما متقادما، وجديدا متجددا، مؤزلا في عبوديته، مسرمدا في ربوبيته، لا يغيب في ألوهيته في وحدانيته بوجوده العبد لمعناه، بمعنى ربه، ووجه غيبه، لمعنى إلهه. جديد قديمه عبدا، وقديم جديده ربا، في دوام قيام به له. به شرف لفظ العبد، وتجلى وصف الرب، ورُحِمَ وصف الإله.

قائمه، للقيوم عليه، عين قيامه، والقائم عليه، بمعلومه عنه لقائمه، عين عِلمِه وعَلَمِه، فبإبرازه لعالم الحياة، وفي عالم البدء من الحياة، بعالم النشأة للحياة، قامت الحياة، وقام الحي القيوم، لا إله غيره، ولا معبود سواه، قام الحق لمن طلبه، وعُرف الحق لمن والاه. فكان إسلام الخلق للخالق، يوم يسلمون لرسوله، قائما بالحق، عين الحق، متكاثرا بالحق، عين وحدانيته، {وقل جاء الحق، وزهق الباطل}[٣]، {إن الدين عند الله الإسلام}[٤]، فما يكون الإسلام، وما يكون السلم، وما يكون السلام؟ لا يكون الإسلام إلا لمن يعرف المسلم وله يسلم. الإسلام إنما هو اجتماع المسلم على المسلم بالإسلام. فلمن يسلم من يطلب الإسلام؟ ألمجهول عليه يسلم! فكيف يسلم! إن الإسلام إنما هو من معلوم عبد عن معناه بوصف العبد، إلى معلوم رب له، عبدا للرحمن، أخوة في الله، وعبودية لله. يُسلم عبد لعبد،

فيكون على دينه، يتحاب عبد مع عبد، فيُحشر معه. يدخل عبد في عبد فيتوحد معه فيعلم عن وحدانية الله، فيدخل بيت الله، (لا دينونة الآن على من دخل في قلب يسوع)[٥] ، (أأجعل لك كل صلاتي يا رسول الله.. إذن تكفي همك ويُغفر ذنبك [يا عمر])[٦]، {يا أيتها النفس المطمئنة.. ادخلي في عبادي وادخلي جنتي}[٧].

إن الإسلام لمطلق الله لا يكون إلا لعبد مطلق في الله، بيته وداره عرضها السموات والأرض، هو غرفة ساحتها، وبيت قبلتها، ونصب وجهتها، (يتراءى أهل الغرف لأهل الجنة كَما تتراءى النجوم لأهل الأرض)[٨]، {جعلنا الشمس عليه دليلا}[٩]، {وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا}[١٠]. ما عرفه غير ربه. ذلكم الإنسان يوم يتواجد رسولا من أنفسنا، مجددا بدأه بالعبد الآدم لعين معناه بالإنسان إنسانا لله هو في قديمه لجديده موصوف الرب، وفي الأقدم عند جديده بموصوف الإله.

إن الإنسان يبدأ قيامه وحياته، بوصف العبد للرب له الذي هو بدوره عبد، والمربوب في الوقت نفسه في مكشوف عقيدته عن معبوده ذي المعارج باسم الله، لا يدرك عنده إلا بوصفه ذكرا له في إدراكه له على صورة وجوده مشهودا منه في حال بعثه بالحق.

فإذا حقق الكائن البشري لنفسه وصف العبد، ووصف الإنسان حقا وصدقا، فصار قياما حيا لا موقوتا بعارية الحياة، قياما لا يغيب ولا يفنى، ولا تحكمه الطبيعة أو الحدود والزمن عبدا لربه، فأحب أن يُعرف عند من كانوا قوما له، وعند من كان فردا منهم، {يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين}[١١]، فيرسله ربه مبعوثا بمعناه رحمة لقومه، أو يبعثه بالحق حال قيامه في الخلق، لا قياما في جلده، ولا سجينا في ذاته، ولا واقعا تحت ناموس طبيعته أو خاضعا لسلطان قهره، بل ليعطيه حق تجديد نفسه، على ما بدأ في دائرة ما هو في قائمه بعين معناه، فهو لا يعود أبدا إلى وصفه على ما منه ابتدأ، ولكنه بصورة ذلك، يتواجد آدما على صورته، يجدد معناه من بدء أديمه، بجديد آدمه، لا في حياة واحدة من التواجد المادي أو البشري، أو صورة واحدة من صور البشرية، بل في حيوات وفي عديد من الصور، ولا في عصر واحد من عصور الجنس، ولكنه في عصور وطبقات، {ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر}[١٢]. فأنت الآن مغفور القديم بحقي جديدك، لا فرق بينك وبينه. وأنت الآن بقائمك رحمة جديدك مغفورا في كل تجدد، لا فرق بينه وبينك، بغفران ما تأخر من ذنبك في كل محدث لك، فهو ذكر حقي حاضرك لتعرف أن ربك، في قديمك بك لك، ما كان إلا عبدا لله، وأن جديدك من قائمك لن يكون إلا عبدا لله، فلا تخدعك نفسك بالحق بك قام حقا لله، فما زِلت في حقك عبدا لله، ولكن خير عبودية لله أخرجها الله للناس، ليكونوا بها وبانتشارها، وبقيامها، وقيومها على قائمها عبادا لله، يعرفون الله في أنفسهم وفي تجمع أنفسهم على ما

هي في عبوديتها لله، فيكونون خير أمة أخرجت للناس، أمة وسطا بين أزلي الناس، وأبدي الناس، بقائم الناس، مظهرا وجوهرا ليقين الناس برب الناس، ملك الناس، إله الناس.

إن كلمات الله بالإنسان ببيوت الله يذكر فيها اسمه بالإنسان، كثيرة بلا بدء لها في الله الذي لا بدء له، وبلا انتهاء لها في الله الذي لا توقف لفعله في قائم وقادم أبدا على ما كان في أزل. وكلمات الله وبيوت الله والملائكة المقربون من الله وحملة عرش الله لا يستنكفون أن يكونوا عبادا لله، وإن كانوا في قيامهم أعلاما عليه ووجوها له وذكرا محدثا منه عنه لذكر قديم فيه.

إن الدين عند الله الإسلام يوم يعرف المسلم أنه عند الله، يوم يعرف المسلم أنه في دار الله وهو في دنياه، فإن لم يكن المرء عند الله فلمن يسلم بقائمه في قيامه؟ وكيف يكون الإسلام؟ فإذا قامت العقيدة على أنك لست عنده، ولست ظاهرا له، وأنه ليس ظاهرا لك، فكيف تقوم العلاقة بالإسلام؟ إن الإسلام قام على قائم وواقع الحياة، ومعالم ومعلوم الحياة، العقل أصله، والضمير روحه وحياته، والتأمل كتابه، والكسب طريقه، وتقوى الله مناسكه وشعائره، والحكمة غنيمته، والذات سفينته، والسلامة قيامته، والحياة ساعته، وتجديدها ناره، وجنته.

ما هو الإسلام؟ ومن هو المسلم؟ ما هي التقوى ومن هو التقي؟ ما هو الشقاء ومن هو الشقي؟ ما هو الغناء ومن هو الغني؟ ما هو البقاء ومن هو الباقي؟ ما هو البلاء ومن هو المبتلى؟ ما هو الرجاء ومن هو المرتجى؟ كل ذلك جاء به وبالجواب عليه إنسان العقل، وعقل الإنسان. جاء به إنسان النفس، ونفس الإنسان. جاء به إنسان الروح، وروح الإنسان. جاء به جديد الفطرة بقديمها، ومؤسس الإسلام دينا لها. جاء به الرسول، وقام به الرسل، رسولا لا انقضاء لرسالته، ولا بدء لها. هو معاني الرسول والرسالة في المرسل، رسول المرسل عنده أزلي الفعل في إرساله، أزلي القيام في قيامه على أبدي الناس، أبدي الوصف على ما كان في فعله برسوله، قائم الوصف في قيومه بقائم رسالته في قيامه رسولا من أنفسهم من قائمه على كل نفس.

فهل أسلم الناس لمن أسلم لربه من بينهم، فلم يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله؟ هل أسلم الناس لمن سَلم برضاء إلهه الذي ارتضاه في معراج من رضوان من الله أكبر؟ هل أسلم الناس لرسول الإسلام، ورسول العرفان بالله، وما يكون الإسلام إلا له؟ ومن أسلم له فقد بدأ وصف العبد لربه لقائم نفسه، وشرف بحق العبد وحقية العبد وقدسية العبد وشرف العبد، وهو في عبوديته ومعبوديته عين ربه، يحمل أمانة الحياة للحي القيوم، وأمانة الذكر لدوام المذكور، وأمانة الوجود لواجب الوجود، وأمانة الحق للمعروف بالحق، بها يعقل بحكمة ربه، وبها يفعل ما يشاء مشيئة ربه، وبها تنفعل له الأشياء على ما يريد إرادة ربه، بها يعلن نعمة الله على الناس وللناس وبالناس، لمن ينعم هو بدوره

عليه، فيظهر له راعي ربه، ويجعل منه عبدا لربه، يظهر له وجه ربه، ويجعل منه وجها بوصف عبده على وصف عينه، يتخلق بأخلاق ربه رفيقا أعلى، فيقول لرفيقه لا فرق بيني وبينك، فتُعرف به نعمة الله في شمولها لخلقه ولعباده ولحقائقه فيتواصى الجمع بالحق وبآلائه، وتقوم النجوى والترنم تحدثا بنعمة الله وحقه في حضرة وبيت وملأ إنسان نعمته واصطفائه، اتحدت ربوبيته بمعناه راعيا وربا، مصطفى من الله، مرضيا من الناس وعين معناه عبدا مُعبَّدا من الله، قدوة للناس عنده إليهم مرتضاة، فنعرف بذلك أن العبد حق، عين ما نعرف أن الرب حق، نعرف أن حقائق الله في معراج وجودها بوجوده بمعناه، بلا نهائي الحياة، ولانهائي الصفات، ولانهائي الفعل، ولانهائي الآيات، إنما يقوم بها الإنسان بجديده لقديمه، لا فرق بين قديمه وجديده، ولا فرق بين جديده وقديمه، فجديده بتجدده يتقادم، وقديمه بتدانيه لمظهر ظهوره يتجدد، إنا أعطيناك الكوثر، إن شانئك هو الأبتر، تقوم وتتقلب في الساجدين، يُسلم لك وجها لله المسلمون، ويؤمن بك حقا لله المؤمنون، ويبايعك يدا لله المتفانون، ويتقي غضب الله في أمرك المتقون، فيقيمون ويَقومُون شعائر الله، وإنها لمن تقوى القلوب يوم تحيا القلوب، يوم يفتحون كنوز قلوبهم لنور الله الذي أنزلنا معك، فتضيء صدورهم، وتحيا أرض قلوبهم، وتشرق الحياة بمشكاة الصدور من ذواتهم فتتجدد بالحياة أنفسهم، بعثا بالحق، ويُحَرر العقل من سجن مادته، فتعتق وتفك رقابهم من النار، يوم يزحزحون عنها مبرزة في دنيا قيامهم بشمسها وزمهريرها، ويدخلون الجنة قطوفها دانية في قائمهم من دنياهم يوم يفوزون بحريتهم، فيتعارفون إلى الأحرار من حقائق إنسانهم، وإنسانيتهم، فيعرفون عن الحق في أنفسهم، وعن الإله في معانيهم، وعن العبودية دوما لمبانيهم في دائم بنائهم متجددة متكاثرة متعددة من نعمة الله عليهم بأرواح نامية متوحدة لحقي قيامهم وأناهم في اسمهم "اللهم" لاسمه الله.

هذا هو دين القيمة، فإن كنت في قيامك مؤمنا بأنك عند الله، وفي داره وضيافته، وأن الله في قائمك معيتك بالحياة وقائم الناس ومعيتهم بالحياة، فابحث بينهم عن رسوله من أنفسهم وجه خصوص الناس، فأسلم له قياد مسيرك في ركب الحياة مع قافلة طالبيها من الأحياء حتى تسلم وتدخل دين الإسلام، فإن لم تعرفه ولم تعثر عليه علما بأنه لا يغيب ولا ينقطع فاشهد وجه الله لك في عموم الناس معك، واتقِ الله فيما حرم عليك، ولا تتجاوز ما أحل لك، وأقم شعائره مجاهدا، صافيا مجتهدا، خالصا من إرادة غيرك في أمر ربك، مخلصا في إرادتك له في نفسك، وخالق الناس بخلق حسن، واعلم أن المسلم من سلم الناس من يده ولسانه، واعمل عقلك فيما يلقي إليك، واستفت قلبك فيما يعن لك، وتوسل دائما بالرسول إلى ربك معك ليهديك إلى من يهديك إليه ويدلك عليه. فإن الله سيهديك السبيل، ويجمعك على الدليل، واعلم أن الاجتماع على الدليل غاية لا وسيلة في نوع حياتك، وفي الحيوات العليا، وأن الدين إنما يقوم في الاجتماع عليه والتعريف عن وصفه وصفاته ومعناه، (المرء

على دين خليله) [١٣]، (ويحشر المرء مع من أحب)[١٤]، (والمؤمن مرآة المؤمن)[١٥] ، {قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا}[١٦]، {الرحمن فاسأل به خبيرا}[١٧]، {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني}[١٨]، (أنا رحمة مهداة)[١٩]، {من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال}[٢٠].

ما أنزلت كتب السماء جميعا، وما بعث الله رسولا من رسله، ووجها من وجوه رسالته أزلية أبدية متصلة إلا ليقيم هذه المؤاخاة، ويحقق هذه الوحدانية بين المؤاخي والمتآخي، حتى يكون الرسول عين المرسل إليه، وحتى يكون المرسل إليه عين الرسول، فيحشر المؤمنون مع النبيين والصديقين وحسن أولئك رفيقا، يوم يُعرف كل أناس بإمامهم، يوم يعرفون كيف كان إبراهيم أمة، قانتا لله حنيفا، ويوم يقوم محمد لله أمة الناس جميعا زويت له الأرض وجعلت له مسجدا وطهورا، قانتا لله حنيفا أظهره على الدين كله ، وأظهره الدين كله، كما قام في قديم لله وقديم للناس أمة الناس خلت منهم الأرض وعمرت بهم السماء، قانتا لله حنيفا قبل أن يقومها إبراهيم أمة قانتا لله حنيفا، وهو إذ طلب إلينا أن نصلي عليه، كما صلى الله على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، والله وملائكته صلوا عليه قديما ويصلون عليه كلما تجدد في الناس في الساجدين لله، فإنما يطلب إلينا أن يحقق الله لجديده بنا، وجديده فينا، أمرا قام مع صورة قديم من قديم لجديد لجديده هي عين جديدها، أظهره الأقدم بجديده ليكون نبراسا للناس، جديدا لجديده بهم يقوم ويتقلب فيهم بنوره لظلامهم، ليكشف الرسول معنى بدئه بالحق بدءا، معادا لبدء لم يُبدأ وليعرف وينشر معنى قيامه بالحق انتهاءً لكل خلق في كوثر لا ينتهي، وبذلك أبرز الأمر الوسط فيه، ما عرفه في قيامه ومعناه غير ربه أزلا وأبدا في آزاله وآباده، ليكون على مثاله من يتجدد في الله بصلته به لفناء خلقه وقيام حقه، يوم يعلم أن إبراهيم ما تجدد بالحق في الله بصلة قامت، إلا مع قديم لجديد، قام به الحق في آدمه، فيعرف المؤمنون هدي الله يوم قال لهم كنتم خير أمة أخرجت للناس، فيدركوا كيف كان لهم ذلك، وأنه لهم لأنهم أمة وسطا، يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، وأنهم بذلك يكون لهم دوام التواجد بدوام التجدد في أبدي تواجد وتجدد الناس، {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر}[٢١]، وتؤمن بالله. إنها إرادة الغيب للشهادة المأمورة في قوله (ولتكن) فكيف لا يكون ذلك وهذه إرادته! وقد جعل ما أنتم عليه من كيان، الله قائم فيه على كل نفس وهو محل إرادته على ما أرادها، ومحل ظهورها على ما شاءها، فترك لكم منه به هذه الإرادة، تقومونها بإرادتكم إرادة لله على ما شاء في قوله {ولتكن منكم أمة}، وما تشاءون إلا أن يشاء الله. إن الأمة الوسط تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله قائما على كل نفس ومعية كل جمع تقوم وتتجدد، تغيب وتتعدد، تداني من غيبها برحمتها وإرادتها، وتغيب من دنوها بعلوها وخلاصها ونجدتها، ناموس الله في البشرية، على ما قامه

وأبرزه إنسان الناموس، وعبد الناموس، ورسول الناموس، وكتاب الناموس، من عرفناه عبد الله، ورسول الله، ومن عرَّفه الله الحق من الله، قل جاء الحق وزهق الباطل.

إن هذا الناموس دائم الفعل، وها أنتم في هذا الناموس تقومون، ولقيامه تعملون، ولنتائج فعله تنتظرون، وإنه لفاعل، ونحمد الله أنه بيننا وبنا وعلينا، لقائم، ولقد حققنا منه لأنفسنا الكثير من الغنائم، ولكن الناس في انتظار سفور، وبروز أمور، وظهور غيوب، وصدق نبوءات، وموعود آيات، وإنهم في رجائهم معذورون، وإن كانوا بهذا الرجاء مبتلون لأنهم لما جاءهم من الحق يجهلون، وعليه بينهم ينكرون، وكان الأجدر بهم أن يغتنموه في الله مجاهدين، وهم بالله فعلا يقومون، فأنفسهم بأحياء القلوب بينهم تتفتح لهم كنوزهم فيحيون، وقلوبهم بالله يربحون، وعقولهم بهديه حيا يطلقون، وما امتنع عليهم ذلك في عصر من العصور، أو بيئة من البيئات، أو في حكمة مما تلقوا من حكمة، أو قام بينهم من جديد حكمة، فلتكن إرادتهم على ما أرادها الله، ولتكن إرادة الله على ما يريدون، فسيتحقق لهم ما يرتقبون وما ينتظرون يوم أنهم إلى الله بحق يجأرون، ونحن في أيامه، إن كانوا لآيات الإرهاص له ينتبهون، فإن جديدا في سفور لأمر ينتظر لمرتقبون، وما هو في الحقيقة بحقيقة لأن أمر الله قائم في دوام، ولكنه كشف خبره عما فيه اختبروا، {لا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله}[٢٢]، ولكنهم بجهلهم لقلوبهم قبروا، وإن الله بالغ أمره، جعل لكل شيء سببا، فأعطى الإنسان معرفة الأسباب وتعقبها، فآتاه من كل شيء سببا، فأتبع سببا، فارتد إليه بصره خاسئا وهو حسير، فأحاط بنفسه محاطا بربه، وأحاط بنفس نفسه محاطة بعقله للعلم بربه محيطا بنفسه وعقله في العلم بما أحاط به من العلم عنه، وتسلسلت عنده الأسباب، فعرف المسبب للأسباب، وعرفه عبد المسبب ورب السبب. ذلكم الإنسان كما قدمه القرآن، وكما قامه العنوان، وكما شرُفَه من تابعه، فكان في الله عينه، وقام بشرف الله لرسوله، في شرف المصاحب لعبده ورسوله، لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

اللهم يا من جعلت من محمد سببا ظاهرا لرحمتك، وحوضا قديما لنعمتك، ووجها جديدا لطلعتك، وحقا فياضا بمغفرتك، يا من جعلته كتاب رسالتك، وقيام حجتك، وبيت قبلتك وساحة حجيجك لحضرتك. اللهم به فارحمنا، اللهم به فاغفر لنا، اللهم به بك فصلنا، اللهم به بك فأحينا، اللهم به بك فأمتنا عنا، اللهم به بك فابعثنا به بعثا بحقك، اللهم به ولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا، واشملنا برحمتك حكاما ومحكومين، وخذ بنواصينا إلى الخير، رعاة ومرعيين، وتولنا في الصغير والكبير من شأننا، وادفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم، وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم.

أضواء على الطريق

(أنتم الذين تعيشون في عالم مادي قد طلقتم الحقيقة. أعرف أنه من الصعب عليكم إدراك ذلك، لأن كل ما ترون يظهر محسوسا صلبا جامدا جدا. إن الجسم الذي تظهرون خلاله والعالم الذي تعيشون فيه والمنازل التي تسكنونها والطعام الذي تأكلونه، هذه تتهيأ لكم أنها وحدها هي أشكال الحقيقة. ومع ذلك فأنا أصر على أنها هي الظلال وليست الضوء الأبدي. إنه لا يمكنكم تصور عالم لا يساير حواسكم وعلى هذا لا تستطيعون فهم مستويات نشاط وحياة في مجالات وراء إدراككم. ولكنكم تصلحون بالاتصال بنا إلى تطوير مستوياتكم).

من هدي السيد (سلفربرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة آل عمران - ١٩

٢ سورة آل عمران - ٢٠

٣ سورة الإسراء - ٨١

٤ سورة آل عمران - ١٩

٥ استلهاما من "إِذًا لاَ شَيْءَ مِنَ الدَّيْنُونَةِ الآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، السَّالِكِينَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ بَلْ حَسَبَ الرُّوحِ." (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ٨: ١).

٦ حديث شريف عن الصحابي أبي ابن كعب: "أجعلُ لك صلاتي كلها يا رسول الله؟ قال: إذا تُكفى همك، ويُغفر لك ذنبك." رواه الترمذي وأحمد. (عبارة "يا عمر" يذكرها السيد رافع مع هذا الحديث الشريف في النسخة الأصلية)، ولكن نذكر هنا الحديث الشريف الموثق.

٧ من سورة الفجر – ٢٧، ٢٩، ٣٠

٨ من حديث شريف: "إنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِن فَوْقِهِمْ، كما يَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ في الأُفُقِ، مِنَ المَشْرِقِ أوِ المَغْرِبِ، لتَفَاضُلِ ما بيْنَهُمْ قالوا يا رَسولَ اللَّهِ تِلكَ مَنَازِلُ الأنْبِيَاءِ لا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قالَ: بَلَى والذي نَفْسِي بيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا باللَّهِ وصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ.". صحيح البخاري، وأخرجه مسلم باختلاف يسير.

٩ سورة الفرقان - ٤٥

١٠ سورة الأحزاب - ٤٦

١١ سورة يس – ٢٦، ٢٧

١٢ سورة الفتح - ٢

١٣ حديث شريف: " المرءُ على دينِ خليلِه فلينظرْ أحدُكم مَن يُخالِلُ." أخرجه أبو داود، وأحمد، والترمذي.

١٤ حديث شريف "المرء مع من أحب". أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود وأحمد.

١٥ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخُو المؤمنِ يكُفَّ عليه ضيْعتَه، ويَحوطُه من ورائِه.". أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني

١٦ سورة سبأ - ٤٦

١٧ سورة الفرقان- ٥٩

١٨ سورة يوسف - ١٠٨

١٩ حديث شريف: "إنما أنا رحمة مهداة." أخرجه ابن سعد والحكيم والحاكم.

٢٠ سورة إبراهيم - ٣١

٢١ سورة آل عمران - ١٠٤

٢٢ سورة آل عمران - ٦٤

(٢٢)

عيد

قديم في جديد

صار به الهيكل نصبا للبيت العتيد

وأضحى به القلب وليدا للقدس الفريد

نصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده

الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله

حديث عيد الأضحى

١٠ ذو الحجة ١٣٨٢ هـ - ٤ مايو ١٩٦٣ م

أشهد أن لا إله إلا الله، نصر عبده، نصر عبده دائما وأبدا، ما صدق في تعبيد نفسه لربه في مجال قيامه ومجال خدمته، على ما أراد عبده، مظهر إرادته وقيام مشيئته، له عنده ما يشاء يوم فنى عن نفسه فكان نفس ربه، ولو سأله لأعطاه، ولو استنصره لنصره. أغناه بالافتقار إليه، وكلما نما افتقاره إليه نما به غناه، عبد لا يعرف غير مولاه، ولا يشاهد فيما يشاهد غير مَرآه، يرفع في ذاته وبذاته عَلَم لا إله إلا الله، وتقوم رسالته عن عظمة ربه وعن عظمة قرب الله، بقائم هدي الله، من الأكبر لله رسولا، إلى قائم الله عبدا في وجود الله بآيات الله، يوم يغلِّب صفات الخير فيه على صفات الشر له فينصر حقه على خلقه، وخيره على شره، ووعيه على غرائزه.

ها نحن نردد في مثل هذا اليوم من كل عام شعارات الرسول، يوم قام في الناس عبدا لله، وذكرا لله، وحقا من الله، وبيت جماع جند الله، أغطش الله ليله وأخرج ضحاه، فرفع شعاره وشعار رسالته بأمته وبيته "الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله"، حتى يقدر الناس معبودهم وإلههم، وحتى يعرف الناس رحمته بالربوبية عليهم من أنفسهم برفيق وأعلى، وحتى يسلك الناس ويحقق الناس

حقي العبودية لمعانيهم، في ربهم من ربهم، وفي إلههم من إلههم بكشف غطاء المادة عن أرواحهم، فيشهدوهم عين مَن ربَّهم وعين من رعاهم في الله إلها لهم، وعين من تقدس عندهم والأقدس، وقد عبَّدهم في معناهم لمعاني العبد ولمعناه من ربه، وجه الحق له عندهم وجوها له، فيعرفون أن العبد حق، وأن الرب حق، وأن الإله حق، وأن هذه الحقائق من الله يجمعها الإنسان في قيامه بالحق، بفرده وبمجتمعه من جمعه في قيامه حول بيوت ذكره موضوعة، وفي قيامه في ذاته ببيت ربه بقلبه، بيوتا ترفع، وكلمات لله إليه تصعد يرفعها العمل الصالح.

الإنسان بهيكله، الإنسان بنفسه، عالم صغير في ذاته لعالم كبير في انتظاره، فيه ذكر الله، فيه عرفات الله، فيه بيت الله، فيه قبلة الله، فيه أرض الله، فيه شمس الله، فيه عَالَم الله. فيه وجود الله، يحمل اسم الله، ويُذكر فيه اسم الله، ويقوم بسم الله، ويتميز برحمة الله، يشهد الله أكبر، والله أكبر، والله أكبر، ويَعلَم ويُعلِمُ ويُعَلِّم الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله.

ها نحن نردد هذا الشعار في مثل هذا اليوم من كل عام، ونصلي على محمد، وعلى آل محمد، وعلى أصحاب محمد، وعلى أنصار محمد، وعلى أزواج محمد، وأخيرا وآخرا وعلى ذرية محمد، ما عرفنا محمدا ولا آل محمد، وما صحبنا بيننا أصحاب محمد، وما اجتمعنا في قائم أنصار محمد، وما عاملنا محمدا في ذرية محمد لا تبتر ولا تجز ولا تنقطع، ولا نسبنا أنفسنا إلى أزواج محمد بروح قدسه من عذراوات الطبيعة، ولكننا نردد شعارات محمد، ومحمد بيننا هباء، ليس له ولاء، وليس لنا فيه رجاء، وليس لنا به في الله ارتقاء أو رضاء. نردد لا إله إلا الله ولا إله لنا، ونردد محمدا رسول الله ولا رسول بيننا.

نذكر سلفنا صالحا، ونقوم قياما طالحا، لا نرجو فيه بيننا صالحا نرضاه، ولا نعترف بيننا بصالح نلقاه، بل نذكرنا كلنا بالكالح، ثم لا نطلب مع ذلك صلاحا، ولا تواصيا بحق، ولا مجاهدة على حق. ويوم نذكر الصلاح والصالح نتابع كل كالح باسم الصلاح وبوصف الصالح في مثل من حاضرنا ومن قديمنا.

هذا ما آل إليه أمر محمد في قومٍ زعموهم قومَه، وفي أمة زعمتها أمته، وما آلت إليه رسالته، توثّنت معانيها، أوثانا من أفعال وأوثانا من أقوال وأوثانا من مناسك. يذبحون في مثل هذا اليوم من كل عام ما يسمونه الفداء، أي فداء!! وعن من الفداء!! ومن هو كبش الفداء!! ولماذا شرع هذا المنسك؟ في رسالة محمد يقولون إنه شرع ليُذكِّر بمنسك نشأ في عصر إبراهيم، كما يذكّر بأمر تجدد في عصر عبد المطلب فكان تجديدا للمنسك القديم في ذاته، وإشارة لشرف ابن الذبيحين دون إدراك لما في هذه الإشارة أو هذا الشرف، وهو في الحقيقة أمر يشير إلى ما هو أخطر من ذلك بكثير. إنه يشير إلى ما يجب أن يبنى عليه أمر الدين، ويتكشف به أمر اليقين، يوم يطلب الإنسان لنفسه معنى اليقين، {فاقتلوا أنفسكم.. فتاب عليكم}[1]، (موتوا قبل أن تموتوا)[2]، (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا)[3]، {وإن الدار

الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون}[٤]، {ناقة الله وسقياها}[٥]. إن الحياة في الموت، {الله يتوفى الأنفس حين موتها، والتي لم تمت في منامها}[٦]، {فصلِ لربك وانحر}[٧]، هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}[٨].. {أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها}[٩].

إن منسك الفداء في الإسلام يشير إلى أن حيوان الإنسان في ذاته، يجب أن يكون فداء الإنسان بمعناه في حياته. لابد من قتل حيوان ذاتك التي تسجن في مادي قيامك روح معناك لإنسانك، {فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة}[١٠]، وهذا لا يكون لك إلا يوم تصاحب وتتابع عليه من تم له ذلك.

إن إنسان معناك في ذات قيامك، من يوم وجودك في ساعة حياتك على أرض شهودك، في يوم ذي مسغبة، {والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع}[١١]، إنما هو من يعنيك تحريره من سجنه، أما الدنيا فالدنيا قذرة، قذر ما فيها، عدا ذكر الله وما والاه، (الدنيا جيفة والناس كلابها)[١٢]، والقلب بإنسانه لا طعام له إلا ذكر الله، (أُذكر الله حتى يقولوا مجنون)[١٣]، (إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد وإن جلاؤها لذكر الله)[١٤] ... (ازرع كلمة الله في أرض ناسوتك)[١٥]، {وفي أنفسكم أفلا تبصرون}[١٦]، أقرب إليكم من حبل الوريد ومعكم أينما كنتم. إن الله قائم على كل نفس، تكسبه أو تخسره، تكسب به أو تخسر به، فهو على قيامها قائم، ومن ورائها محيط، سواء كان وجها أغبرا بفعلها، أو كان نضرا بفعلها، فهي اسم وذكر لشيطانه أو لرحمانه، سوف تفنى عنها يوما إلى إبلاس ينتظرها، فيه تنظر، أو إلى وجه للرحمن، به تُرحَم وتَرحَم.

هذا كله يقوم في منسك الفداء، يوم نعرف لم شُرِع لنا منسك الفداء، لنتعلم منه الفداء، فنستشهد في سبيل الله، ناحرين مادي وجودنا، وحيواني معاينا، بهيمة الأنعام وصفنا، والبهم قيامنا، بمسح أوانينا عنا إلى بيت رحمته وروح معناه ونور طلعته بعبده الكوثر والنور الذي أنزل معه قَيما لا عوج له، مُبينا على مكث فينا رسول البصيرة في أهل البصيرة بدوام أهلها.

وهذا ما خَفى علينا واحتجب عنا، وعن قيامنا لنحقق لقيام معاينا بمعاني الإنسان لنا بإنسان الله بيننا. وما الإنسان لنا إلا اسم الله، وذكر الله، وقيام الله، وجوها له، يوم نرفع عنا غشاء الحيوانية لنا لنقوم بمعنى الإنسانية في قيامنا.

هل أفدنا من هذا المنسك نؤديه وندعو له ونقوم فيه هذه السنون وهذه القرون؟ أم نحن مع ذلك على حال من الجحود مع الله أقرب إلينا من حبل الوريد، ووهم من تجسيدٍ لمعناه، بعيدا عن بيوت ذكره من قلوبنا لقوالبنا في صدورنا، بتجميد مناسكنا وتجسيد معانينا؟

ها نحن هذا العام يتعطل عندنا منسك الحج، فهلا استيقظنا إلى حكمة تعطيله وما تحمل من إشارة، وما تعطي لنا من عبارة، وإلى ما توجهنا إليه حكمة الله بآياته لإدراك الإعمال والتعطيل؟ هل تألمنا لتعطيل هذه الشعيرة من شعائر ديننا، وإن إقامة شعائر الله من تقوى القلوب يوم تدرك العقول للشعيرة معنى وحكمة؟ ولكنا ما تألمنا!! وما تألمنا!! وما تفكرنا!! وما اتعظنا وما تواصينا!! ألا نربط بين هذا وبين نبوءة الرسول ودلالتها يوم قال (حجوا قبل أن لا تحجوا)[١٧] أو قوله (بدأ الإسلام غريبا ويعود غريبا كما بدأ)[١٨]؟

إن القلوب بعيدة عن تقوى الله، بعيدةً عن شعائره، بعيدةً عن الإحساس بألم الفقدان لشعيرة أقامها الله، وأقبل عليها الناس بمحبة وصفاء ردحا من الزمان. وإن في تعطيلها وهي تؤدى على غير وجهها السليم إشارة إلى ما ينتظرها من تجديد، مع تجديد الإسلام وعقائده وأموره.

لقد أصبحنا في حال يجعل إتيان الشعيرة متعادلا مع إغفالها، فقد أصبح كلاهما سواء عند هؤلاء المسلمين من الأدعياء. ولعل في تعطيل الشعيرة بيان لما كان من إشارة في زلزلة بيت القبلة وتصدع سقفه وجدرانه وما فيه من واضح عبارة، وما في الأمرين من إرهاص لنبوءة هذه الأحداث لها سفارة، ولكن أين المتعظ!! أين المتأمل!! أين المتفكر في آيات الله في نفسه وفي الآفاق، وآيات الله تترى كل يوم وفي جميع الأرجاء، وفي كل الأحداث والأشياء!! وها هي في الشعائر تتواجد ليستيقظ أهل الشعائر من الناس، لما ترهص به أحداث الأرض، وترهص به أحداث السماء، عما ينتظرهم من موعود أمرهم ومنتظر نفوسهم، على ما وعدوا من سابق أمر قام بينهم، إعمالا للسنة الدائمة مع كل رسول إنذارا وبشرى لأمر يتجدد فيهم، به يتكشف لهم كسبهم وخسرانهم مع قائم أمرهم. إن يوم الفصل كان ميقاتا، للطاغين مآبا، لابثين فيه أحقابا. القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار. إن الله يبعث من في القبور. والله أنبتكم من الأرض نباتا. حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا أتاهم نصرنا. واصبر ما صبرك إلا بالله، ولا تحزن عليهم، ولا تك في ضيق مما يمكرون، إن الله مع الذين اتقوا، والذين هم محسنون. وها هي الأحداث ترهص ليوم الفصل في أمر محمد وأمته من الجنس وأهل كتابه من الناس.

لقد جاء الإسلام بقانون ثابت، {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون}[١٩]، وقد جعل من جهاد النفس جهادا أكبر. فمن قتل نفسه في مجاهدتها على طاعة الله

وخدمة عباده، بعثت بالنور الذي أُنزل مع رسوله، ولم يرفع معه، لبقائه حيا في قبره، ينتظر انشقاق الأرض عنه، بمولد عليها مرة أخرى، ليحدث الناس بما كانوا به لا يوقنون، مبعوثا بالمقام المحمود الذي وعد، وقد زويت له الأرض، وجعلت له مسجدا وطهورا، فهو يوم كل يوم من دعاتها بنوره تكاثرا، يمتد في أهل السجود في كل بلد، ولكل قوم هاد بلغة القوم ليبين لهم. وهو ليل سكينتها ليلا ساريا في جلود قيامها بأهلها من نباتها، نياما يستوفون معاني الحياة لأوانيهم ومعانيهم، حتى تلد الأرض، أَمةً لله، سيدها بوصف عبده ورسوله، قيامة لقائم الحق بها، من الحي القيوم عليها، روح الحياة العظيم في الأعظم في اللانهائي، به يقوم علما عليه حتى يتبين للناس، بعباد الرحمن بينهم أنه في الأرض إله، كما هو في السماء إله. وذلك بمداناة السماء بعباد الرحمن فيها، أرواحا مرشدة، لقائم الإرشاد لأهلها، يطلبونه كما يطلبه الملأ الأدنى الذي تعرفونه وراء أئمته ورواده، وليتبين لهذا الملأ ولذاك الملأ بجمعه للملأين فيهما، أن لا مكان ولا زمان لمنشود الإنسان في الرحمن، وأن الإنسان في العالمين، من عالم الذات أو عالم الروح هو اسم الله، وذكر الله، ووجه الله، والحق من الله، وروح الحياة، ونور الإله، وأن ما وعد به أهل الأرض من أمرهم في السماء، وما وعد به أهل السماء من أمرهم في الأرض إنما هي شئون دائمة القيام وقوانين للحياة دائمة الفعل، وآثارها دائمة التواجد، وأن الموت والمولد أمران متعاقبان في حياة الإنسان تعاقب الليل والنهار عليه، وأن الجنة والنار، والدنيا والآخرة كذلك أمور متعاقبة على الإنسان تعاقب الفصول، وأن الإنسان تحت الزمن وتحت الطبيعة غير الإنسان فوق الزمن وفوق الطبيعة، وأن إنسان ما فوق الطبيعة أوجد إنسان ما تحت الطبيعة ليتعارف إليه في إنسان الطبيعة، وأن شعيرة الهدي والنحر والفداء وملحقاتها من حركات منسك الحج، والأماكن المؤداة فيها وطبيعتها وشكلها إنما هي عبارات خرساء من الطبيعة الصامتة عن النطق، لتعبر عن صدق حكمة الحكماء من وعي إنسان ما فوق الطبيعة عن قوانين الحياة الثابتة، والتوجيه للإفادة منها.

اللهم يا من اصطفيت محمدا، واصطفيت به، واصطفيت منه، وجعلته صفاءً وريا، وأزهقت معاني الباطل منه وممن حوله، وأقمت معنى الحق به وبمن حوله، اللهم به فألحقنا، اللهم به فأوصلنا، اللهم به فاغفر لنا، اللهم به فارحمنا، اللهم به فتولَنا، اللهم به فأمتنا، اللهم بنا فابعثه، اللهم لنا فاجعله حقا منك وقياما لك، عبادا لك نقيم شعائرك على حق، فنشهد لا إله إلا الله، ونشهد محمدا رسول الله في قائم قيامنا ونعلنها حيث نوجد أو نتواجد في السموات وفي الأرض، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر. لا إله إلا الله.

أضواء على الطريق

(ألا ترون معي أن الإنسان قد فقد طريقه منذ سنوات كثيرة جدا؟ ومع الأسف فإن هؤلاء الذين كان عليهم أن يرشدوه ويقودوه، هؤلاء الذين كان عليهم أن يكونوا معلميه الروحيين، أصبحوا هم أنفسهم عميانا كقطيعهم. لقد تمرغوا في كل أنواع العقائد المذهبية. لقد أشاعوا طريقة لاهوتية من ظلام نفوسهم، وبنوا طبقات متتالية من التقاليد والعقائد الخرافية. واخترعوا الطقوس والخيالات وحصنوا الكنائس والمعابد والهياكل والمساجد لحساب خرافاتهم مجتهدين في أن يعملوا حاجزا بين الأطفال والروح الأعظم.

كتبوا سجلاتهم المقدسة وادعى كل جماعة أن كتابهم هم هو الأعلى وأنه هو الذي يحوي التنزيل الوحيد من الحق السماوي. وتجادلوا وتنازعوا مع الأسف في حقد ومرارة ونسوا روح الحب التي يجب أن تسكن في كل المتدينين.

لقد طردوا النبي والولي والحكيم والصوفي. لقد صلبوا المعلمين وأعدموا من سموهم بالخوارج. لقد رفضوا السماح للروح الأعظم بأن يسمع خلال آلاته. لم يكن هناك في نظمهم العقيمة مكان ليظهر فيه الصوت الحي للروح الأعظم. وأبوا أن تقوم بينهم عين بصيرة. علموا أن كل قوة قد تركزت فيهم وأنه لا يوجد أحد يستطيع الاقتراب من الروح الأعظم إلا رجل الدين. ومع وجود قديسين كثيرين بينهم فلقد كانوا دائما متأخرين عن وضعهم وخدمتهم لقوة الروح التي يمكنها وحدها خلق الدين الحقيقي ومساعدة الإنسان للوقوف على قدميه).

من هدي السيد (سلفربرش

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة البقرة - ٥٤

٢ حديث شريف. المحدث: الزرقاني، ولكن لم يثبت سنده، ويوافق الحديث الشريف: "كُنْ في الدُّنيا كأنَّك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ وعُدَّ نفسَك في الموتَى". أخرجه البخاري.

٣ قول للإمام عليّ كرم الله وجهه. المحدث: السيوطي. المصدر: الدرر المنتثرة.

٤ سورة العنكبوت - ٦٤

٥ سورة الشمس - ١٣

٦ سورة الزمر - ٤٢

٧ سورة الكوثر - ٢

٨ سورة الشعراء - ٢١٨-٢١٩"

٩ سورة الأنعام-١٢٢

١٠ سورة البلد - ١١-١٣

١١ سورة الطارق - ١١:١٢

١٢ من حديث شريف ذكره السيوطي بلفظ: "الدنيا جيفة، والناس كلابها". وأخرج الديلمي عن عليّ مرفوعاً: أوحى الله إلى داود: يا داود، مثل الدنيا كمثل جيفة جمعت عليها الكلاب يجرونها، أفتحب أن تكون مثلهم فتجرها معهم"؟ أيضا: "قال علي بن أبي طالب الدنيا جيفة، فمن أرادها فليصبر على مخالطة الكلاب." المصدر: الموضوعات للصغاني. وعند أبي نعيم عن يوسف ابن أسباط.

١٣ حديث شريف: "أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون." الراوي: أبو سعيد الخدري، أخرجه أحمد، وابن حبان، والحاكم في ((المستدرك)).

١٤ جاء هذا الحديث الشريف بأكثر من صيغة: " إنَّ هذه القلوبَ تصدأَ كما يصدأَ الحديدُ، قيل: يا رسولَ اللهِ فما جلاؤُها؟ قال: قراءةُ القرآنِ." أخرجه ابن عدي، وأبو نعيم، والبيهقي باختلاف يسير. و "إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد إذا أصابه الماء، قيل: يا رسول الله وما جلاؤها؟ قال: كثرة ذكر الموت، وتلاوة القرآن. كما أخرجه البيهقي، والطبراني، والديلمي، بلفظ: "إن للقلوب صدأ كصدأ النحاس وجلاؤها الاستغفار."

١٥ استلهاما من تعاليم السيد المسيح وهو يدعو حواريه أن يزرعوا "الكلمة" أي كلمة الله، أي المسيح في أرض ذواتهم.

١٦ سورة الذاريات - ٢١

١٧ حديث شريف: "حجوا قبلَ أن لا تحجّوا قالوا وما شأنُ الحجِّ يا رسولَ اللهِ؟ قال يفعلهُ أعرابُها على أذنابِ أوديتِها فلا يصلُ إلى الحجِّ أحدٌ". رواه البيهقي والدارقطني.

١٨ حديث شريف: "بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ غريبا." صحيح مسلم.

١٩ سورة آل عمران - ١٦٩

(٢٣)

الدين

هدى وعلم وحياة وبناء
للفرد والبيت والجمع
في البشرية الخالدة والإنسانية الأزلية
محله الذات فالوطن فالأرض فالكون

حديث الجمعة

١٦ ذو الحجة ١٣٨٢ هـ - ١٠ مايو ١٩٦٣ م

أعوذ بالله، روح قيامي، ورجاء سلامي.

وأستعين بالله قائما على نفسي، لعين قيامي، ولذات حسي.

وأستغفر الله من غفلاتي، ومن زلاتي، ومن جهلي بمحوي عني إلى وحدانية قيامه، وإلى شمول سلامه.

جاءنا منا، وتكلم لنا عنا، بلغة الكلام عنه، والفضل منه، ليُعلِمَنا، ويُعلّمنا، ويقيمنا، ويقومنا، لا إله إلا الله، والله أكبر، في المعروف لنا بمعارفنا، وواجب الوجود لوجودنا بوجودنا.

هدانا إلى دين الفطرة في معنانا، وعرَّفنا وكشف لنا أن الفطرة قائمة في قيام مبنانا.

خاطبنا، وألهمنا، وقادنا، وعلمنا، أن العقل أصل الدين في الفطرة.

فعرفنا الفطرة دينا ومتدينا، وعرفنا العقل رسولا ومرسلا، وعرفنا الحق ربا وعبدا...

يوم تتجمع العقول ليتواجد بها النفس الشامل، والعقل الكامل...

ويوم تتجمع أطوار الفطرة في ذوات الفطرة، من أبناء السماء والأرض، وأبناء السماء وأبناء الأرض، فيتواجد في تجمعهم وتناسقهم وحدانية للفطرة، تقودها وحدانية للعقل.

إن قيام الوحدانية لوحدة الفطرة لا يعطل الحرية الكاملة لمفردات الفطرة، تهتز وتترنم لتنمو وتتزايد، تتكثر لتتناثر في انفلاقها، وتنمو لتتكاثر بمفرداتها لوحداتها، وتتوحد في ائتلافها، فتكبر في وحدتها، وتتعدد في صفاتها.

يقودها العقل في جميع ألوانه وبجميع معارجه وأطواره، تتابعه في تناسق بين ألوانه ومعارجه، تتقبل مفرداتها لمستويات معارجه، وينمو في معراج الفطرة وأطوارها، ما تواجد في جلبابه. بذلك كانت البشرية وهي الإنسانية الصغرى مظهرا للإنسانية الكبرى، وبذلك كان التناسق بين مفردات العقل، في مستوياته، ومفردات الفطرة في أطوارها، وهو ما يتكشف للمتأمل في وحدانية العقل في معناه لهذه البشرية وهي دانية للفطرة في ذواتها، في وحدتها بذاتها في معناها. وبذلك كان إدراك اجتماع العقل على جلباب فطرته، وتقبل الفطرة بظاهرها لغيبها، يقوم بها، تنفعل به ويفعل بها، هو غاية العالم الباحث عن علل حوادث الحياة بظاهرها، وكان في ذلك الدين، والعلم، والسياسة، ما استقام الساسة، وما صدق العلماء، وما ظهرت الطريق، وما اتبع الحق، وما رغب الناس في الله وقد خلقهم لنفسه، وهو لهم فيهم الراغب.

ولكن الناس نسوا أمرهم، يقولون بأفواههم نشدانا له، ما ليس في قلوبهم إيمانا به، فتنحرف بهم الطريق، وتلتوي بهم المسالك، ويختفي من أمام نواظرهم مستقيم المعارج، فيبحثون عن الحق خارج أنفسهم، وبعيدا عن وجودهم، وبعيدا عن قيامهم، واهمين أنهم بذلك لله منزهين، وله موحدين، وبوصفه له مفرِدين، وبعيدا عن قيامه، هم المخلوقين.

لا يرونه في فطرة، ولا في استقامة دين، ومؤسس الدين يقول لهم الإسلام دين الفطرة، والعقل أصل ديني، والله قائم على كل نفس وأقرب إليها من حبل الوريد. فالفطرة هي القيام والكائن المسلم. إن الشمس مسلمة، وإن القمر مسلم، وإن الأرض مسلمة، أمة طيعة، لربها خاضعة، ولأطفالها راعية مرضعة، معها يتحدث ولها ينادي وإليها يوحي. ولن يكون الإنسان مسلما لله إلا إذا كانت علاقته بالله كعلاقة قلبه بذاته. يقوم فيه الله قيام هذه السيارات فيه. لا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا ولا حياة ولا نشورا.

إن الفطرة، وما فيها، إن الوجود وما فيه، إن العوالم وما فيها، إن البشرية بجماعها ومفرداتها، قيام فطري، مسلم لله، قائم بالله القائم على كل نفس من مفرداته، والآخذة به كل نفس من فطرتها ما

كسبت بحق فطرتها، وبحق قيامه عليها ترد إليها أعمالها، إن خيرا فخير وإن شرا فشر، عليها ما اكتسبت اعتداءً على حقوق غيرها، ولها ما كسبت إنتاجا وإثمارا من طبيعي قيامها. ذاتها في مطلقها ذات الروح لها من روح اللانهائي بذاته وروحه.

العقل رسول حقها إليها، وقائدها إليه، وما الحق إلا كمال فطرتها واستنارة عقلها. وما الحق إلا استكمال دورتها وكمال معراجها في ذاتها، وفى معناها من الشهادة والغيب لها. الشهادة قيامها بفطرتها، والغيب معقول عقلها لقيامها عن روح الحياة لها.

فالإنسان البشرى إذا لم يبدأ وعيه وفعله وأنانيته وصلاته بمعاني صلته بحقه بدءًا من قيامه، فلا قيام ولا وجود له، ولا كسب للفطرة بمعناها تعبيرا بأناه لغيبه في قدمه بأزلي نوعه في قديمه، بقيام غيبه في قادمه، لأبدى نوعه من قائمه بعين كمال قديمه يوم يقوم بالحقيقة فيعقلها، وما يعقل إلا نفسه وفطرته، ولا يحيط بشيء من العلم عن الحقيقة إلا بما شاءت حقيقته أن تُشهده في قائمه، قائما منها وقائما بها، بإنارة عقله، وإشعال جذوة الحياة في نفسه، وإشراق النور، وإشعال النار في كوة ومشكاة ظلامه، من ذات قيامه في صدره.

إن الإنسان لربه لكنود، إذا ما أخذته نسائم الاتصال في لمحة من صفاء، صادفت فيضا من عطاء، فتكشف له الأمر من ثقب من الغطاء، استكبر واستعلى وظنه الرب الأعلى. فوهم أنه للناس ربا يوم قدَّر أنه لله ذكرا ووجها. ولم يقدر أن الناس ما صدقوا الله طلبا كانوا لله وجها، وأن الإنسان من الإنس والجان ممكن من التخلص من جلبابه من الطين والنار إلى جلباب من النور ما نارت الطريق أمامه، واتخذ من الرسول إمامه، يوم يعرف الرسول معنى في قائم جنسه لكل طبقة، ولكل عصر، ولكل حق، وفي كل أمة، وفى كل جمع،{ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر}[1]، ويؤمنون بالله، وأن الدين بُني على اعتقاد الناس وجها لرب الناس عند الفرد والجماعة في قيام المعاملة مع الله، ربا للمتعامل والمتَعامل معه قصدت مرضاته عندهما فيما تعاملا فيه.

إن الذات وغيوبها من القديم والقادم إنما هي بأنانيتها لمعناها في معراج دائم، ما بدأت الحياة وأشعلت مصباح الحياة لمعراجها إلى الروح الأعظم. فالروح الأعظم في روح الحياة اللانهائي كشفا عن قديمها لحاضرها من الذات والروح والمعنى. تواجدت في جلبابها من الفطرة ثم انطلقت في جلابيبها من النور بمعانيها من العقل بتكرار ذواتها إلى روح جمعها، ثم هي في معراجها في قادمها من قيام ذاتها، إلى الأقدس لعين ذاتها في قادم، ترجوه لمعناها بتجديد أناها، بعثا بالحق، وإشراقا به، على صورة به أظهر، وفي قيام به أكبر، هي في هذا تنشد ما تسميه الذات الأقدس، والذات الأقدس، ويطول بنا إسناد عنعنة حتى إلى الذات. فالذات في القيام ذات مقدس، ومرجوها لذاتها إنما هو طلب لمعناها في معنى

الذات الأقدس، وفى تحررها من المادة روحا منطلقة تنشد الروح الأعظم، فطلب الروح الأعظم لروحك في روح الحياة الأعظم اللانهائي والذات الأقدس لذاتك في ذات الوجود المطلق اللانهائي إنما هو ما تتواصى به مع أخيك في الطريق المستقيم، لينشده نشدانك، وليطلبه عنوانه وعنوانك، فإن توحدتما عليه طلبا هديتم إليه سبيلا ومسلكا. وإن هذا الذي تنشدانه والذي تعنونانه، يعنونه في الوجود معنون لا يغيب ولا ينقطع مع كل تواجد تواجده بوجود، حققه لنفسه في الوجود محقق أكبر بنفس أكبر في قِدَم لا بدء له، وفى قيام منفعل لا يتوقف انفعاله وفعله إلى معراج وإلى كمال لا يتناهى، وسيبقى ذلك دائما وأبدا يظهر لطالبه ما طلبه، ويحققه لنفسه من سار على الدرب، وكل آت قريب، ومن سار على الدرب وصل، وقد جعل التواصي بالصبر قرين التواصي بالحق أساسا للتحقق، ومفارقة وصف الخلق، وبلوغ معنى الحق مع خبير به، على بصيرة من أمره.

يضطرب مجتمع البشرية وما هو في الحقيقة بمضطرب، ويستهدي مجتمع البشرية وما هو في الحقيقة بضال، ويضل مجتمع البشرية وما هو في الحقيقة بمهتدي، ويتفرق مجتمع البشرية وما هو في الحق بمتفرق، ويتجمع مجتمع البشرية وما هو في الحق بمُجتمع. إنه على ما هو هو مجتمع البشرية في صمدية الفطرة، وفى دائرة كفاية العقل، لا يقع في ملك الحق القائم به إلا ما يريد، ولا تختل موازين الحق على ما أقامها بالخلق، ولكن الرسالة والهدى والدين جاء لمفردات الناس في مجتمعهم ولتجمعاتهم وحدات في إنسانيتهم، ولعموم مجتمع البشرية كقيام منفرد في مجتمع من نوعه في مفردات على مثاله، كشفا لها عن معناها في قيامها بالله حتى تحمد نعمته، باستقامتها لها تتجنب مسالك الهلاك من فعلها لمفرداتها وتجمعاتها، وقد منَّ عليها روح الحياة لها بالحياة منه قيوما عليها بنوعها، وبجنسها، وبغيبها لوحدتها، جمعها في ألوهيتها حقا منه وفى ظاهر وحدانيتها عبدا له، وشتتها في أسمائه وصفاته قياما به واستوى بمحصلة وحدتها، في أحديتها، على عرش فطرتها، قياما واحدا، لا تعدد فيه ولا اختلاج له من أرضها إلى عرشها بسمواتها.

وقف على أرضها بأقدامه إنسان الوجود وإنسان الحياة، عمم بالشمس هامة رجاله لكريم وجهه دلالة عليه، وخفف على الأرض وطأته إنسان الله وإنسان الحياة وإنسان الفطرة. لا يستقيم أمر الفرد في البشرية كفرد مسئول عن ذاته يوم تكون له روح وذات، ومسئول عن بيته يوم يكون له بيت ولبيته أهل، ومسئول عن جمعه يوم يكون له جمع ويكون جمعه أمة، ومسئول عن سلطانه يوم يكون له سلطان بعزة الله للمؤمنين، ومسئول عن ضعفه يوم يكون له ضعف وافتقار إلى ربه، لا يستقيم أمره ما لم يجمع بين ظاهره وغيبه، وما ظاهره إلا الفطرة عبدا، وما غيبه إلا العقل ربا، وما

الحق له يوم يعرفه إلا يوم يستوي العقل بربوبيته على نفسه بفطرته، فيدخل عاصمة عالمه وملكه من بيت قلبه وديوان حكمه غازيا مستويا على عرشه في عالم ذاته.

إن الفطرة في الإنسان لذاته لأناه إذا لم تحكم عبدا من القلب ديوانا وسلطانا لحساب العقل ربا ونورا فلا حياة للإنسان، ولا بعث له، ولا ذاتا أقدس له، ولا روحا أعظم له، ولا معنىً للحياة به، فلا كائن له ولا كينونة، فقد اختار الهلاك والعدم بشيئيته لشيئه، {كل من عليها فان}[٢]، وقد رضي لنفسه حاضره بوصفه من الهلاك والعدم فحقق له قانون الحياة ما اختار لنفسه. ويبقى من اختار البقاء بذكر الله هو في معيته، ولنور الله في عقله، متجها لقبلة الله في قلبه، ولعرش الله في قيامه، ولكرسي الله في قدرته وفعله، فشهد أنه لا إله إلا الله يوم تابع من كان كذلك، ومن بعثه الله بذلك، فكان له ما له، فقام نفسه على ما قامه، فكان بصيرته وحكمته وسلامه، وكان كتابه وبعثه وقيامه، يقوم ويتقلب في الساجدين. فما أعطي الكوثر إلا لخير الناس، رحمة من رب الناس ورب العالمين، فشهد أن محمدا رسول الله، يوم عرفه محمدا رسول الله.

محمد رسول الله والذين معه بهم يتكاثر، وبه يفنون عن أنفسهم مخاصمة لله إلى قيامه ونفسه نفسا مصالحة لله، فتحيا معانيهم بأناه، قائمة في رحب معناه أمة الله، وعباد الله، وحضرة الله، وأسماء الله، وحقائق الله، ووجوه الله، وعالم الرشاد لحضرة الحياة.

من رآه رآه حقا، يوم كان به في الحق حقا. ما رآه من رآه خلقا وهو في مفروض قيامه على ساحل الحياة، لم يخض بحرها، ولم يبلغ جزيرتها، ولم يضع بعد قدمه على أرضها؟ وكيف يعرف الحياة من لم يذق الحياة؟ وكيف يعرف الله من لم يصدق الله، ومن لم يؤمن بالله، ومن لم يُسلم لرسول الله، فيشهد به أنه الله، ليرى الله؟ وكيف يرى الله من ليس هو الله؟ تأمل قول القائل: أنا إن رأيت حبيبي فبأي عين أراه، بعينه لا بعيني أراه فما يراه سواه. وتأمل في قوله تعالى {لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير}[٣] ...

يقولون لا إله إلا الله، بأفواههم ولا محل لها في قلوبهم، ولا قيام لها في عقولهم، ولا حياة لها في ضمائرهم، ولا صفاء بها أو لها في نفوسهم وأعمالهم. فكيف يكسب الحياة من أنكر على الحياة وهو قائم في الحياة؟ {الله لا إله إلا هو الحي القيوم}[٤]. فكيف ينكر الأحياء على الحياة وتبقى لهم الحياة، والحي القيوم في غناء عنهم غني عن العالمين، غني بنفسه، غني بحقه، غني بتكاثره، غني بتعدده، غني بوحدانيته في كل قيام، وفى كل تعدد وبكل وجه؟ يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد.

فما باعد الناس بينهم وبين الناس، وهو جماع عقولهم، وهو جماع قلوبهم، وهو جماع ضمائرهم، وهو جماع ذواتهم، وهو وحدة قيامهم في حاضرهم وشهودهم، وهو معنى غيوبهم لقائمهم، وهو قديمهم لموجودهم، وقادمهم لقائمهم، ما باعد الناس بينهم وبين الله في تباعدهم عن التئام وحدتهم، باعدوا بينهم وبين أن ينتظم لهم أمر في أنفسهم، أفرادا أو جماعات، أو ينتظم لهم أمر في تحقيق عدل أو حرية أو سلام. ها أنتم هنا لا يغيب عليكم هذا الأمر وأنتم في بيت من بيوت الله، وساحة من ساحات الله. تأملوا فهو ظاهر لنواظركم، فهل تأملتم؟ إن البشرية اليوم بجماعها تحن إلى السلام، وتريد أن تخفف من حدة الخصام، وهى تشعر بخطر الحرب على ما كشفت لنفسها من أسرار الفطرة، ومكنة تسخيرها لإرادتها بعقولها من نور الله، وهي اليوم مشفقة على الأرض وعلى جنسها من نزعة فعلها، وتخشى غضبة لا تملك زمامها، واندفاعة تفلت من ضوابط العقل في قيادها، وهي ترجو بكل جوارحها وهي صادقة أن تصل إلى نزع لهذا السلاح الخطير من الأرض، ولكنها لا تستطيع أن تصل في هذا إلى غايتها، ولِمَ؟ لأنها لا تذكر الله في رغبتها حتى تستطيع أن تتحقق لها. إنها تريد أن تحقق هذه الغاية، وهذا الهدف، بيدها وبسلطانها وبمكنتها، وهي تراها عاجزة عنه، ولا تدرك علة عجزها. وليس لعجزها علة إلا لأنها أغفلت أن العقل في نورانيته، وأن العقل في انطلاقته، وأن العقل في حريته، وأن العقل في سلطانه، ما خضعت له خضعت لله، ما أدركته أدركت الله، ما آمنته آمنت بالله، ما استمدته أمدها الله، ما استنارته أنار الطريق أمامها الله، ولكنها تريد أن تخضعه لنزوات النفوس لساستها. فريق يقول إنه يؤمن بالإنسان وينكر على الإنسان أنه ذكر لله، وهو ما يذكر بالإنسان إلا جلبابه من التراب. ليته يؤمن بالإنسان، وما الإنسان إلا عين الرحمن. من آمن بالإنسان حق الإيمان قديما أزليا، وباقيا أبديا، وجديدا سرمديا، ظاهرا لباطن وباطنا لظاهر، آمن بالرحمن وعرفه حق العرفان، ومن آمن بالرحمن للإنسان حق الإيمان عرفه عين الإنسان، وعرف الإنسان له عين العنوان، وعرفه روح الكيان لذات الكيان، بروح الإنسان لذات الإنسان. وفريق يقول بالله وأبوة الله وهم غارقون في المادة بعيدون عن الله وعن روح الله وعن كلمات الله. وآخرون يقولون بالرحمن وعبودية الإنسان وهم لا يؤمنون بالإنسان عبدا ولا ربا ولا عنوانا لرحيم أو رحمان لأنهم لا يؤمنون بالرحمن حق الإيمان. فمثلهم مثل الذين يقولون بالإنسان ولا يعرفون الإنسان عين الرحمن، لأنهم لا يؤمنون بالإنسان حق الإيمان حتى يتكشف لهم فيه الرحمن.

إن البشرية في قيامها في هذا العصر، قائمة على ما قامت فيه في كل عصر مظلم من ليالي قيامها، قليل منها لله الشكور، والله لجماعها الغفور، لو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة.

إن إرهاصا لبارقة من النور الإلهي في طريقها إلى الأرض، تنشق الأرض عن أوانيها لاستقبالها، أمر بدت بوادره، وتدرك معالمه لمدرك إذ يتكشف بريقها لناظر. إن الأرض مقبلة على إشراقة لشمس الله، وكم أشرق عليها الله بنوره. إن الأرض، تتهيأ لزيارة من الله في قانون فعله، وفى دائم وقائم سنته، {أولم يروا أنَّا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها}[٥]، استوى إلى الأرض فظهر في ثياب أهلها، فقدر فيها أقواتها في يومين برسالتين، {ثم استوى إلى السماء}[٦] فظهر في ثياب أهلها، فأوحى في كل سماء أمرها فسواهن سبع سماوات في أربعة أيام من أيام الله برسالاته، {إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع}[٧]، {هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك}[٨]، (إن لله في أيام دهركم لنفحات فتعرضوا لها)[٩]. إن داركم بالنسبة لكم أمر دائم قائم لا بدء له ولا انتهاء، ولكن الله له في دهركم أيام، هي إشراقات أيامه بنفحات قيامه بذكر محدث لقديم، يرسل رسله امتداد يده، ليبايع الناس على أنفسهم مرتضية نفوس الرسل عندهم لمنشود مثاليتهم، والله معطيهم ما أعطى رسله ما ارتضوهم لأنفسهم قياما لهم. فإذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فذروا الانشغال بدنياكم واسعوا إلى ذكر الله. إذا ظهر وجه الله رسولا من أنفسكم، مشرقا باسم الله، قائما بذكر الله، داعيا إلى بيت الله من أنفسكم، فاتحا لكم أبواب البيت فيكم، كاشفا لكم غطاء المادة عنكم لتروا معانيكم من الروح من الروح الأعظم لروح الحياة، فسارعوا إلى مغفرة من ربكم ورحمة مهداة، ولا تصدوا أنفسكم عن حوض الله وعن طريق الله. وهنا يقول الرسول (مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك)[١٠]، وقد امتد قيام الرسول بعترته متجددة مع تجدد الخلق قرونا. وها هي السماء ترجعه أمة من المرشدين. وها هي الأرض تتهيأ لتنشق عنه أمة من المصلحين. ونحن نخشى أن تستحق على الناس ضريبة الدم إذا بقوا في لجاجتهم للسماء مخاصمين فتبطش بهم بطشة كبرى تعم فتشمل الظالمين وغير الظالمين، تجابه كل جاحد، وتقهر كل معاند. لقد كان للناس من قبلها أن يكونوا لله وجوها على ما هي وجوهه بالصالحين منهم، ولكن إذا ظهرت آياته لا خفاء ولا حجاب، لا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا. {يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا}[١١]، {يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون}[١٢] .

لقد انتهى الأمر وانقضى الليل وأشرق الفجر، فالناس بين مُكرم بالله، ومنظر من الله لجولة أخرى لوجه لله. إن السماء بأحداثها، وإن الأرض بأحداثها ترهص لهذه الساعة من ساعات الله ولهذا اليوم، يُشفق منه المؤمنون به دائم قيام يوم يطلبون الله في سلام، فيجيبهم لما طلبوا في سلام، فيدركون وطأة السلام على خصوم السلام، فيشفقون من أمر الله لأنهم يعلمون أن أمر الله قائم، وأن الله في قيامه على الناس دائم، وإنما هي دورات الزمان في دهر الإنسان بأيام العنوان، نفحات من

الخالق لخلقه، وفيوضات من الخالق لخلقه بعباده، وقيام للخالق في صور من خلقه بعباد الرحمن، وقد برز الناس لله جميعا الواحد القهار في قيامة عارمة لا شريك له، رب الشيطان ورب الرحمن ورب كل شيء، باطن كل شيء والظاهر بكل شيء. لا شريك له من شيء. في إرادته الشيطان قبل الرحمن. {أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا}[١٣].

إذا لم يكن الدين في حياة الإنسان في نفسه، وفي حياة الإنسان في بيته، وفي حياة الإنسان في جمعه، وفي حياة الإنسان في وطنه وفي أمته، وفي حياة الإنسان في أرضه وإنسانيته، فلِمَ يكون عقيدة؟ ولَمَ يسمَ دين؟ وفيمَ الحرص عليه والعصبية له؟ وما أسس الدين بين الناس إلا ليكون في خيرهم، في قيامهم، وفي قادمهم، وفي قديمهم، يكفرون بحاضرهم عن سوءات قديمهم، ويبعثون في قادمهم بصفاء حاضرهم، وبمنظورهم ومدركهم من مثالية يرتضونها لأنفسهم. الدين هو سعادة المتدين في نفسه، وفي عقله، وفي ذاته وحسه أولا، ثم فيمن يحب ثانيا، ثم في انتصاره على ما يكره لنفسه، وما يكره فيمن يحب أو يكره ثالثا، ثم في انتشاره بما عرف وقبل لنفسه في كل ما يحيط به، وفي كل ما يعلم وما لا يعلم رسولا ممن يعلم ومن يعلم أنه فيمن يعلم ويعلِّم.

فهل عرفنا الدين فسعدنا بالدين؟ هل عرفنا الدين فخرجنا من الشقاء في قيامنا بلا دين؟ إن القيام في الله مسعد لا شقاء فيه، وإن الدخول في الدين مسعد لا بلاء فيه، ولكن الدين كشف البلاء لمن لا دين له، وحذر الابتلاء فيمن قام في الغفلة عن ربه وعن دينه، وبشر بالجزاء لمن أحسن فوجد ما عمل حاضرا، وحذر لمن حرم نفسه العطاء، يوم يُظهره على كتابه، على ما هو مما لا يرضى.

إن الذي حمله التبليغ إليك تبشيرا أو تحذيرا بأنه يكون، إنما هو كائن، وقد كان في قديم، المرة قبل المرة في أزل، وسيكون المرة بعد المرة في أبد، وهو قائم في حاضر على ما كان وعلى ما سيكون. إنك في حاضرك دخلت هذه الدنيا برضاك، وعلى محصلة ما فعلت من قديم في قديم وأقدم، وما دخلتها إلا زاعما أنك قادر على أن تحقق لنفسك في قيامك هذا ما فاتك في قديمك بأقدم يوم علمت نفسك ما قدمت وأخرت، فأنت آت إلى هذا القيام من سابقة قيام، وهو تطهير لك، ومغفرة له عن سابق فعل لك، فتواصى اليوم بالحق واصبر لأمر ربك، فإن كنت آت لإيصال خير للناس بناءً على طلبك، فلا تشكو من هذه الحياة على قسوتها، لأن هذا نظامها، وأنفق مما جعل الله لك، {يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين}[١٤]، {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين}[١٥]، { وبالحق أنزلناه وبالحق نزل }[١٦] نعم، هي رغبة منك يحققها لك القانون. ها أنت تبعث بين قومك وفي جلباب نفس من أنفسهم، على مثال ما تخلصت منه، ولكنك رغبت في العودة إليهم، ونحن لا نعيب عليك الرغبة في العودة، ولا نعيب عليك الإحساس بالمشقة، فقد غفرنا لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، ذكر إن

نفعت الذكرى، سيذكر من يخشى، ويتجنبها الأشقى. {إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد}[١٧]، {وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث}[١٨] {لتبين لهم}[١٩] {لا يمسه إلا المطهرون}[٢٠] {ثم إنَّ علينا بيانه}[٢١] {فإذا قرأناه فاتبع قرآنه}[٢٢] لتؤسس سنة الله فيهم، (أُمة مذنبة ورب غفور)[٢٣]، (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون [قدري])[٢٤]. هكذا قال المغفور الغافر، فقال له ربه {اصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون}[٢٥]، فاجمع بهم جمعك، وأصلح بهم أمرك، واصبر حتى تحقق لهم معناك بما هو معناك على ما تعلم ولا يعلمون، حتى يعلموا أنك الحق من ربهم، وأنك الأكبر لهم في قيامهم ما أكبروك، وأنك وجه الله إليهم ما تابعوك، وأنك الحق من الإطلاق عليهم ما تحققوك، فإذا انتظم جمع ملائكة إنسان حقك، واتحد فيك ملؤك إيمانا بك من إيمان بربك، فابطش البطشة الكبرى، {طأها ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى}[٢٦]، أغطش ليلهم وأخرج ضحاهم، واجمعهم في معناك نياما، وابعثهم بك فيك بمعناك لمعناك قياما. فيومئذ يجيبون الداعي منك لا عوج له، وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا. {إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا}[٢٧] {ما قدروا الله حق قدره}[٢٨] {والأرض جميعا قبضته يوم القيامة}[٢٩] وأنت للناس يده على دوام {إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم}[٣٠] {وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى}[٣١] {عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا}[٣٢] {الأرض يرثها عبادي الصالحون}[٣٣].

يا أيها الناس، (إذا كانت القيامة انقطع كل نسب وحسب وسبب وصهر إلا نسبي وحسبي وسببي وصهري)[٣٤]. (أقربكم مني منازل في القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون)[٣٥]، لا أكثركم صلاة وصياما أو سجودا وقياما، ولكن أكثركم سلما وسلاما، (من رآني فقد رآني حقا)[٣٦]، { وقل جاء الحق وزهق الباطل }[٣٧]، (المسلم من سلم الناس من يده ولسانه)[٣٨]، { وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث}[٣٩] لك بينهم، وعسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا عندهم، فتنشق الأرض عن سيدها يوم تنشق الأرض عنك جديدا لك، وبعثا لقديم منك دابة تمشي عليها، تكلم الناس أنهم كانوا بآياتنا لا يوقنون، في أمة من المؤمنين الصالحين المصلحين العارفين، جندا مظفرا لله ورسوله رب العالمين. لا إله إلا الله محمد رسول الله.

اللهم يا من جعلت بمحمد رحمة مدانية منك، وجعلت به لنا وجها وطلعة لك، جددتها بلا انقطاع، وكثرتها بلا امتناع، ونشرتها في كل الأرض والبقاع، بحكمة تُسمع، وببلاغة تروى، وبهدي مستقيم به ينتفع. اللهم به فألحقنا، وبنوره فاهدنا، وحوضه أوردنا، وماء الحياة من سمائه أمطرنا، وبركبه في ملكوت السموات ومعارجها والأراضين ومهادها وخواتيمها بكلماتك فألحقنا، ومعه إذا رجع إلى هذه

الأرض وغيرها فأرجعنا، وجنودا له ملحقين بركبه فألحقنا، ووجوه طلعته للناس فشرفنا، ولِ به أمورنا خيارنا رحمة بنا، ولا تولِ به مخاصما منا أمورنا شرارنا، عدلا منك، وعافنا واعف عنا، واغفر لنا وارحمنا، روادا ومرودين، حكاما ومحكومين، قادة ومتابعين. واجعل اللهم خير أعمالنا خواتيمها، في مرضاته مرضاة لك، وفي وسيلته شفاعة عندك، وفي وصلته طريقا إليك.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

أضواء على الطريق

(إنكم ترون الآن ما فعله اتصالكم بقوة الروح هذه السنين القلائل في تقويم جماعة قليلة من الناس. هذا يمكن مضاعفته ملايين المرات في ربوع عالمكم. إن المعرفة تطرد الجهل والعميان الذين فقدوا في الظلام يمكنهم أن يفتحوا عيونهم ويتحققوا من الخطة التي تقف وراء الكون كله).

من هدي السيد (سلفربرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة آل عمران - ١٠٤
٢ سورة الرحمن - ٢٦
٣ سورة الأنعام - ١٠٣
٤ سورة البقرة - ٢٥٥
٥ سورة الرعد - ٤١
٦ سورة فصلت - ١١
٧ سورة الجمعة - ٩
٨ سورة الأنعام - ١٥٨
٩ إشارة إلى الحديث الشريف: "إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها"، رواه الطبراني في "الكبير" وذكره الغزالي في الإحياء.
١٠ حديث شريف: "مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق." أخرجه الحاكم في المستدرك.
١١ سورة طه - ١٠٨
١٢ سورة المعارج- ٤٣
١٣ سورة مريم - ٨٣
١٤ سورة يس - ٢٦-٢٧
١٥ سورة الأنبياء - ١٠٧

١٦ سورة الإسراء - ١٠٥

١٧ سورة القصص - ٨٥

١٨ سورة الإسراء- ١٠٦

١٩ سورة النحل - ٦٤

٢٠ سورة الواقعة - ٧٩

٢١ سورة القيامة - ١٩

٢٢ سورة القيامة - ١٨

٢٣ حديث شريف: "دَخَلْتُ الجنةَ فرأَيْتُ في عارِضَتَيِ الجنةِ مكتوبًا ثلاثةُ أَسْطُرٍ بالذهبِ – لا بماءِ الذهبِ: السَّطْرُ الأولُ: لا إله إلا اللهُ مُحَمَّدٌ رسولُ اللهِ. والسَّطْرُ الثاني: ما قَدَّمْنا وَجَدْنا، وما أَكَلْنا رَبِحْنا، وما خَلَّفْنَا خَسِرْنا. والسَّطْرُ الثالثُ: أُمَّةٌ مُذْنِبَةٌ ورَبٌّ غَفُورٌ". أخرجه الرافعي في تاريخه (٣/ ٩١) ، الإمام أبو القاسم في تاريخ قزوين، وابن النجار في تاريخ بغداد عن أنس ابن مالك. ويعتبره المحدثون ضعيف الإسناد.

٢٤ حديث شريف. أخرجه البخاري ومسلم.

٢٥ سورة النحل – ١٢٧، ١٢٨

٢٦ سورة طه - ١-٣

٢٧ سورة مريم - ٩٣

٢٨ سورة الحج - ٧٤

٢٩ سورة الزمر - ٦٧

٣٠ سورة الفتح - ١٠

٣١ سورة الأنفال - ١٧

٣٢ سورة الإسراء - ٧٩

٣٣ سورة الأنبياء - ١٠٥

٣٤ حديث شريف: "كلُّ نسَبٍ وصِهرٍ ينقطع يومَ القيامةِ إلا نسَبي وصِهْري". رواه الطبراني، والحاكم، والبيهقي، ورواه أحمد في مسنده، كما جاء أيضا بلفظ: "كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي." أخرجه ابن عساكر في ((تاريخ دمشق)).

٣٥ حديث شريف: "إن أحبكم إليّ أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون، وإن أبغضكم إليّ المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة". أخرجه أحمد والطبراني وابن حبان.

٣٦ إشارة إلى الحديث الشريف: مَن رآنِي فقَدْ رَأَى الحَقَّ؛ فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَكَوَّنُنِي." صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَن رآنِي في المَنامِ فقَدْ رآنِي، فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَشبه بي". صحيح ابن حبان.

٣٧ سورة الإسراء - ٨١

٣٨ حديث شريف: "ألا أَخْبِرُكُمْ بالمؤمنينَ؟ مَنْ أَمِنَهُ الناسُ على أَمْوَالِهِمْ وأَنْفُسِهِمْ، والمسلمُ مَنْ سَلِمَ الناسُ من لسانِهِ ويَدِه، والمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نفسَهُ في طَاعَةِ اللهِ، والمُهاجِرُ مَنْ هجرَ الخَطَايا والذُّنُوبَ". صحيح ابن حبان

٣٩ سورة الإسراء - ١٠٦

(٢٤)

الإنسان
بين كثيفه ولطيفه لظلامه وناره ونوره
عبد ورب وإله
في الله بالله

حديث الجمعة

١ محرم ١٣٨٣ هـ - ٢٤ مايو ١٩٦٣ م

باسم الرحيم الرحمن من الله، باسم القيوم الحي من الحياة، باسم الله أشهده في وجوده الله وأنه لا إله إلا الله، وأشهد به محمدا رسول الله. أشهده عبد الله وأشهد أن إنسان الله هو اسم الله وذكر الله، وهو الرحمن الرحيم من الله، وأنه خليل طلعته، وحبيب رحمته، وعبد عظمته، ووجه جلاله، ويد قدرته، وساحة إحسانه، وسفين الخلاص والغفران بعنوانه.

فما يكون الإنسان. وما أدرانا ما الإنسان. ومتى الإنسان. وأين الإنسان. وما يعنون الإنسان، وما وراء الإنسان وما بعد الإنسان. ومن يهدنا إلى الإنسان؟ أغير الإنسان! ومن يجمعنا على الإنسان؟ أغير الإنسان! ومن يكوننا الإنسان؟ أغير الإنسان! هل آمنا بالإنسان؟ هل عرفنا الإنسان؟ هل طلبنانا الإنسان! هل تواجدنانا الإنسان! هل أحيينانا الإنسان! وهل جلباب الإنسان هو الإنسان!

فكيف يتكلم الإنسان عن الرحمن ورب الرحمن، وعن الخالق والخلق ورب الخلق ورب الخالق، وعن العبد وعن المعبود، وهو لا يعرف شيئا عن نفسه، ولا عن معنى ظاهره وغيبه، ولا عن إنسانه نباتا، أو إنسانه حيوانا، أو إنسانه حيا وإنسانا لا يعرف شيئا عنه بين سافلين وتحت سافلين وعين سافلين، ولا رجاء له إلى عليين، ولا محاولة له للتخلص من وصف السافلين، أو بيئة السافلين.

يتحدث الإنسان في مختلف مستوياته من الانحطاط والرقي، وبمختلف مستوياته من الوعي والجهل، وفي مختلف ألوانه بأثوابه من التكوين والانعدام، عما يسميه لنفسه لفظا الله، بحثا عما يتخيله من أمر

عن حقيقة الوجود من حوله وله، والذي لا يخفى عليه أمر جلبابه منه بوهم معناه أنه على ما يشبه العدم بالنسبة لأرض نشأته، والتي هي بدورها ذرة في صحراء مع الوجود المطلق الذي يرى عجزه عن إدراك سعته بكمه، وعجزه عن إدراك زمنه ببدئه، وعجزه عن إدراك عمره بانتهائه ناسبا له معاني البدء والانتهاء بقاصر فلسفته وتحريفا لما بين يديه من تبليغ السماء تشبيها له بما تتصف له به عنده نفسه بجلبابه من أمر بدء وانتهاء، دون نظر لأمر جنسه الذي يجهل عنه أمر البدء والانتهاء أيضا. وقد يكون هناك تقابل بينهما من حيث الفرد والجنس للعالم الواحد والوجود المجهول وفي الكشف عن أحدهما كشف عن الآخر. والإنسان في جهل بهما يطرق الطريق للوعي عنهما ولكنه وهو يطلب وعي القيام الأكبر بالقيام الأصغر، إنما يبدأ إلى المعرفة طريقا خاطئا ويطرق بابا مغلقا، وكل بدء خاطئ لا ينتهي إلا إلى نتيجة خاطئة.

الإنسان بهذا التفكير عن الموجد له بعيدا عن قائم معناه والموجد للكون بعيدا عن قائم معناه كذلك، يتجاوز قدرته، ويُحمل نفسه ما لا تطيق. ويخطئ السبيل إلى ما يرغب معرفته والإحاطة به. وينحرف عن الحق والجادة وسواء السبيل فيبتعد رويدا رويدا عن نفسه وعن الكون والكينونة إلى خيالات وأوهام باسم المعرفة، يتواجدها أوهاما لمعناه باسم الحق عنده له جاهلا بما فيه من الحق القادر الخالق للمعاني والصور الذي يجهله بجهله عن حقي قيامه ومعناه، ظَاهَرَه بفعله وجفاه بعاطفته وأنكر عليه معنى الحق له ومعنى مطلوبه للمعرفة منه فخدعته نفسه بظلامها وتخادع الحق بها لها اختبارا واصطبارا. ولو أن الإنسان بدأ بالتفكير في أمر نفسه وقيامه وما فيه من الحياة والحركة وقدرته وعجزه، وبدئه وانتهائه، ويقظته ونومه، وجلبابه ومعناه وحاضره من ماضيه ومستقبله من حاضره، ووحدة معناه لمعانيه، وعجزه عن متابعة ماضيه إلى ابتداء، وقصوره عن متابعة قادمه إلى انتهاء، اللهم إلا إلى ما هو فيه من حاضره بجلبابه ومعناه لا يعرف لمفرداته دوام بذواتها ولا انقطاع بتعددها، من أصول إلى فروع خلال حاضرها تحمل فروعها صور ومعاني وحياة أصولها، وتُحمل صوَرها لامتدادها بتجدداتها في تعددها بتكاثرها على ما هدى بالأديان وبحكمتها من قبلها وبعدها.

إن الذي يقتضيه ما في الإنسان من عقل أن يوجه همه إلى نفسه ودراسة نفسه، ومحاولة كشف ما هو كامن في نفسه من أمور ليست بعيدة عن إدراكه وتقديره وحسه ومتناول عقله، وأن يتعقب بدءا من حاضرها بأمرها، وقابلات تطورها ومظاهره إلى قادمها، ثم يرتد فيتعقب بما عرف من أمرها أمرها في حاضرها من سابقها. فإذا تلاقى طرفا المستقيم عند الحاضر استكملت عنده دائرة اللانهاية حول مركزها من ذاته وأمره. فإذا أدرك ذلك لنفسه مع مرشده على ما هدى بدأ حقه في دوام التواجد بالتكاثر في جميع المستويات لأنانيته، وعرف واجبه في الانتشار فيمن دونه من فرعه وأصله

بجنسه في جميع المستويات بمعانيه، وهو ما نسميه الرب والأب أو الآب بصلاحيته للإرشاد، وما يسميه الحق المطلق بالعبد في حال دوام بقائه في الاسترشاد بالأعلى، واقتصار إرشاده على متابعيه في دوام استرشاده.

إن الإنسان في أغلفته من التراب والنار والنور والروح يبحث عن ربه، يبحث عمن يرعاه ويعينه ويرشده، يبحث عمن يحسه في نفسه، يبحث عمن يتخلقه كادحا فيلاقيه في نفسه بحبه يوما، فإذا هو لا يراه إلا بإدراك وتحقيق وحدانيته معه إنه الأبوة العلوية والروحية، إنه إنسان الكمال الأول له، إنه إنسان الرفيق الأعلى له، إنه إنسان الله والحق منه، إنه الرسول من أهل طبيعته وأصل أبوته وهو يبحث عن إلهه، فيرتد إليه طرفه بعين مولاه ليُريه مراده في قائم معناه إذ أن الإنسان بين لطيفه وكثيفه، وبين كثيفه ولطيفه، كثيفا فأكثف، ولطيفا فألطف، لا تتناهى لطائفه، ولا تعد كثائفه. وهو ما بين كثيفه ولطيفه حقي وخلقي بمعناه بهما تتفاضل في تعددها كثائفه كما تتفاضل في توحدها لطائفه، يَرُب بكثيفه لطيفه يوم يكون كثيفه تكاثف لطائفه لأحدية معناه، ويَرُب بلطيف، كثيفه يوم يكون لطيفه انطلاق كثائفه من أحدية معناه. فالإنسان بين وصف العبد له، ووصف الرب له لكثيفه أو للطيفه سواء على لطيفه بكثيفه ذاتا ومركزا له، أو على كثيفه بلطيفه محيطا به ومتسعا له. كما يصح ويمكن أن يكون الإنسان قيام متحد يحمل وصف العبد والرب لقائمه، بمعناه إنسانا في وحدانيته وكماله وتمامه، في خلة كثيفه للطيفه وخلة لطيفه لكثيفه في وحدانية قائمة لهما، مركزها أحدهما للآخر ولا فرق بينهما.

يبحث الإنسان كشيء مخلوق عن كائن هو له خالق وعن الأعلى. وهو لو بدأ من واقعه من الحاضر لوجد فيه ما يطلب الوصول إليه ولأمسك بطرف الحبل، يوم يكشف له الغطاء عن نفسه ولمده إلى من يمسكه، ممن يحب له ما يحب لنفسه، أو من يحبه مؤثرا له على نفسه من الأكبر من إنسان حبه واعتقاده على ما هدي.

إن بذرة التفاح لا تعطي إلا شجرة تفاح، وإن نواة التمر لا تعطي شجرة برتقال. فكل ثمرة من أصل لها من شجرة حملت صفات الأصل في نواتها وتغلفت نواتها بالتافه من أمرها جلبابا لها وطعاما للإنسان والحيوان لتستخدمهما في العمل على بقاء نوعها، وذلك من حكمة أصلها وخالقها ومتجليها، ولم تضفي على أسباب تجددها من البذور إغراء الاستهلاك، وان أضفتها على أغلفتها من الثمار لتتفتح لها أبواب الهلاك بأفواه القيام الحيواني إلى النار الكبرى به من أجهزة هاضمة لما يحيط به وتحتويه، بها يتشتت الثمار إلى ما يندمج فيه مما احتواه منهما اندماجا في الأعلى وفناء فيه، وإلى ما رده إلى ربه من مصدره من الأرض بما يصدر عنه من فضلات طعامه في دورة حتمية منتظمة لتعاد صياغته على ما كان. وبذلك تتعاون الشجرة مع الإنسان والحيوان على بقاء نوعها وعلى بقاء نوعه لخدمة البقاء لنوعها.

إن كل بذرة بثمرة وإن حملت صفات الشجرة الا أنها لا تملك لنفسها حتمية الشجرة لها. ولكن لها هذه الفرصة إذا صادفتها من حظها يد الزارع وفرصة المزرعة. فالإنسان إذ يبحث عن الكائن الخالق إنما يبحث عن الأصل الأول لمعناه، والقانون والمنطق والعقل يجيبه إنه عين حاضره بقائمه وبمعناه لا يختلف عنه في شيء، ولا يخرج عن القانون الحاكم للشجرة والثمرة، ولظروف الشجرة والثمرة والزارع والمزرعة. وفي هذا يقول الرسول (كلكم لآدم وآدم من تراب)[1]، ويقول الكتاب الرباني في تسوية بذرة الشجرة بالشجرة في قانون التواجد الحتمي {كرمنا بني آدم}[2] كما يقول {إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون}[3] {إن الله اصطفى آدم}[4] كما اصطفي من المكرمين من أبنائه (نوحا وآل إبراهيم). كما يقول الكتاب في رباط دنيا الحياة وحاضرها بأمس الحياة وسمائها وقادمها {وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع}[5]. إن الدنيا مزرعة الآخرة.

كائن من تراب هو آدم وكائن من تراب هو عيسى كلاهما من تراب تلقى أحدهما أمرا ليكون، فكان آدم بعمله إنسانا ويكون عيسى يوم يكون بعمله آدما وإنسانا كذلك، تمسكه يد الله نفسا مستوفاة كما أمسكت نفس آدم من قبل بالغيب، فكان روحا مرشدا عاملا وأبا ملبيا مُنادىً، وكما أمسكت نفس آدم من بعد بالشهادة بمحمد يقوم ويتقلب في الساجدين بما جاء به من قانون التكاثر النوعي، وتمام الكلمة الذاتية لذاته، جعل له الخلد بشرا وروحا. {كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء}[6]. وبذلك كانت بشرية الأرض وجوها لآدم واحد أمسكته يد القدرة بأصله وفرعه فكانت حضرة من حضرات الله في مسجد له من مساجد له، {وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا}[7]. حرمت الإمامة العامة للجنس فيه على غير الله ورسوله فكانت مسجدا حراما على غيرهما، تظهر فيه كلماتهما لقيادة مجتمعاته إلى اليوم المعلوم بظهور الله ورسوله فيه على أهله لأهله بأهله، {وبرزوا لله جميعا}[8] هم منه وإليه لا شريك له. وهذا ما يدركه ويقومه الموحدون المؤمنون بالله ورسوله، ويشفقون منه على مستعجليه ممن لا يؤمنون به قائما في قيامهم لما في قيامه قبل صلاح الناس له من وطأة الحق ورسوله على المكذبين لهما.

فالإنسان هو الشجرة وهو بذور الثمرة وهو الزارع وهو المزرعة. وكل جديد له يحمل بدء قديمه منه على ما بدأ كما يحمل عين صلاحية قديمه إلى ما إليه صار. شجرة مثمرة وزارع ومزرعة.

الإنسان يُحسن فيكون إحسانا، ويؤمن فيكون إيمانا، ويعرف فيكون كتابا وعرفانا، يترفع عن الكثيف واللطيف لحقي معناه، ويرى في الكثيف واللطيف خلقي معناه سواء كان من التراب وأثيره لدثاره بهما، أو من النار وطاقته بها، أو من النور وضوئه، أو من الروح وإرادته. إنه يرى المكان لوصفه بذاته تتطور، والزمان لقيامه بصفاته تتعدد، والصور لتعبيره في كثيفه ولطيفه عن إرادته وحكمته بقائم

كثيفه ولطيفه في وحدتهما لقائمه. الدنيا وصف كثيفه يوما للآخرة لها بلطيفه، والدنيا وصف لطيفه يوما للآخرة لها بكثيفه، هو بين لطيفه وكثيفه بين معاني الدائرة ومركزها لوصفه، يوم يكون الدائرة عبدا، لمركزها ربا، سجد لطيفه لكثيفه بالصلاة صلة بين العبد وربه، ويوم يكون الدائرة ربا، لمركزها عبدا، سجد الكثيف للطيفه، ربا محيطا، متخللا.

إن الإنسان، إذا سما لإدراك معناه كإنسان، في لا نهائي الحياة هي له، لكان في معناه، لمعناه الحي والحياة، بمعناه اللانهائي، فظهر بمعاني القيوم بالحياة بالحي لمعناه لجديد معناه من عمله بمعناه تعريفا بمعناه فكان معنى الله في معناه بمعناه لمعناه، اسما، وذكرا، لمن عناه نخصه بالحياة، من معناه بلانهائي الحياة، بمعنى سيده ومولاه. والواقع أن العلاقة بين الأحياء بلانهائي الحياة لا تعرف التفرقة لهما ولا التمييز بينهما، فمن قام بالحياة فكان الحياة فهو لانهائي الحياة لا سيد له، ولا مولى له، فهو المسود، القائم بسيده، هو الموجود، القائم بموجده، هو المشهود القائم بشهادته لنفسه لشهوده في أحديته لوجوده، وواحديته لأسمائه وصفاته بموجوده حقا لحقائق من حقائق، ووجودا لوجود من وجود لا حصر لعالمه، من مثال موجوده، ومن عين وجوده، لا يستنكف أن يكون عبدا لقائمه أو للانهائيه، وأن يعرف بوصف العبد له، ولا يستنكف أن يكون في خدمة مجتمعه وجنسه وجوها للأعلى من معناه لمعناه. ينفر من سيادته على الناس ذكرا لمن ساده وسوده على حاضره ورضيه سيدا وربا له وشرف بوصف العبد وجها له.

الإنسان الأرضي بهذه البشرية بلطيفه وكثيفه، مادة الحياة، وهو بكثيفه ولطيفه من مادة الحياة، ولكنه لم يرتقِ بعد بجمعه ليقوم بالنور، أو النار، مادة حياته لكثيفه ولطيفه، في قيام من النور أو النار بين اللطيف والكثيف بهما، ولكن هذا تحقق لأئمته بمفردات فيه يستطيع الفرد أن يشرق، وأن يفعل، بقيامه من الظلام بمعالم له من مادة الحياة {والليل إذا يسر}[٩]، في كثيفها ولطيفها جلبابا وعالما له وهو ما يرجو لنفسه جمعه في قادم على ما عرفه لأصله في قديم وعلى ما يتابعه في قائم.

إن الإنسان يبحث عن الحياة، وهو الحياة قائمة في قيامه، ولا يريد ان يبدأ البحث من قيامه عن قيامه، مصدقا لمن أبلغه على ما أبلغه، وعلى ما علمه، وعلى ما هداه. إن الغيب هو القائم على كل نفس، وهو الحي القيوم على جماع الحياة في حياة كل حي. فأين، وكيف، ومتى يبحث الإنسان عن كنوز الحياة؟ أبعيد عن ذاته؟ أبعيد عن نفسه يبحث عن مخبأ الكنز؟ أبغير نفسه يعمل ليكشف التراب عن جواهر الكنز؟ أيريد أن يكشف غيره له عن كنزه؟ وهو إن فعل كيف يعطيه هذا الكنز الذي عرف، والذي كان صاحبه في غمرة الظلام لا يعرف، وما زال لا يعرف لأنه لا يُعرف إلا لمن يكشفه؟ إنه لن يعطيه الكنز الذي كشف يوم يكشفه هو ويجهله صاحبه ولكنه يأخذه لنفسه إن

أنصف نفسه. إن طاغية النفوس يطغى على النفوس، ويستولى عليها لنفسه. إن طاغية النفوس يعجب كيف تؤمن النفوس بغيره ربا، وبغيره عليها سيدا، أليس هو الرب الأعلى! لقد تعلم الحرية فصار حرا ولا تقف أمام حريته عوائق من وجود الآخرين!! إن النفوس تُملكه ذواتها بضعفها فيسودها ويعلوها ببطشه، بها يتأله لنفسه، وعليها يستعلي بوهم عزته، متصفا لنفسه بمعنى الإله وبصفاته، معرفا عنه بنزوات بطشاته قائما لمعناه، مولى لا مولى له، وسيدا لا سيد له، وإلها لا إله له، فيترك الحق له الحبل على الغارب، ويمكنه من النفوس الضعيفة المستخزية في القارب، فيؤسس عليها دولته وحضرته ومكانته بسطوته. ويسخرها في تسيير سفينته في طريق نزواته وشهواته على غير هدى حتى تهب العاصفة الغاضبة العاتية وتختفي النسائم الرقيقة الرحيمة المواسية. فيضعف أمامها القارب، وأهله وراكبوه وطاغيته، ويعجز ومن معه عن توجيهه وحمايته، فتحمله الرياح في طريق لم ترسم من أهله بسلامة، وتقلبه بهم رأسا على عقب في طريق الندامة، وتهوي به إلى قاع البحر، لا قاع له، فيكون الهلاك لهذا الركب، لهذا الإله، وقومه، وعباده، وأمته، فيوردهم النار، يوردهم الهلاك، يوردهم الفناء، فانيا معهم، هالكا معهم، فانيا بهم، هالكا بهم، فانون به، هالكون به. فرعون {يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود}[١٠]...

يقابل هذا القارب وأهله، قارب آخر وأهله، وقائد آخر، وطريق آخر، أمة ركبت مع مخلصها مركب الخلاص، نفوسا مطمئنة دخلت في نفس عبد اطمأنت نفسه، اطمأنت من نواح، واستبشرت بالفلاح، وصلت لرب الإشراق والإصباح، واستظلت بسماء الحياة، واستنارت بشمس الوجود عليه دليلا، وفي نفسها استدلت بالحياة قامت، وفي نفسها بحثت عن الحياة قائمة، وللحياة عملت لتكون فيها دائمة، فعرفت الدوام لله، وأنها من دوامه ما آمنته، وأنها في سلامه ما سالمته، وأنها في قيامه ما استقامته، فوحدت الله لكثيفها ولطيفها، وقيومها لقائمها وحاضرها، ومستقبلها وقادمها، بين كثيف ولطيف من أمرها، وبين عبد ورب لوصفها، وبين إله في كنزيته لكتابها وآلهٍ في طلعته لمعانيها، فعرفتها بيت الله، فقالت لا إله إلا الله، وعرفتها الأكبر في عوالم الله للأصغر في كائنات الله، يوم عرفتها في صغرها عين الأكبر والأكبر لوجودها لا فرق بين كبير وصغير في الله، فقالت الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله.

إن هذا الذي جاء به التبليغ، وقامت بعلم به الحكمة، وقدمته في أمره طريقا وسلوكا المعرفة، صدَّقه الإنسان وعرفه الإنسان، وأقامه الإنسان، وقامه الإنسان، فكان به إنسانا إلها وربا، ورسولا وعبدا في معارج الإنسان، من الإنسان بالإنسان إلى الإنسان.

إن الإنسان، هو من عرَّف عن نفسه بلفظ الله، يوم عرفه في معناه قياما له وذلك يوم طلب الغيب بالشهادة، فعرف في الظاهر مرآة الباطن فعرف الباطن في معرفة الظاهر. وإن الإنسان هو الذي عرَّف الإنسان بوصف ربه، يوم عرفه عين أبيه، وعين أصله وعين نفسه ولا بدء له. وإن الإنسان هو الذي عرّف الإنسان بوصف عبده، يوم لقي الإنسان في وصفه بوصف ربه، لا فرق بينه وبينه. والإنسان هو الذي عرف الإنسان بوصف إلهه، يوم عرف إلهه من غيبه في قائمه بمعناه من شهادته، وأنه مرجوه في قادمه من قائمه، فكان الإنسان بذلك العبد، والرب، والإله بمعناه لذاته، وكانت هذه مسميات لمسمى واحد عنده، وأسماء لذات واحدة هي الإنسان يوم يكون الإنسان الخلقي بتمثاله إنسانا حقيا بروحه لذاته بصمديه وبمعناه لسرمديه. والإنسان هو الذي سمى تمثاله ونصبه المادي بالأب وبالرحيم. سماه أبا يوم عرفه جلباب ظهوره من قديمه في قديم، وسماه رجيما يوم استعصى عليه في يوم ظهوره العظيم. فيوم ملك التمثال تسمى المثَّال وملك المكان والزمان فعرف المكان والزمان ومن قبل لم تكن له علاقة بالمكان وبالزمان، وما كان يعرف ما المكان وما الزمان.

فهل حرص الإنسان في عالم فطرته من أهل هذه الأرض، عالم بدئه في مولد على الفطرة لأسفله ذاتا بشرية وتمثالا به تدب على هذه الأرض، بها يبدأ ظهور الإنسان لشريف معناه، يوم يعرف للإنسان البشري ميراثه الطبيعي من الإنسان يوم يعرف، أنه ليس بتافه، ليس بضئيل، ليس قياما ماديا، أنه ليس بخال من الحقيقة، يوم يعرف أنه ممن ينشق ليُعرف، يوم يعرف أنه بحبه المشبوب بين جوانحه لمَن يريد أن يعرف، يكسب الدوام، يكسب الحياة الخالدة، يكسب القيام الأزلي للحياة ويكسب السرمدية للذات الأبدي لمعناه، لطيفا فألطف، وكثيفا فأكثف، وصغيرا فأصغر، وكبيرا فأكبر، زرعا وزارعا ومزرعة.

الإنسان على هذه الأرض بداية كل شيء ولكنه ليس نهاية لشيء. إنه بشيئه أولية الشيء، فإن شاء وأراد أن يكون ليكون كائنا، {إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون}[11]، لا تمحي كينونته ولا يفنى ولا ينعدم شيئه فعليه أن يقدم على مذبح الكينونة الباقية شيئيته الفانية ليكون بمعناه كائنا شاءه وعناه، وأن يقدم شيئا راضيا، لمن كان بالله في الله كائنا مرضيا، يا أيتها النفس المطمئنة ادخلي في عبادي راضية مرضية، إن فعلت، دخلت جنتي، قطوفها دانية، وزحزحت عن ناري، في قيامك مبرزة عاتية، {وبُرزت الجحيم للغاوين}[12]{وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد}[13].

إن الإنسان ما دخل بما يملك في مالك كل شيء، يوم يدخل في عبده المملوك له والقائم به كل شيء، بدأ الحياة، وبدأ الوجود في الحي الموجود. إن العبد، في وصفه بالإنسان، لا يملك لكائنه من أمره مع ربه-- بعين وصفه بالإنسان في معنى الإنسان لمطلقه-- شيئا من الأمر، فسعادة الإنسان -

شيئا- ليكون الإنسان كائنا، أن يدخل في الإنسان عبدا، ليلتحق بالإنسان ربا، فيعرف الإنسان إلها، فيعرف نفسه له فيه وجها {كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام}[١٤].

إن الإنسان، وهو شيء، ولا شيء، يستطيع بوعيه وعقله وإرادته أن يكون شيئا وكائنا، وكل شيء وكل كيان، ما أدرك فطلب أنه فيمن هو كل شيء، وأن له أن يبقى بمن هو كل شيء، وعرف طريقه ووسيلته إلى ذلك بأن يفنى عن شيئه وعن كل شيء.

فالإنسان، بين دنياه وأخراه لأناه في أطوار خلقه، والإنسان في حاضره، أخرى لدنيا قضاها، ودنيا لآخرة ينتظرها ليلقاها في أطوار حقه، هو بين كثيفه ولطيفه في أناه بين قلبه ورأسه في عالم قيامه بمعناه من رباط ذاته لجوارحه وأعضائه، استوى على عرشها عالما بعقله، وطواها لها في كرسيه بقلبه، يوم كانت دائرة قلبه لطيفة فطوته، أو كان قلبه مركز عقله لذاته فطواها لإرادته، وهو يتقلب بين قالبه وقلبه، بين دائرته ومركزها في تقلبه بين ذاته بكثيفه وصفاته بلطيفه، على وعي من قلبه ورأسه بكثيفهما ولطيفهما، عتيق عقله ووعيه من قيود ذاته، منطلق من ضيقه وقيده.

فالإنسان بين ضيقه وسعته بين كثيفه ولطيفه، إذا أدرك بطليقه بلطيفه قياما به قيد ذاته بكثيفه في إيجاب مخاصم لقائمه بلطيفه، أحس بالضيق والقلق، أحس بالألم، أحس بهوان التقييد في حرص عليه، أحس بسجن الذات لأناه، أحس بوطأة الكثافة على اللطافة في معناه. وفي هذا تدريب راقي لمعناه فضج وشكا، وأَنَّ وبكى، ولم يدرك ما في هذا من رحمة الله، ومن عناية الله، ومن كرم الله، ومن هدي الله، ومن تعريف الله، ومن كشف الغطاء عنه له. إن الإنسان لربه لكنود، يا حسرة على العباد، ما يأتيهم من رسول من أنفسهم إلا كانوا به يستهزئون، ما يأتيهم من قول إلا استمعوه وهم يلعبون، ولحقي دنياهم يجهلون، وبأوهامها ينشغلون، وبالحياة يعبثون، وعن الجد لاهون، وإن قُدم لهم الوعي يتجاهلون، وإذا رأوا الحكمة يمقتون، وإن قُدمت لهم بأقدامهم لها يركلون. سبحان الله عما يصفون!!

إنهم على النار يصبرون، وغراما بها يقيمون، وعنها أنفسهم لا يزحزحون ولا يتزحزحون، تأتيهم سكرة الموت بالحق الذي كانوا عنه يحيدون، فإذا شهدوا الحياة هم منها محرومون وبالحرمان مبعوثون، وكشف لهم ما كانوا لأنفسهم يزعمون فأصبحوا لما جهلوا من أمرهم ناظرين، طلبوا العودة إلى حياة الاختبار نادمين، وما قدروا لأنفسهم بقاءهم في الجاهلين، هم ما زالوا على ما كانوا قائمين، وبأمر الحياة جاهلين، فإذا عادوا، عادوا على ما كانوا لاهين، وقاموا على ما اعتادوا لاعبين، بعثوا على ما كانوا ليشهدوا ما كانوا، وما كانوا حتى إذا ما شهدوا، طلبوا الرجوع إلى ما كانوا مما كانوا مرة وأخرى وهم لا يعلمون ولا يتعلمون أنهم إذ يرجعون إلى ما كانوا، قاموا فيما عليه كانوا وطلبوا العودة

إلى ما كانوا في حلقة مفرغة لا قرار لهم لأنهم ما آمنوه بالله معيتهم في دوام، وما عرفوا أن الله لا يُغلب على أمره في السماوات أو في الأرض في قيام، وأن الله معهم حيثما كانوا، وأن الله لهم أينما كانوا في سلام، وأن الله لا يُكسب لكاسب إلا برضاه ولا يكون للعبد إلا بارتضاه يوم يرتضيه العبد مظهرا لرضاه، ولا يرتضيه إلا يوم يرتضيه بارتضاء عمله به فيرضاه، لا يظن بربه ظن السوء، فيكشف له حكمته فيما أقامه، ليقيمه بحكمته فيما يقومه فيعمل بحكمته فيمن يقيمه ليقومه. فما قام بحكمة الله إلا من رضى بقضاء الله وبحكم الله، وأحسن الظن بالله، فلا تظنوا بالله ظن السوء. فهو يعتب على خلقه يظنون به الظنون، ويتجاوزون إلى ظن السوء، والله عند ظن عباده به، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، فلا تظنوا بالله الظنون ولا تظنوا بالله ظن السوء، وظنوا بالله الخير، يكن الله عند ظنكم به يوم تحسنون الظن به، فإن الله يستحي أن لا يجيب طالبا إلى طلبه، وهو بقدرته لا يعجزه تحقيق طلب الطالبين ما طلبوا. فإذا طلب العبد ما يسيء به إلى نفسه فإن الله مجيبه إلى ما يطلب فبإجابته يتعرف على تلبيته كما يتعرف إلى نفسه في قائمها بجهلها، وهذا هدي كريم من الله {إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا}[١٥]. فإذا ما عرف نفسه بجهلها ركن إلى ربه وعلَّمه بما يضرها وبما ينفعها ففوض الأمر إليه واستقبل الهدي من كلمته معه، يبحث عنها رسولا من أنفسهم في عباد الرحمن يمشون على الأرض هونا، بهم، تتفتح له فيه منه عيون قلبه وعيون عقله، فيرى ما كان لا يراه ويدرك ما كان لا يدركه. {الرحمن فاسأل به خبيرا}[١٦]، {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني}[١٧]، {يوم ندعو كل أناس بإمامهم}[١٨]. لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

اللهم يا من أقمت الوجود على ما أردت، وجعلت الشهود على ما قدرت، وهديت وهيأت أسباب الرشاد، في حدود مشيئتك وإرادتك، مُحكما لكل أمر، قيوما في كل قيام، معلوما في كل علم، مشهودا في كل شهود، موجودا في كل وجود، قمت بألوهيتك في ظاهرك، وتكنزت في ظاهرك بباطنك، ظاهرا لباطن، وباطنا لظاهر بوحدانيتك، وهيأت للإنسان في وجودك، على مطلق وجودك، أن يظهرك في ظهورك بظهورك، وأن يقومك بغيبك في غيبك، فهو الذي يعرف أنه لا إله إلا أنت، يوم يعرف أنه لا وجود له مع وجودك، ويوم يَعرف أن وجوده في كله من عين وجودك، وأنه في وجودك وجه وجودك، لا يحيط بوجودك، ولا يحيط بشهودك، إلا في مرآة معناه على ما قدرت لأناه ولمعناه، في معاني أناك ومعناك بالمؤمنين والمحسنين، لا إله غيرك ولا معبود سواك. اللهم يا من هو هو، على ما هو، ما شهده إلا هو، اللهم أنزل سكينتك على قلوبنا، والسلم والسلام على أرضنا، وادفع عنا من بلاء أنفسنا ما نعلم وما لا نعلم، ومن البلاء من حولنا مما نعلم ومما لا نعلم مما أنت به أعلم. اللهم كن لنا في الصغير والكبير من شأننا، وخذ بنواصينا إلى الخير وولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ

أمورنا شرارنا بكسبنا، وعافنا من إقامة عدلك فينا، وعاملنا بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين، واجعل اللهم خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم لقائك.

أضواء على الطريق

(لقد بحث الإنسان طويلا عن الحق الروحي في الصور الخارجية، في الأشكال المادية في الاحتفالات والطقوس والمراسيم التقليدية، في أداء بعض السنن المسماة بالدينية، في حمل بعض الشارات عن الالتحاق بطائفة، وفي عبادة بعض المباني المخصصة، لما تسمى بالأغراض الدينية. ولكن الروح الأعظم يوجد في الداخل فقط وليس في الخارج. أما الترانيم والخدمات الدينية فهذه ما هي إلا قشور. إنها ليست نواة الدين الحق.

أنا لا أعني أنكم تتصوفون جميعا لتعزلوا أنفسكم عن العالم وإنما أعني أنكم تجاهدون لتُظهِروا ذلك الجزء الأعظم من أنفسكم والذي قلما يجد مخرجا. وعندما تتقدم نفسكم العليا روحكم سمّوها بأي اسم تريدونه، سوف يشتد عزمكم على العمل من أجل الإنسانية.

لا تجعلوا أفكار وهموم العالم المادي تبتلعكم. احتفظوا بنظرتكم الصائبة. وتأكدوا أن في داخلكم روحا خالدة لا تخمد سوف تبعث من بين كل ما يحيط بكم. سوف تساعدكم على قهر كل مصاعبكم، وهي تحتاج إلى إعداد للحياة الكبرى، التي تتطلبها لنفسها في يوم ما، يجب أن تتعلموا كيف تحصلون على القوة من الداخل حتى يمكنكم مواجهة القضايا والمصاعب في كل يوم، بهدوء ومعرفة وأمل وإيمان.

إنا لا نريد تغذية العقول ولكن تغذية النفوس الجائعة. نريد تعليمها كيف تعد نفسها لحياة اليوم وحياة الغد الأبدية. أنتم مهاجرون في طريق أبدى. إنكم تتغربون عنها لحظة ولكن سرعان ما ترحلون. أرجو أن يكون في أيديكم ضماد المعرفة مستعدين إذا ما قابلتكم شوكة في الطريق، متجهزين لما ينتظركم بعد المسار أنتم مسافرون، أنتم سائرون طوال الوقت، هذا ليس مقامكم الخالد إنكم لم تصلوا إليه بعد).

من هدي السيد الروح المرشد (برش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ حديث شريف: "كلكم بنو آدم وآدم خُلق من تراب." أخرجه أبو داود، والترمذي، وأحمد
٢ سورة الإسراء - ٧٠
٣ سورة آل عمران - ٥٩
٤ سورة آل عمران - ٣٣
٥ سورة الرعد - ٢٦

٦ سورة إبراهيم - ٢٤
٧ سورة الجن - ١٨
٨ سورة إبراهيم - ٢١
٩ سورة الفجر - ٤
١٠ سورة هود - ٩٨
١١ سورة النحل - ٤٠
١٢ سورة الشعراء - ٩١
١٣ سورة ق-٣١
١٤ سورة الرحمن – ٢٦، ٢٧
١٥ سورة الإنسان- ٣
١٦ سورة الفرقان - ٥٩.
١٧ سورة يوسف - ١٠٨
١٨ سورة الإسراء - ٧١